

الطب الوقائي في الإسلام

د. أحمد شوقي الفنجري

الطب الوقائي في الإسلام

تعاليم الإسلام الطبية
في ضوء العلم الحديث

د. أحمد شوقي الفنجري

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩١

الطبعة الثالثة ١٩٩١

مقدمة الكتاب

لسعادة الدكتور عبد الرحمن العوضي

وزير الصحة العامة (الكويت)
ورئيس منظمة الطب الاسلامي

.. تعتز الأمم عادة بما قدمته وتقدمه للحضارة البشرية من مآثر في مجالات الفكر والمعرفة ، وتحاول في هذا الصدد أن تدلل على ما أسهم به أبناؤها في الأزمان الغابرة وتاريخها العتيد من أجل بناء صرح الحضارة الانسانية .. ويشهد التاريخ لأمتنا الاسلامية أنها احتضنت حضارة عريقة خلال حقبة من الزمن هي عشرة قرون أو يزيد وغذتها بالكثير من العلوم والنظريات والفلسفات فرسمت بذلك للعالم أجمع مخططا كبيرا للعلم والمعرفة في شتى المجالات في وقت كان فيه الغرب يرزح في دياجير الظلام والجهالة ، ولما قدر له أن يستيقظ من سباته العميق ظهر أمامه بصيص من نور العلم والمعرفة في الحضارة الاسلامية فعمل على أن ينهل من هذه الحضارة بشتى الوسائل ولجأ في ذلك الى شن الحروب واستعمار الشعوب الاسلامية واستنزاف اقتصادها في محاولة للقضاء على الحضارة الاسلامية الراسخة .

ولقد أمكن للاستعمار الغربى — الى حد ما — أن يبعد بعض الشعوب الاسلامية عن حقيقة ما أسهمت به الحضارة الاسلامية وعن الجوهر الأصيل الذى تميز به الفكر الاسلامى وذلك نتيجة لما قام به الغرب من هدم للتراث الاسلامى وافساد للعقول واقامة حاجز مظلم بين ماضى هذه الأمة وحاضرها ·· لكنه غاب عن أعداء الاسلام أن الدين الاسلامى هو شريعة الله وهو القانون الالهى الأبدى الذى جاء به رسوله الكريم مبشرا ونذيرا وليكون هدى للناس أجمعين ودستورا جامعا لأمورهم ومعاملاتهم فى كل مكان وزمان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ·

ولابد أن نشير هنا الى ما جبل عليه البشر من تناقضات غريبة فهم يبتغون ما يضرهم ويبتعدون عما ينفعهم ويقربهم الى بارئهم ·· وسبحان الله أحكم الحاكمين الذى ألهم النفس البشرية فجورها وتقواها ، وانطلاقا من هذا الصراع بين النقيضين فى النفس البشرية تتباين الحضارات وتتفاعل ·· ويستمر الصراع ويسود الفجور وتنحدر الشعوب تارة أخرى ·

ولقد مرت على الأمة الاسلامية حقبة من الزمن تغلب فيها الفجور على التقوى فى نفس الانسان المسلم فنسى ما لحضارته الاسلامية من مكانة عريقة بين سائر الحضارات فى ظل تعاليم الاسلام الحنيف ، وهكذا نسينا الله فأنسانا الله أنفسنا وكان مصيرنا الضياع فى دياجير الظلام والجهل · فلابد اذن من عودة الى التمسك بآداب ديننا خاصة وأن الاسلام دين الحق الأبدى تحافظ عليه العناية الالهية قال تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، ويجب أن تكون العودة بصورة حضارية شاملة لاظهار ما للاسلام من اعجاز ومآثر فى هذه الحضارة العظيمة التى لو تعرفت عليها شعوب العالم لكان الانسان بعيدا عن الهاوية التى أصبح منها قوب قوسين أو أدنى ، ولهذه العودة عدة صور وأبعاد · وأعتقد أن

احياء التراث العلمي في الحضارة الاسلامية من أهم هذه الصور ، وما المحاولة التي يقوم بها الدكتور أحمد شوقي الفنجري في كتابه الجديد في نوعه « الطب الوقائي في الاسلام » الا خطوة رائدة على هذا الدرب الطويل فقد احتوى هذا الكتاب على الكثير من المعلومات الجديدة القيمة عن الطب الوقائي في الاسلام الأمر الذي لم يتطرق اليه كتابنا في هذا العصر ٠٠ ولا شك أن محاولة الدكتور الفنجري تعتبر جديدة من نوعها لأن غالبية من كتبوا عن التراث الاسلامي لم تتعد كتاباتهم مجرد سرد للتاريخ الاسلامي ٠ وقد تعمق مؤلف هذا الكتاب باستنباط الاحكام الطبية من تعاليم الاسلام الحنيف واثبت أن ما جاءت به النظريات العلمية الحديثة ليست شيئا جديدا حيث تضمنتها تعاليم الاسلام وزادت عليها بكل ما يوفر للانسان من أسباب الوقاية من الأمراض ٠

وارجو أن تكون محاولة الدكتور الفنجري نموذجا طيبا نسير على هديه لنبين للعالم ما قدمته الحضارة الاسلامية للعلوم الطبية وآمل ان يأتي اليوم الذي تدرس فيه مادة الطب الاسلامي في كليات الطب وتظهر العديد من المؤلفات عن النظريات التي استنبطها العلماء المسلمون في مجال الطب لتستفيد منها شعوب العالم أجمع ٠

وفي الختام أشكر الدكتور أحمد شوقي الفنجري على جهوده المخلصة التي بذلها في اعداد هذا الكتاب القيم وأرجو له ولكل من يسير على درب العلم والمعرفة التوفيق والسداد لخير أمتنا الاسلامية والانسانية جمعاء ٠

الدكتور عبد الرحمن العوضي

وزير الصحة العامة

مقدمة

« الطب الاسلامي » علم جديد
يجب تدريسه في جامعاتنا ومدارسنا
والاستفادة منه في الوقاية من المرض

لقد اكتشف الكثير من الشعوب العريقة أن فى حضارتها القديمة وفى تراثها من الحقائق العلمية ما يمكنها لو طورتها على أسس العلم الحديثة لخرجت الى الدنيا بعلم جديد تفيد به الانسانية جمعاء وقد يكون أنفع للناس من العلم الأوروبى الحديث نفسه ·

وخير مثل على ذلك ما حدث فى الصين ·· فقد كونت حكومتها عشرات من اللجان لدراسة تراثهم ، العلمى وخاصة نظام الأبر الصينية ، ونظام التداوى (بالأعشاب الصينية) وقاموا بهذه الدراسة على ضوء من التكنولوجيا الغربية الحديثة ثم خرجوا الى العالم بعلم جديد ·· بل بثورة علمية هزت أركان الدنيا وجعلت أطباء العالم الغربى يتوافدون عليهم وكأنهم تلاميذ لكى يدرسوا اكتشافاتهم فى العلاج والطب ··

فهل لدينا نحن أمة العرب والاسلام مثل هذا التراث ٠٠ وهل نستطيع أن نخرج على الدنيا بعلم اسلامى وطب اسلامى تنفع به الانسانية كلها ٠٠ ولماذا لا يظهر هذا العلم حتى اليوم ٠٠ ومن المسئول عن اظهاره وابرازه ؟؟

هناك الكثير من الكتب التى وضعها المستشرقون الأجانب والباحثون العرب عن فضل أطباء المسلمين والعرب وعلمهم على الطب الأوروبى ٠٠ ولكننا لا نجد بين هذه المراجع بحثا واحدا وافيا عن فضل الاسلام كدين وما جاءت به تعاليم القرآن والرسول وأثر ذلك على الطب وأهم من ذلك فوائده الطبية ٠

ولقد آن لنا أن يكون لدينا (طب اسلامى) يدرس فى كلياتنا العلمية الى جانب ما ندرسه من الطب الغربى ٠ كما يدرس فى كلياتنا الدينية والنظرية الى جانب علوم الفقه والشريعة ٠

ويقوم هذا العلم الجديد على استخلاص ما فى الاسلام كدين وتشريع من تعاليم طبية ووضعها فى الأسلوب والتنسيق العلمى الحديث ٠٠

ـ وليس القصد من هذا العلم مجرد الفخر بأمجاد الاسلام الغابرة ٠٠

ـ أو التحدث عن حقائق جاء بها الاسلام ثم أثبت العلم الحديث صحتها ٠٠

ـ ان الهدف منه أعظم من ذلك بكثير ٠٠

ـ انه أسلوب علمى جديد فى الطب والوقاية ٠٠

ـ بتعاليم الاسلام وحدها ٠٠ وفى عصرنا هذا نستطيع أن نخلق المجتمع الصحى المثالى الذى يتمتع ببيئة صحية نظيفة خالية من

القذارة والذباب والحشرات ‥ ويمكننا أن نقضى على الأمراض المتوطنة في عالمنا العربى والاسلامى وأهمها البلهارسيا والانكلستوما والتيفود والتهاب الكبد المعدى وشلل الأطفال ‥ وأن نمنع الأمراض الوافدة كالكوليرا والجدرى ‥ وأن نتخلص من كل الآفات الاجتماعية والصحية كالمخدرات والسكر وحوادث السيارات ‥ وأن نخلق المواطن الصحيح الجسم السليم العقل ‥ الهادىء الأعصاب ‥

ولا تقتصر فائدة هذا العلم على المرضى والمرض فحسب ‥

بل هو طريق لابد منه لخلق الطبيب الانسان المثالى المتقن لعمله فسوف نرى فى هذا البحث أن الاسلام قد جاء بتعاليم فى آداب المهنة الطبية وفى تنظيمها وفى علاقة الأطباء بالمرضى وعلاقتهم ببعضهم وجعل هذه التعاليم جزءا لا يتجزأ من العبادات ·

فالى أطباء العالم الاسلامى والعربى ‥ والى رجال الدين والمهتمين بشئونه ‥ لكم نتمنى أن يدرس هذا الكتاب فى الكليات العلمية والدينية معا ‥

فمشكلتنا الكبرى ‥

– **أن اهل العلم** منفصلون عن العلوم الانسانية والأخلاقية التى جاءت بها الأديان ‥

– **وان اهل الدين** بعيدون عن الجوانب العلمية والطبية التى حواها الدين ‥ وما أشد حاجتنا أن يجمع كلاهما بين الجانبين ‥ الدين والعلم معا ‥

دكتور
احمد شوقى الفنجرى

ما هو الطب الوقائى

اتفقت الهيئات الصحية العالمية على تعريف علمي حديث لكلمة (الصحة) بأنها تحسين حالة الانسان جسميا ونفسيا وعقليا ومعيشيا وليست مجرد غياب المرض ٠٠

و « الطب الوقائى » هو علم المحافظة على الفرد والمجتمع فى أحسن حالاته الصحية ٠ ويقوم الطب الوقائى لتحقيق هذا الهدف على مجموعة من التعاليم والارشادات والاجراءات لوقاية الانسان من الأمراض السارية والوافدة قبل وقوعها ومنع إنتشار العدوى اذا وقعت٠٠ولاطالة عمر الانسان بتحسين ظروف معيشته ومنع الحوادث واسباب التوتر العصبى ٠

العلاقة بين الطب والدين :

والاسلام يختلف عن كل ما سبقه من الأديان فى أنه قد جاء للدين والدنيا معا ٠٠ فلم يقتصر على الجانب الروحاني والتعبدى وحده ٠٠ وعلى الصلة بين العبد وربه ٠٠ ولكنه الدين الوحيد الذى أقام على ظهر هذه الأرض دولة وحكومة ٠٠ هي دولة رسول الله فى المدينة ٠

ثم أنزل من السماء مباشرة كافة التعاليم لادارة هذه الدولة ٠٠ وجعل هذه التعاليم بمثابة دستورها الدائم ٠٠ وقد شملت بنود هذا الدستور نظاما كاملا للسياسة والحكم ٠ وشملت بنودا للنظام العسكرى والدفاعي وشملت النظام الاقتصادى والاجتماعى والأخلاقى ٠

وبطبيعة الحال فقد شملت أيضا (النظام الصحى للدولة) ٠

وبهذا يمكن أن نقول إن الاسلام هو الدين الوحيد الذى جاء بما يشبه الدستور الدائم أو البروتوكول الذى ينظم مهنــة الطب والعلاج وصحة المجتمع وهو ما يسمى فى عصرنا الحاضر (بالطب الوقائى) • وهذه هى الأبواب الرئيسية التى شملتها تشريعــات الاسلام الطبية :

أولا ـ أوامر فى صحة البيئة الاسلامية ونظافتها :
Sanitation and Personal Hygene

ومن ذلك نظافة البدن والأيدى والأسنان والأظافر والشعر • ونظافة الملابس ونظـافة الطعام والشراب • كمـا نص على نظـافة الشوارع والبيوت والمدن وعلى نظافة موارد المياه كالأنهار والآبار ونظافة شواطئها •

ثانيا ـ أوامر لمنع الأمراض المعدية : Epidimiology

وتشمل الحجر الصحى وعزل المريض وعدم الدخول على الوباء وعدم الفرار منه وغسيل الأيدى قبل الدخول على المريض وبعـد الخروج من زيارته والاستعانة بالطب والدواء وكل وسائل العلاج الحديث فى الوقاية والعلاج •

ثالثا ـ أوامر فى مكافحة القوارض والحشرات والحيوانات الناقلة للمرض الى الانسان :

فمن ذلك أمـره بابادة الفئران والعقرب والثعبان •• وقتل الحشرات الضارة كالبرغوث والقمل والذباب •• وكراهية تربية الكلاب فى البيوت للزينة واعتبار فمها ولعابها نجسا وأمره بقتل الكلاب الضالة والكلب العقور واعتبار الخنزير كله نجس الملمس •

رابعا ـ اوامر في التغذية : Nutrition

وهذه الأوامر ثلاثة اقسام :

الأول : تشجيع الغذاء المفيد للجسم كتحريم المذاهب النباتية وتشجيع المسلم على الغذاء المفيد مثل لحم البر ولحم البحر وكل مشتقات اللحوم والعسل والتمر واللبن وكل ما له قيمة غذائية ٠

والقسم الثاني : ينظم للمسلم نظام طعامه فمنع الاسراف فى الطعام والأكل بدون جوع والأكل حتى التخمة ٠٠ وابتدع نظام الحمية عند المرض ووضع نظاما لراحة المعدة والأمعاء بالصوم الذى لا اسراف فيه ولا مبالغة ٠٠

والقسم الثالث : بتناول المحرمات بسبب ضررها بالصحة كالميتة والدم ولحم الخنزير ٠

خامسا ـ الصحة الجنسية : Sex Hygene

وهو يتناول تثقيف المسلم بأمور الجنس وغوامضه وتكوين الجنين ونموه ثم تعليمه كيف يختار زوجته بل وتعليمه طرق المعاشرة الجنسية السليمة ٠ ثم أوامر للنظافة الجنسية كالاستحمام بعد الجماع والاستنجاء بعد البول والغائط وعدم اتيان النساء في المحيض ٠٠ الى جانب تحريم الزنا واللواطة والشذوذ ثم تحليل الطلاق وتعدد الزوجات فى الظروف الطبية والانسانية القاهرة ٠

سادسا ـ الصحة النفسية والعقلية Mental and Psychic Hygene

وهى تعاليم لمنع أسباب التوتر العصبى والذهنى ٠٠ وذلك بالأمر بالايمان بالله وقدره والصبر عند الشدة والمحنة والمصيبة والمرض وتحريم اليأس ٠٠ والانتحار والعنف والظلم والغدر ٠ والأمر

بتعاون الناس وتراحمهم لتخفيف أعباء الحياة • ثم منع كل بؤر التوتر فى المجتمع كالمقامرة والربا والمضاربة واللهو غير البرىء والضجة ومنع كل مغيبة للعقل أو مفترة للشعور كالخمر والمخدرات وكراهية التدخين •

سابعا ــ تشجيع اللياقة البدنية : Body Built

بالحث على الجهاد والعمل اليدوى وتشجيع الألعاب الرياضية الجماعية كركوب الخيل والسباحة والرمى والمبارزة والمصارعة والتسابق بكل أنواعه وكراهية السمنة والكرش والخمول •

ثامنا ــ الصحة المهنية : Occupational Medicine

وهى أوامر لحماية الأجير كالعامل والفلاح والخول أى الخدم ووقاية الأجير من أخطار المهنة وتعويضه عن اصابة العمل وتوفير العلاج والدواء والمسكن الصحى له ولأسرته وتحديد ساعات عمله وتعويضه عن الزيادة واعطائه حقه قبل أن يجف عرقه •

تاسعا ــ رعاية المسنين : Geriatrics

وهو فرع من فروع الطب الحديث أول من ابتدعه أطباء المسلمين •• واستمدوه من آيات القرآن وتعاليم الرسول التى تأمر برعاية الآباء والأمهات •• والجدود ومن فى سنهم من المعمرين واحترام ضعفهم والصبر عليهم اذا مرضوا أو خرفوا وأفراد مرافقين لهم عند العجز وأول من كتب عن هذا الباب هو ابن سيناء فى كتابه القانون تحت عنوان : « طب المسنين والشيوخ » •

عاشرا ــ رعاية الأمومة والطفولة : Maternal and child Health

وهى أوامر لرعاية الأمهات عامة والحامل والمرضع خاصة ••

وعدم تحميل المرأة بالواجبات الشاقة مثل الرجال الى حد اعفائها عن صلاة الجماعة فى المسجد ومن واجب الجهاد فى ميادين القتال واعتبار رضاعة الطفل مكافئة لجهاد الرجل ·· والموت أثناء الولادة مكافئا للشهادة فى الحرب · وشجع على الرضاعة الطبيعية وجعلها حولين أو عامين لصحة الطفل وللاقلال من فرص الحمل المتوالى ·

حادى عشر ـ وضع التشريعات لتنظيم مهنة الطب العلاجى والرخص الطبيــــة :

فالاســلام أول من أمــر الا يزاول مهنة الطب الا من يعترف بعلمه (ومن داوى بغير علم فهو ضامن) أى مسئول جنائيا ·· وحث على التخصص وعلى احترام العلم والطب والأطباء وعدم الاقتصار على الدعاء والصلاة عند المرض ··

ثانى عشر ـ الأسلوب العقائدى لخلق المجتمع الصحى :

وهو أسلوب ابتدعه الاســلام وكان أول من طبقه ·· ثم نقلته الصين الشعبية فى العصر الحاضر وحاولت نسبته اليها ·· ونجحت بفضله فى أن تصبح الدولة الأولى فى النظافة والتقدم الصحى فى العالم ·· وهو أسلوب يقوم على ربط التعاليم الصحية بعقيــدة الأمة · والاستفادة من تأثير العقيدة وطاعة الناس لها وتضحيتهم فى سبيل نصرتها فى الزامهم باتباع الأوامر الصحية ··

هذه هى تعاليم الاسلام الطبية ·· أو البروتوكول أو الدستور الاسلامى للصحة ·· وسوف نتعرض لكل واحدة من هذه التعاليم بالشرح المفصل ·· مستندين فى ذلك بما جاء عنها فى القرآن الكريم أو فى أحاديث الرسول أو فى الفقه الاسلامى ·

اولا ..

صحة البيئة فى الاسلام

صحة البيئة هى العنصر الأساسى فى الطب الوقائى ..

والمقصــــود بهـا خلق بيئـة صحية لا تنفـذ اليهـا الأمـراض ولا تستوطن فيها وذلك بفضل النظافة التامة ..

والمقصــود بالنظافة هنا نظـافة الناس فى أجسامهم وملابسهم وعاداتهم ونظافة الشوارع والبيوت ونظافة الطعام والشراب ونظافة موارد المياه ..

ولم يحدث فى تاريخ الانسانية كلها أن اهتم أى دين سماوى أو حتى نظام أو مبدأ أرضى بخلق البيئة الصحية المثالية وجعلها جزءا من تعاليمه الرئيسية كما اهتم الاسلام بذلك .

والمتامل فى آيات القرآن يجد أن أول سورة نزلت كانت تنادى بالعلم وثانى سورة نزلت تنادى بالنظافة فقد جاء فى السورة الأولى قوله : « اقرأ » وجاء فى السورة الثانية قوله تعالى : « **وثيابك فطهر** » سورة المدثر .

والاســلام أول مبـدأ عقائدى بل وأول نظـــام علمى عرفته الانسانية **يامر بالتعقيم ويحارب التلوث** : فقد أطلق الاسلام على كلمـة التعقيم اصطلاح الطهـارة .. والمقصود بها خلو الشىء من

الميكروبات أو المواد الحاملة للميكروبات وأطلق على الشيء الملوث أو الحامل للميكروبات كلمة النجاسة .

وزيادة في الدقة العلمية فقد حدد الاسلام ١٣ مادة (وفى بعض المذاهب ١٤) اذا أصابت احداها أى شيء : مثل ثوب الانسان أو جسمه أو طعامه أو شرابه أو اناء الطعام أو أرض الغرفة أو أرض الشارع أو اصابت الماء الدائم المستعمل للشرب أو الغسيل أو الوضوء ولو كان ماء بئر أو نهر فانها تنجس هذا الشيء (أو العين) كما يسميه فقهاء الاسلام ، ولا يتطهر الا بازالة هذه النجاسة بغسيلها بالماء الجارى أو غليها على النار .

ويشترط الاسلام لازالة هذه النجاسة ازالة الميكروب ولكى نضمن ازالته فهو يشترط عليك أن تزيل لون النجاسة ورائحتها وطعمها أيضا وبذلك يكون الاسلام أول من نبه الى أن تغير اللون والرائحة والطعم دليل على وجوب ميكروب حى يتفاعل .

أما المواد النجسة التى أشار اليها الاسلام والتى قد تحمل الميكروبات فمنها : القيح ـ والبراز ـ والدم والبول والمنى والقيء والخمر ولعاب الكلب وجسم الخنزير وكل شيء عفن كبقايا الحيوان الميت أو الحى .

والاسلام أول مبدأ فى الدنيا **يتحدث عن الميكروبات والطفيليات** : وهى يكنى عنها بكلمة الخبث أو الخطايا أو الشيطان .. ومن أمثلة ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم . « قلم اظافرك فان الشيطان يقعد على ما طال تحتها » وفى ذلك اشارة واضحة لا تحتاج الى مزيد من التفسير الى الميكروبات التى تعيش تحت الأظافر كالتيفود والدوسنتاريا أو الى بيض الديدان (كالاكسورس) ويقول الرسول أيضا :

« اذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه .. فاذا

استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من أذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر رجليه ثم كان مشيه على المسجد والصلاة نافلة » ٠

وكثيرا ما يشير القرآن الى النجاسة والميكروب بكلمة الرجس والشيطان فيقول تعالى : « الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم **خنزير فانه رجس** » الأنعام ١٤٥ ٠ ويشير الى الطهارة أى التخلص من الميكروبات بالغسيل بالماء الجارى فيقول تعالى : « **وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان** » « الأنفال » ١١ ٠٠ ومعروف في عصرنا الحاضر أن مجرد الغسيل جيدا بالماء الجارى حتى ولو كان ليد الجراح الذى سيجرى عملية جراحية في غرفة العمليات فانه يكفى لتطهيرها وتعقيمها من الميكروبات ٠

والآن قد يتساءل البعض لماذا اختار الاسلام هذه التعبيرات والاصطلاحات بالذات لكي يكنى بها عن التعقيم والميكروب ٠٠ والواقع أن لهذه التعبيرات الاسلامية حكمة عظيمة وغاية أبعد من مجرد التعبير العلمى :

ــ فالاسلام يريد أن يجعل النظافة عقيدة وسلوكا ملزما للمسلم وليست لمجرد الخوف من المرض ٠٠ فهو بهذا جعل النظافة جزءا لا يتجزأ من تعاليم العبادة والصلاة بل انه جعلها من الايمان بل نصف الايمان كله فقال صلى الله عليه وسلم : « النظافة شطر الايمان » ومعروف في الدين أن الايمان درجة أعلى من مجرد الاسلام ٠٠ وبهذا فلا يجوز للمسلم أن يقابل الله فى صلاته قبل

أن يتخلص من الميكروبات أى النجاسة التى تكون على جسمه أو ملابسه ..

ـ الحكمة الثانية لهذه التعبيرات أن الاسلام قد جاء منذ ١٤ قرنا من الزمان فى وقت كان الانسان لا يعرف فيه شيئا عن الميكروب أو الطفيليات ولذلك فقد كان يستعمل هذه الأسماء لكى يبسط لهم الأمور ويخاطبهم على قدر عقولهم وفهمهم ولو صرح الاسلام للناس فى ذلك العصر بان الشيطان الذى يكمن تحت الأظافر فى المواد النجسة عبارة عن كائن حى دقيق مادى وملموس لأصيب أهل تلك العصور بالجنون والهوس .

ـ هذا الى جانب أن هناك اختلافا حتميا وطبيعيا فى لغة العصر .. بل هناك اختلاف فى لغة التعبير عن الشىء الواحد من بلد الى بلد ولو كانوا فى عصر واحد .. وهذا الاختلاف اللفظى لا يمنع أبدا الحقائق الساطعة وهى أن الاسلام قد تحدث عن التعقيم وسماه الطهارة .. وعن الميكروب والطفيليات وسماها الخبث أو الرجس أو الشيطان .

وهذا هو تفصيل ما جاء به الاسلام من تعاليم فى كل مجالات النظافة

أولا ـ نظافة الجسم : Personal Hygene

١ ـ لا يكتفى الاسلام بالوضوء قبل الصلاة كوسيلة للنظافة بل يأمر بالغسل أى الاستحمام فى كل مناسبة حتى لقد أحصى علماء الفقه الأسباب الداعية للاستحمام فى الاسلام بانها سبعة موجبة و ١٦ مستحبة أى أنها ثلاثة وعشرون سببا .. ويكفى أن نذكر هنا ان أول خطوة .. للدخول فى الاسلام هى الغسل أى الاستحمام حتى قبل شهادة أن لا اله الا الله .

ويلتزم المسلمون بالاجتماع والالتقاء معا مرة كل أسبوع فى صلاة الجمعة · وحتى يكون المسلم في هذا اللقاء نظيفـا خاليا من الروائح الكريهة والعرق فانه يستحب له الغسل لقول الرسول :

« غسل يوم الجمعـة واجب والسواك وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه » ·· وقوله : « اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ·

ولا يجوز للمسلم أن يمضى عليه أكثر من أسبوع دون استحمام وذلك لقول الرسول : « حق على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده » ·

٢ ــ والاحتلام للرجل والمحيض للمرأة من موجبات الغسل فى الاسلام لما يسببانه من قذارة البدن وزيادة العرق ·

وتؤمر المرأة المسلمة بعد المحيض أن تغسل مجرى الدم بقطنة نظيفة وبالماء حتى لا تكون بقايا الدم بؤرة للميكروبات والالتهابات·· وفى ذلك يقول رسول الله يرشد النساء :

« تأخذ احداكن ماءها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى يبلغ شئون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها » فقالت احداهن : وكيف تطهر بها يا رسول الله ·· قال : سبحان الله !! تطهرى بها فقالت عائشة شارحة : « تتبعى أثر الدم » · الى هذا الحد كان الاسـلام صريحا فى مسائل نظافة الجسم دقيقا فى تعاليمه ·

٣ ــ ولا يكتفى الاسلام بالاستحمام كسبيل لنظافة الجسم ·· بل انه يأمر المسلم بازالة كل ما يمكن أن تتجمع تحته القـذارة والميكروبات فى جسمه ·· فمن ذلك أمره بالاستحداد · أى حلق شعر العانة ونتف الابط ، والختان للذكور أى ازالة القلفة وقص الشارب حتى لا يعلق فيه الطعام والأوساخ وفى هذه يقول الرسول:

« خمس من الفطرة : الاستحداد والختـان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الأظافر » ويستحب أن يزيل المسلم هذا الشعر الزائد مرة كل أسبوع ولا يجوز تركه فوق أربعين يوما وذلك لحديث انس رضى الله عنه قال :

« وقت لنا النبى صلى الله عليه وسلم في قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الابط وحلق العانة الا يترك أكثر من أربعين ليلة » ٠

والأيدى : من أهم الأعضاء تعرضا لنقل المرض ٠٠ فقد تنقل المرض عند السلام على المريض أو عند نقل طعام ملوث أو زبالة أو بعد الذهاب الى الغائط عنـدما يكون الشخص نفسه مريضـا ٠٠ وبعض الديدان تنتقل من نفس الشخص المصاب عند التبرز الى فمه عندما يأكل اذا لم يغسل يديه جيدا ٠٠ وأهمها الاكسورس وهى دودة صغيرة تعيش حـول الشرج وتنتقل البويضـات تحت أظافر اليـد ٠

ومن الأمراض التى تنقلها اليد أيضا التيفود والدوسنتاريا والنزلات المعوية ولهذه الأسباب فقد دقق الاسلام بشدة على نظافة الأيدى فأمر بقص الأظافر وتنظيفها لقول الرسول :

« قلم أظافرك فان الشيطان يقعد على ما طال منها » وبديهى أن المقصود بالشيطان هنا هو الميكروب ٠

ـ ويأمر الاسلام بغسل الأيدى فى الوضوء ثلاث مرات فى المرة الواحدة بحيث يصل الماء الى المرفقين ٠

ـ ويهتم الاسـلام بغسل الأيدى قبل **الطعـام** وبعده فيقول الرسول فى ذلك : « اغسل يديك قبل الأكل وبعـده » وقوله : « بركة الطعام الوضوء قبله وبعده » ومن أقوال الرسول أيضا : « ان الشيطان احساس لحاس فخافوه على أنفسكم ٠٠ من بات وفى

يده غمر فلا يلومن الا نفسه » . والغمر هو بقايا الطعام الدسم واللحم .

ويحث الاسلام على غسيل الأيدى قبل النوم وفى ذلك يقول الرسول : « اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة » ومن السنة غسل الأيدى بعد النوم أيضا لقول الرسول : « اذا قام أحدكم من نومه فليغسل يديه فأنت لا تدرى أين كانت يداك » وذلك لأن الانسان أثناء النوم قد يحك بيديه قدمه أو أنفه أو بين فخذيه .

ومن تعاليم الاسلام أيضا غسل الأيدى قبل الدخول على المريض وبعد الخروج من عنده .

وعلة ذلك أن المريض أو الناقه من المرض يكون ضعيف المناعة وأكثر قابلية للمرض الجديد من الشخص السليم . وقد يكون بين زواره حامل للميكروب وهكذا يكون غسل الأيدى واقيا للمريض من عدوى جديدة .. وفى هذا يقول الرسول : « من توضأ فأحسن الوضوء ، عاد أخاه بوعد من النار » .

ونظافة الأقدام : يسرى عليها ما يسرى على اليدين .. ومن السنة أن يخلل الانسان ما بين أصابع القدمين فى الغسيل وأن لا يدوس بقدمه على شىء غير طاهر وفى التخلل يقول الرسول : « اذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك » .

نظافة الفم والأسنان :

كان رسول الله يستاك اذا أخذ مضجعه واذا قام من الليل واذا خرج الى الصلاة وكان الصحابة يحملون سواكهم معهم أينما ذهبوا ويربطونها فى ذوائب سيوفهم وكان نساء الصحابة يحملن السواك فى خمرهن .

ومعروف ان الشرع لا يجيز للمسلم أن يصلى وفى فمه بقايا طعام حتى يغسل فمه ويتمضمض ثلاث مرات وعليه أن يخلل اسنانه ويخرج من بينها بقايا الطعام ولا يبتلعها بل يرميها ٠٠ وحكمة ذلك ان بقايا الطعام اذا تركت فى الفم فانها تنتنه واذا دخلت بين الأسنان حملت معها الالتهابات وفسدت فلا يجوز بلعها ٠٠ واذا تركت تسبب الروائح الكريهة وتسوس الأسنان ويبين لنا رسول الله حكمة استعمال السواك فيقول صلى الله عليه وسلم « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وكان يقول : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » ٠

وقد راى الرسول بعض أصحابه يهمل فى نظافة اسنانه حتى اصفر لونها فقال لهم : « مالى أراكم تدخلون على قلحا ٠٠ استاكوا رحمكم الله » ٠

نظافة الأنف :

من السنة الاستنشاق بالماء ثلاث مرات عند كل وضوء مع غسل الفم ٠٠ وهذه ظاهرة ذات مغزى طبى خطير ٠٠ فمعظم الميكروبات التى تنتقل الى الانسان بالرذاذ مثل الأنفلونزا وشلل الأطفال والدفتريا وكثير غيرها يصل الميكروب الى الأنف والحلق أولا ومن هناك تنتقل الى داخل الجسم وتصيبه بالمرض ٠٠ وهذا الغسيل المتكرر يجرف معه تلك الميكروبات الى الخارج ويقى الانسان من المرض ٠

نظافة شعر الرأس :

لا يكتفى الاسلام بالغسل المتكرر فى نظافة الرأس بل يأمر أيضا بتهذيب الشعر وحسن مظهره فالرسول يقول (من كان له

شعر فليكرمه) . وعن عطاء بن يسار أن رجلا ثائر الرأس واللحية دخل على رسول الله فأشار اليه الرسول وأمره بغسل شعره واصلاحه ففعل ثم رجع الى مجلس الرسول فقال صلى الله عليه وسلم : أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » ومرة أخرى رأى الرسول رجلا أشعر أشعث فقال : « أما وجد هذا ما يسكن به شعره ؟ » .. وهكذا فان العناية بالشعر وغسله وتسريحه وتعطيره سنة حسنة في الاسلام ..

وقد انتشرت بين الشباب هذه الأيام اطالة الشعور . وهي عادة لا بأس بها ولا تتعارض مع الدين طالما يحرص الانسان على نظافة شعره وترجيله ولا يعتبر ذلك تشبها بالنساء لأن التشبه المنهي عنه في الاسلام هو التشبه في الأخلاق أى (التخنث) وقد كان الرسول وأصحابه يطيلون شعورهم حتى الكتف .

نظافة الثوب واناقته :

من روائع الاسلام انه لا يقبل من المسلم صلاة ولا وضوءا اذا كان ثوبه قذرا .. والاسلام كما ذكرنا يسمى القذارة نجاسة ويعتبر لبس الثوب الذى يتلوث بأى مادة من المواد النجسة السابق ذكرها محرما الا بعد ازالة النجاسة وازالة رائحتها ولونها ولو بغسل الثوب سبع مرات .. والى جانب هذا فهناك درجات أخرى من القذارة أقل من النجاسة وهي تجعل لبس الثوب مكروها وان لم يكن محرما .

فقد كان الرسول يستاء اذا رأى مسلما لا ينظف ثوبه ويقول لأصحابه « أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه ؟ » .

والثوب الأنيق النظيف لا يعتبر كبرياء أو تعاليا فى الاسلام.. قال رسول الله : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » . فقال له رجل : « يا رسول الله .. ان الرجل يحب أن يكون

ثوبه حسنا ونعله حسنا فهل هذا كبر » ·· فقال الرسول : « ان الله تعالى جميل يحب الجمال » · وأخذ يذكرهم بقول الله تعالى : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » وليس القصد بالزينة هنا الملابس الأنيقة فحسب بل النظيفة أولا · ·

نظافة الطعام :

لقد بلغت تعاليم الاسلام في نظافة الطعام والشراب القمة فى الدقة العلمية فرغم أن هذه التعاليم ترجع الى ١٤ قرنا من الزمان الا أنها تشتمل على الكثير من الحقـائق العلمية والطبية التى لم تكتشف الا فى عصرنا الحديث ·· فمن ذلك :

(أ) أمره كل مسلم أن يغطى اناء الطعام وأن يسد وعاء الماء ولا يتركه مكشوفا للأتربة والذباب والميكروبات · وفى هذا يقول رسول الله : « أوكئوا قربكم واذكروا اسم الله · وغطوا آنيتكم واذكروا اسم الله » (البخارى ومسلم) ·

ويقول ايضا :

« غطوا الاناء وأوكئوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء » (رواه مسلم) ·

ويقول أيضا :

« اتقوا الذر فان فيه النسمة » والذر هو الغبار والنسمة هى المرض · ولنا ازاء هذه الأحاديث الثلاثة وقفة تأمل ·· فمن الحقائق العلميـــة التى لم تكن معروفة الا بعـد اكتشاف الميكروسكوب والميكروب وطرق انتقال العدوى ·· ان بعض الأمراض المعدية تنتقل بالرذاذ عن طريق الجو المحمل بالغبار (أى الذر) وان الميكروب

يتعلق بذرات الغبار عندما تحملها الريح وتصل بذلك من المريض الى السليم عن طريق فمه وانفه أو آنية طعامه وشرابه • ومن هذه الحقائق أيضا أن الأمراض المعدية تسرى فى مواسم معينة من السنة بل أن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليله حتى الآن : من أمثلة ذلك أن الحصبة وشلل الأطفال تكثر فى سبتمبر وأكتوبر والتيفود يكثر فى الصيف أما الكوليرا فانها تأخذ دورة كل سبع سنوات •• والجدرى كل ثلاث سنين وهذا يفسر لنا قول الرسول : ان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء » أى انها أوبئة موسمية ولها أوقات معينة » •

وكم نتمنى أن يلزم الباعة المتجولون ومحلات البقالة والخضر والفاكهة وجميع المطاعم بأن يكتبوا هذه الأحاديث فى لوحة كبيرة تعلق داخل متاجرهم لكى تذكرهم بتغطية الأطعمة والأشربة من الذباب أو وضعها داخل عارضات زجاجية مغلقة غلقا جيدا وأن يعتبروا ذلك من أوامر الدين قبل أن يكون من أوامر وزارة الصحة وقسم الطب الوقائى •• ولو نفذنا أوامر ديننا وحدها لكفانا ذلك نقد الأوروبيين الذين أصبحوا يعتقدون أن الزبالة والذباب فى شوارعنا ومحال الطعام هما جزء من ديننا •

(ب) ويحرص الاسلام على نظافة اناء الطعام أو الشراب سواء قبل وضع الطعام فيه أو بعد استعماله ••

وقد ذكرنا عددا من المواد التى يعتبرها الاسلام نجاسة •• ومن هذه المواد الدم ولعاب الكلب ولازالة النجاسة يجب غسل الاناء سبع مرات أولاها بالتراب لقول الرسول : « طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب : وحكمة الغسل بالتراب ان العرب لم يعرفوا الصابون فى ذلك الوقت وكان التراب الوسيلة الوحيدة لازالة بقايا الطعام من دهن وظفر وهى التى

يختبيء فيها الميكروب وبذلك يكون الصابون والماء مجزيا فى عصرنا هذا عن التراب ·

(جـ) نظافة الشراب :

يهتم الاسلام بنظافة الماء والحليب وأنواع الشراب ويضع شروطا دقيقة لطهارته ·· ومن هــذه الشروط أن لا يتغير طعمه ولا لونه ولا رائحته واذا تخمر الشراب اصبح نجسا لا يجوز شربه ·· وقد نهى الاســلام أن يتبادل الجماعة الشرب من اناء واحد ·· أو أن يضعوا أفواههم على مصدر المشراب ·· بل أن يشرب كل منهم فى كاس خاص وفى ذلك تقول السيدة عائشة ·· « نهى رسول الله أن يشرب فى السقاء لأن ذلك ينتنه » « وعن أبى سعد أن رسول الله نهى عن اجتثاث الأسقية أن يشرب من أفواهها » ·

فمن المعروف أن الكثير من الأمراض ينتقل بهذه الوسيلة الى السليم من المريض عن طريق اللعاب والشفتين واهم هذه الأمراض الانفلونزا والدفتريا والتيفود والسيلان والزهرى وغيرها كثير ··

وقد كان لرسول الله كأس خاص من الخشب يشرب فيه فى البيت هو والسيدة عائشة ··

ومن الملاحظ أن الرسول دقق على ألا يتنفس الشارب داخل الاناء وهو يشرب منه لأن بعض الميكروبات قد تنتقل مع النفس وتعيش فى السوائل أكثر مما تعيش فى الهواء الخانق ·

بعد أن تحدثنا عن النظـافة الشخصية للانسان نتحدث عن نظـافة البيئة المحيطة به كمصادر الميـاه والشوارع والبيوت وهو ما يسمى فى الطب Sanitation ·

نظافة مصادر الماء :

والمقصود بمصادر المياه هنا هى ماء الترع والأنهار والآبار ·

يضاف الى ذلك مياه البحر المالحة والتي قد تستعمل للغسيل لا الشرب ·

وقد دقق الاسلام بشدة على عدم تلويث مصادر المياه فمنع القاء الزبالة أو النجاسة فيها وحرم التبول أو التبرز فيها واعتبر ذلك مجلبة للعنة الله تعالى ·· وفي ذلك يقول الرسول : اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وفي الظل وفي طرق الناس » ويقول أيضا : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه » وعن ابن ماجة (ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبال في الماء الجاري) ·

ومعروف أن الكثير من الأوبئة مثل الكوليرا والتيفود وشلل الأطفال والتهاب الكبد المعدى قد تنتقل بالماء وتعيش فيه ·· وأن البلهارسيا تنتقل الى الماء عند التبول فيه وبعد أن تتطور في الماء تنتقل الى من يستحم أو يشرب منه ·· أما الانكلستوما فانها تخرج مع البراز وتعيش في الطين قرب الشاطىء الى أن تصل الى جسم السليم ·

ولهذه الأسباب يعتبر فقهاء الاسلام ان الماء الذى يصيبه البول نجسا ولا يجوز الوضوء منه أو الاستحمام فيه أو الشرب منه ·

ومن الملاحظ هنا ان أحاديث رسول الله تركز وتؤكد دائما على الماء الراكد أو الدائم مثل مياه الترع الصغيرة والآبار ·· وقد ثبت علميا ان معظم الميكروبات وبيض الديدان كالبلهارسيا لا تستطيع الحياة طويلا أو التكاثر في المياه الجارية كمياه النيل أما الترع الصغيرة والآبار ذات الماء الراكد فانها تشكل خير بيئة لتكاثرها ··

نظافة المساكن والشوارع :

يهتم الاسلام بنظافة المدينة · فيمنع اهمال الزبالة أو تجميعها

أو القاءها في البيوت والشوارع .. ويأمر المسلم اذا وجد أى شيء ملقى في الطريق أن يبعده حتى لا يؤذى أحدا أو يشوه منظر الطريق ويحرم الاسلام نجاسة الطريق العام بالقاء القذارة فيه أو بالتغوط أو التبول .. ويعتبر من يفعل ذلك مستحقا لعنة الله والملائكة والناس .. وهذه هي تعاليم الاسلام في كل هذه المجالات .

(أ) ففي نظافة البيوت يقول الرسول : « ان الله تعالى طيب يحب الطيب .. نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم .. فنظفوا أفنيتكم ودوركم » ويقول أيضا : « نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود التي تجمع الأكباء في دورها » وذلك لأن اليهود كانوا يلقون بالزبالة في الطريق أو في افنية بيوتهم وكان الرسول يتأذى من الروائح الكريهة التي تخرج من أحيائهم وشوارعهم .

(ب) ويحث الرسول المسلمين على نظافة الطريق فيقول : « من سمى الله ورفع حجرا أو شجرا أو عظما من طريق الناس مشى وقد زحزح نفسه من النار » ويقول : « من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم » وقوله : « أن تميط الأذى عن طريق الناس لك صدقة » . ومعنى الأذى هنا هو ما قد يضر أو يلوث الطريق أو ينجسها كالزبالة .

(جـ) ومن آداب الجلوس في الطريق في الاسلام عدم القاء القاذورات لقول الرسول : « اياكم والجلوس في الطرقات » .. قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجلسنا نتحدث فيها .. قال : « فاذا أبيتم الا الجلوس فاعطوا الطريق حقه » .. قالوا وما هو حقه قال : « غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .. والقصد عن كف الأذى جميع أنواع الأذى ومن بينها القاء الزبالة في الطريق .

(د) ويحرم الاسلام التبرز أو التبول في الشوارع العامة

مهما كان السبب فيقول الرسول : « اتقوا الملاعن الثلاث ·· البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل » · وكلمة الظل هنا تعنى فى عصرنا جدران البيوت وأرصفة الطريق وتحت الشجر ·

ويقول الرسول أيضا : « ومن غسل سخيمته على طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ·

(هـ) ومن روائع الاسلام أنه حرم البصق على الأرض ، وجعل ذلك خطيئة ومن يفعلها تقلل من حسناته وثوابه ·· وذلك لأن البصاق قد يكون مليئا بالميكروبات المعدية كميكروب السل وهذه الميكروبات تنقلها الريح الى السليم ·· فعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « البصاق على الأرض فى المسجد خطيئة وكفارتها ردمها » ورغم ان الحديث ذكر أرض المسجد الا أنه يشمل عامة طرق المسلمين حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » ·· ويقــول : « من آذى المسلمين فى طريقهم وجبت عليه لعنتهم » ·

والحكمة العلمية وراء ردم البصـــاق أن تدفن فى الأرض فلا ينقلها الريح كمـا ان الميكروبات لا تعيش طويلا فى التـراب الجاف ·

وهكذا لم يترك الاســلام صغيرة ولا كبيرة فى نظافة البيئة وصحتها الا طرقها · وأكد عليها · ولو طبقنا قواعد الاسلام لكانت البيئة الاسلامية أطهر وأنظف بيئة فى الوجود ولأصبح مظهر المسلمين أنظف وأطهر مظهر بين كافة الأمم · وصدق رسول الله اذ يقول فى وصف أصحابه : « احسنوا رداءكم ·· واصلحوا ركابكم ·· حتى تكونوا شامة فى النـاس » وهــذه هى علامات البيئــة الصـحية الاسلامية · انسان نظيف ومسكن نظيف وطعـام نظيف وشراب نظيف ·· فى مدن مرتبة ونظيفة ·

الأمراض والأوبئة التي يمكننا منعها والوقاية منها بالنظافة الاسلامية

من أهم أسباب حرص الطب على النظافة هو منع توالد الحشرات الناقلة لميكروبات الأمراض .. وكذلك منع الانسان من نقل الميكروبات فى يديه أو أدوات الطعام من المريض الى السليم .

وهذه هى بعض الأمراض التى تنقلها الحشرات :

١ ـ وأخطر هذه الحشرات هو **الذباب** : وسبب انتشاره الزبالة المكشوفة والتغوط فى الطرق العامة . وينقل الذباب على جناحيه وأرجله الميكروبات من المريض الى السليم أو من البراز الى الطعام والشراب وهذه الأمراض هى :

أمراض ينقلها الذباب الى الطعام :

١ ـ التيفود والسالمونيلا .

٢ ـ الدوسنتاريا بأنواعها الأميبية والباسيلية .

٣ ـ ميكروب التسمم الغذائى والشيجلا .

٤ ـ الحميات الخطرة مثل ـ شلل الأطفال ـ التهاب الكبد المعدى ـ الكوليرا ـ والجدرى .

أمراض ينقلها الذباب الى العين كالتهاب العين والتراكوما عن طريق تلويث الجروح بنقل :

١ ـ الحمى القرمزية .

٢ ـ تقيح الجروح .

ذباب الرمل وينقل قرحة حلب (لشمانيا) .

٢ ـ **والصرصار** : يعيش على الزبالة وينقل الى الطعام نفس الأمراض التى ينقلها الذباب .

٣ ــ **والبرغوث** : يعيش على جسـم الانسان والحيوانات بسبب القذارة وعدم الاستحمام وينقل الأوبئة مثل الطاعون والتيفوس كما ينقل الطفيليات مثل الهيمونوليبس ·

٤ ــ **والقمل** : يعيش فى الرأس والجسم بسبب عدم الاستحمام أيضا وينقل التيفوس والحمى الراجعة وحمى الخنادق ·

ــ **والناموس** : يعيش فى المستنقعات والميـاه الراكدة والبيوت السيئة التهوية وينقل الملاريا والفيلاريا والحمى الشـوكية والحمى الصفراء وحمى الدنج ·

قذارة الأيدى والأمراض التى تنقلها :

فكثير من الميكروبات يعيش تحت الأظافر الطويلة القذرة أو ينتقل بعد التبرز عند عدم غسل اليد ويصل الى الطعام عند اعداده ومن هذه الأمراض جميع الأمراض التى ينقلها الذباب وأهمها التيفود والسالمونيلا والدوسنتاريا والتسمم الغذائى وأيضا بيض الديدان واهمها الاكسوريس والاسكارس والتنيا بأنواعها ·

هـذه هى بعض الأمراض التى تنقلها الحشرات التى تنتقل باللمس وسوف نأتى بتفصيل أكثر الى المجموعة الأخرى التى تنتقل باغذية أو عادات حرمها الاسلام ·

ثانيــا ..

علم مكافحة الأوبئة

Epidimiology

تعاليم الاسلام الوقائية عند حدوث المرض المعـدى

تختلف تعاليم الاسلام اختلافا جذريا عن غيره من الأديان فى مواجهة المرض . والملاحظ ان تعاليم معظم الديانات السابقة للاسلام تعتمد فى معالجة المرض على الرقى والتمائم والأحجبة وعلى دعوات رجال الدين لطرد الأرواح الشريرة وعلى اضاءة الشموع ودهن جسم المريض بالزيت الى غير ذلك من التعاليم التى أبطلها العلم الحديث .. وقد كان الخطر من وراء هذه التعاليم أنها لاتعترف بالطب ولا الدواء بل تعتبر أن المريض لابد وأن يشفى بالدعاء وحده . ولا يذكر أى دين من هذه الأديان شيئا عن الوقاية من المرض سواء بالنظافة أو بالعزل أو بالبعد عن مصدر العدوى .

وتأتى تعاليم الاسلام الوقائية فى كتب المشرع .. تحت باب « آداب عيادة المريض » . وتتميز هذه التعاليم بالأسلوب المنطقى والعلمى الذى لا يختلف عن أسـاليب الدول المتطورة فى القـرن العشرين .

١ ــ وأول هذه التعاليم التي ينادى بها الاسلام عند وقوع المرض هى عدم السخط أو الانزعاج أو الذعر من المــرض والتزام الصبر عند الشدة والرضى بقضاء الله وقدره • وهذه الفلسفة الاســلامية فى مواجهة المــرض تجعل المسلم يقابل المــرض بمعنويات عالية تساعده على سرعة الشفاء •• اذ أنه يعتبر ان المــرض امتحان من الله للانسان فى عزيمته وزكاة عن صحته • وغفران لأخطائه وسيئاته وفى هذا يقول الرسول « ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها » •• وينهى الرسول عن التبرم من المرض أو سبه لأن السخط والسب ليس من خلق المسلم علاوة على أنه لا يساعد على الشفاء وفى هــذا يقول صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد » •

٢ ــ والأمر الثانى من تعاليم الاسلام هو وجوب الاستعانة بالطبيب المختص لمعرفة المرض واعطاء العلاج للمريض من دواء وحقن أو اجراء عملية اذا لزم الأمر • وقد جاء فى السيرة ان رسول الله دخل على مريض يعوده فلما رآه طلب من أهله أن يرسلوا الى طبيب فقالوا مستغربين « وأنت تقول ذلك يا رسول الله » فقال الرسول « نعم تداووا عباد الله فان الله عز وجل لم ينزل داء الا أنزل له دواء » ومن أقوال الرسول أيضا : « لكل داء دواء فاذا أصاب دواء الداء برىء باذن الله عز وجل » • ويقول : « ما من داء الا وله دواء الا داء واحد » قالوا ما هو قال : « الهرم » •

٣ ــ والاسلام فى نفس الوقت لا يهمل الجانب الروحى فى علاج المريض ولا يأمر بترك الدعاء له بالشفاء سواء كان هذا الدعاء بآيات من القرآن تتلى له أو بالصلاة أو حتى بالتمنيات الطيبة

ولكنه يختلف عن غيره من الأديان في أنه لا يرضى باهمال العلاج على حساب الدعاء والصلاة بل يجعل لكل منهما مكانه : ومن دعوات رسول الله لأصحابه عند المرض قوله : « اللهم أذهب عنه ما يجد وأجره فيما ابتليته » .

٤ ـ ومن تعاليم الاسلام الوقائية **عزل المريض** بالمرض المعدى في البيت أو المستشفى وعدم اختلاطه بغيره من الأصحاء حتى لا ينقل اليهم العدوى .. فاذا كان عاملا في مصنع أو تلميذا في مدرسة أو حتى من يركب في المواصلات العامة عليه اذا كان مرضه معديا أن يراعي الله في صحة الناس وأن يعتزل مجالسهم وألا يختلط بهم حتى يشفيه الله وحتى لا يعطل العمل والانتاج . أو يبتلي غيره بالمرض وفي هذا يقول رسول الله « لا يورد ممرض على مصح » أي لا يدخل المريض على الأصحاء فينقل اليهم العدوى .

٥ ـ وفي نفس الوقت الذي يأمر فيه الاسلام بعزل المريض المعدى وعدم دخوله على الأصحاء فانه يأمر الأصحاء بدورهم بالبعد عنه الى أن تزول عنه مظاهر العدوى ويصبح غير ناقل للمرض وفي هذا يقول الرسول : « ان من القرف التلف » (أخرجه أبو داود) والقرف هو مقارفة المريض أي ملامسته والاحتكاك به والتلف هو الهلاك .. أي .. العدوى .

٦ ـ وقد سن الاسلام مبدأ الحجر الصحي أي عزل المريض الذي لا يرجى شفاؤه عن الناس ورخص للناس في عدم السلام عليه أو الاختلاط به .. فقد جاء الى الرسول وفد من البادية لكي يبايعوه وبينهم رجل مصاب بالجذام فرفض الرسول أن يدخل المجذوم في مجلسه أو يبايعه باليد وأرسل اليه من يقول له : « أبلغوه أنا قد بايعناه فليرجع » وهو مثل رائع

في تغليب العقل على العاطفة والمنطق العلمي على المجاملات ومن أقوال الرسول في هذا : « اجعل بينك وبين المجذوم قدر رمح أو رمحين » .

٧ ـ والاسلام يضع قاعدة صحية خطيرة في التعامل مع المرض الوبائي كالكوليرا والطاعون والجدري .. وتتلخص هذه القاعدة في قول الرسول : « اذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا عليه .. واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » .

وهذه القاعدة لا تختلف عن أحدث التعاليم العلمية في عصرنا الحديث .. فالمتبع في وزارات الصحة انه اذا وقع وباء كالكوليرا أو الجدري في أي مدينة يضرب حولها نطاق عازل محكم .. ويمنع الناس من الدخول اليها تحت أي ظرف من الظروف الا رجال الصحة ومن يقتضي الأمر دخولهم تحت الاشراف الصحي وفي نفس الوقت يمنع خروج أي انسان أو حتى سيارة ولو كانت تحمل الصحف والكتب من داخل المدينة الى خارجها .

وقد حدث أن كان عمر بن الخطاب يريد زيارة الشام مع كبار الصحابة .. فخرج أبو عبيدة حاكم الشام اليه لكي يقابله في الطريق وأبلغه أن في الشام وباء الطاعون .. وأخذ عمر يتشاور مع الصحابة فمنهم من طالبه بالمضي الى الشام وعدم الهرب من الوباء أو من قدر الله . ومنهم من طالبه بالعودة وعدم تعريض المسلمين وكبار الصحابة الى الوباء ويعتبرون ان محاولة الهرب من الوباء والنجاة منه بمثابة الهرب من قضاء الله الى قضاء الله .. وأخيرا جاء احد الصحابة وأخبرهم بالحديث الذي سمعه عن الرسول فحسم الأمر وعاد الى المدينة وأمر أهل الشام بعدم الخروج الى أن ينتهي الوباء .

٨ ـ والاســلام بهذا المفهوم المتفتح يحث بل يأمر بالتطعيم العام طالما كانت فيــه وقاية من المرض ولا يعتبــر ذلك هروبا من قضاء الله ٠٠ فقد جاء رجل الى الرسول يسأله : « يا رسول الله أرأيت فى أدوية نتعاطاها وعلاج نأخذه ٠٠ أيمنع هذا من قدر الله ٠٠ فقال الرسول : « بل هى من قدر الله » ٠

٩ ـ ومن آداب الاســلام فى عيادة المرضى غسيل الأيدى قبــل الدخول على المريض وبعد الخروج من عنده ٠٠ بل ان الاسلام يستحسن أن يكون الغسيل وضوءا كاملا ودقيقا أى غسيل الوجه والأنف والحلق والأرجل مع غسيل اليدين وفى هذا يقول رسول الله :

« من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المريض بوعد من النــــار » ٠

وحكمة هذه التعاليم ان الانسان السليم قد يكون حاملا للميكروب فى يديه أو حلقه ٠٠ وكثيرا ما يكون المريض أو الناقه من المرض ضعيف البنيــة وضعيف المقــاومة للمرض ودخول أى شخص حامل للميكروب عليه قد يصيبه بمرض جديد : اما عند الخروج من زيارة المريض فحكمة الغسيل أو الوضوء بعدها الا يحمل الانسان منه أى ميكروب الى نفسه أو غيره من الناس ٠

١٠ ـ وأكثر الأمراض المعدية كالدفتريا والحصبة والسعال الديكى وخصوصا أمراض البرد كالانفلونزا والزكام كلها تنتقل عن طريق الرذاذ أى بالعطس فى الجو ٠٠ وقد استن رسول الله سنة حميدة للمسلمين فى ذلك ٠٠ فكان اذا عطس أدار وجهه وغطى أنفه وفمه بكفيه أو بطرف ثوبه وكان الصحابة كلهم يفعلون ذلك ٠٠ ومن أقوال رسول الله عن العطس : « شمت

اخاك عند العطس حتى ثلاثة فما زاد فهو زكام » • ومعنى الحديث ان العطس اذا زاد عن المعقول فهو زكام ويجب الحذر منه وفي الدول الصناعية المتطورة هذه الأيام يأمرون العمال وطلبة المدارس اذا أصيب أحدهم بالزكام أن يلبس على وجهه قناعا من القماش ويسير به أينما ذهب حتى لا يملأ جو المصنع أو المدرسة بالعدوى •• عندما يعطس أو يتنفس فما أبدع حكمة رسول الله وأروع سنته التي جاءت قبل العلم الحديث بأربعة عشر قرنا من الزمان •

١١ ـ وهناك كثير من ميكروبات الأمراض المعدية يمكنها أن تصل الى الانسان عن طريق ذرات الغبار المعلقة في الهواء •• مثال ذلك اذا بصق انسان مريض بالسل على الأرض فان الميكروب الموجود في البصاق يعيش مدة طويلة ثم يحمله الهواء مع ذرات الغبار فيصل الى الانسان السليم عندما يستنشق هذا الهواء ونفس الشيء يحدث مع جميع أمراض الرذاذ كالدفتريا والتهاب الحلق المعدى والانفلونزا وقد جاء حديث رسول الله يصف هذه الحقيقة العلمية ويحذر منها فيقول : « اتقوا الذر فان فيه النسمة » والذر هو الهواء المحمل بذرات الغبار والنسمة هي الأمراض التي تنتقل عن طريق التنفس •

١٢ ـ ومن هنا أيضا تأتي حكمة الرسول في قوله صلى الله عليه وسلم : « البصق على الأرض في المسجد خطيئة وكفارتها ردمها » لأن دفن البصاق في التراب يقتل الميكروبات ويمنعها من الحياة ••

ثالثـا ..

علم التغذية فى الاسلام

Nutrition

« ويحل لهم الطيبات .. ويحرم عليهم الخبائث »

قرآن كريم

تتأثر الشعوب فى صحتها بل وأيضا فى اخلاقها وعاداتها بنوع الغذاء الذى تأكله وبطريقة تناولها لهذا الطعام ..

وقد اهتم الاسلام بغذاء المسلم اهتماما لم يسبقه اليه أى دين أو تشريع من قبل فلا يخلو كتاب من كتب الفقه والتشريع من باب عن علم التغذية يسمى باب الأطعمة والأشربة ..

فمن الأطعمة ما حرمه الاسلام لضرره بصحة الانسان أو بأخلاقه ومن الأطعمة ما حث عليه لأن تركه يضعف المسلم جسميا أو معنويا ومن عادات الطعام أيضا ما يضر فنهى عنه الدين . ومنها ما ينفع فنظمه الدين وحث على اتبـاعه . ومن الملاحظ فى هذا المجـال أن الاسلام يختلف فى تنظيمه للغذاء عن العـلوم الحديثة فى أنه لا يقصر تعاليمه على الجانب المادى وحده ولا ينظر الى بناء الجسم فحسب .. بل هو يهتم أيضا بكل ما يؤثر على الأخلاق والمعنويات والسلوك الانسانى .

وتنقسم تعاليم الاسلام الغذائية الى ثلاثة أبواب :

أولا ـ الأغذية المحرمة ٠

ثانيا ـ الطعام المباح ٠

ثالثا ـ تنظيم عادات الغذاء ٠

أولا ـ الأطعمة المحرمة على المسلم

يقول الله تعالى :

« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم » المائدة ٣ ٠

فلننظر الى الحكمة العلمية لتحريم كل واحدة من هذه الأطعمة ٠ وقد رأيت أن أفرد فى آخر الكتاب بابا مستقلا لموضوع لحم الخنزير وذلك لاهمية هذا البحث وخاصة للشباب المسلم الذين يتلقون العلم فى الغرب ويحتاجون الى رد علمى مقنع ومفصل :

اولا ـ تحريم الميتة :

من المعروف علميا ان الحيوان لا يموت الا لسببين اما الشيخوخة وكبر السن واما المرض ٠ فاذا كان السبب هو المرض فالانسان قد يتعرض للعدوى بأحد طريقين ٠٠ اما عن طريق انتقال الميكروب مباشرة من اللحم الى الانسان اذا لم يكن اللحم قد طهى جيدا ٠٠ واما عن طريق السميات التى يفرزها ميكروب المرض والتى لا يمكن أن يقتلها الطهو وهذه تسبب التسمم الغذائى ٠

وكثيرا ما يكون موت الحيوان بسبب أكله بعض الأعشاب السامة أو المواد الكيميائية القاتلة وفى هذه الحالة فان أثرها يبقى فى لحمه ويصيب من يأكله ٠

والآن اذا جئنا الى الشيخوخة وجدنا أن الحيوان الذى يهرم يصاب بتليف فى جميع أنسجة جسمه فيفقد قيمته الغذائية ويصبح عسر الهضم فى الأمعاء ٠ وغنى عن البيان أن المقصود بالميتة هنا هى الحيوان الذى مات لتوه ولم يصب لحمه بالتعفن ٠٠ لأن الحيوان المتعفن تعافه النفس البشرية بطبيعتها ولا يحتاج الأمر الى نزول أمر فى القرآن يمنعه ٠

ونلاحظ هنا أن الاسلام يؤكد على نوعين من الميتة أحلهما للمسلمين : هما طعام البحر وصيد البر ٠٠ فالسمك يموت بمجرد خروجه من البحر ولا يعتبر ذلك مرضا ٠٠ والصيد أيضا يموت اذا ضرب بالسهام أو بالرصاص ولا يعتبر ذلك مرضا وضررا بأكله وهذا يؤكد لنا أن حكمة الله فى منع الميتة هى منع انتقال المرض والضرر فحسب ٠

ثانيا ـ تحريم الدم :

يقوم الدم فى جسم الكائن الحى بوظيفتين :

الأولى أنه ينقل المواد الغذائية التى تمتص من الأمعاء مثل البروتينات والسكريات والدهنيات الى أعضاء الجسم وعضلاته الى جانب حمله للفيتامينات والهرمونات والأوكسيجين وجميع العناصر الحيوية والضرورية والوظيفة الثانية هى حمل افرازات الجسم الضارة والمعدة للخروج فى البول والعرق والبراز لكى يتخلص منها الكائن الحى ٠ واذا كان الحيوان مريضا فان الميكروبات تتكاثر عادة

في دمه أو تستعمل الدم كوسيله لانتقالها من عضو الى آخر كما ان افرازات الميكروب وسمياته تنتقل عن طريق الدم أيضا ..

ولهذه الأسباب فقد حتم الاسلام الذبح الشرعي الذى يقتضى تصفية دم الحيوان بعد ذبحه وقد يقول قائل ان بعض الشعوب غير الاسلامية لا تستعمل طريقة الذبح بل تكتفي بخنق الحيوان ثم أكله بدمه . ولا شك ان أى مسلم يتذوق هذا اللحم سوف يميزه في الحال بسبب المرارة الناجمة عن آثار الدم فيه ، هذا اذا اعتبرناه خاليا من الأمراض والضرر .

ثالثا ـ المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع :

من المعروف علميا أن الكائن الحى اذا اختنق أى منع دخول الأوكسيجين الى رئتيه فانه تتراكم فى الجسم مادة ثانى أوكسيد الكربون السامة كما تتراكم جميع الافرازات السامة التى تخرج عادة مع النفس فى عملية الزفير وهذه المواد اذا احتبست عادت لتمتص فى الجسم وتحدث التسمم فى كل أنسجته ثم الوفاة .

والموقوذة : هى الحيوان الذى يضرب ضربا يؤدى الى الموت بعد أن يتلف الضرب انسجة الجسم وعضلاته .

والنطيحة والمتردية : هى ما مات عن حادث كدهم السيارة أو سقوط من مكان عال وكلاهما يفسد لحمه كالضرب المفضى الى المـوت ..

اما ما آكل السبع : (والسباع هنا هى كل حيوان ذى ناب من آكلات اللحوم كالكلب والثعلب وابن آوى) وحكمة ذلك ان هذه الحيــوات البرية قد تكون مصابة بمرض يظهر فى فمها ولعابها وتبقى آثاره على اللحم فتؤذى من يأكل منه وتمرضه ولنا هنا ملحوظة يجب أن توضع فى الاعتبار :

(أ) ان الاســلام لا يحرم على المسلم تناول أى نوع من هذه الأطعمة اذا كان مضطرا كمن يتعرض للهلاك جوعا ٠

(ب) أن هناك جانبا روحانيا وأخلاقيا فى التحريم يجب ألا نغفله فليس الطب الجسمى هو العامل الوحيد ولكن هناك الطب الروحى والأخلاقى أيضا ٠٠ فالاسلام يحرم تحريما قاطعا كل أنواع العنف والعدوان للحصول على الطعام ٠٠ فيحرم ضرب الحيوان أو خنقه أو تعذيبه ٠٠ كما أنه يكرم الانسان تكريما حينما ينهاه عن أكل اللحم الذى يتبقى من الحيوانات الأخرى أو أكل حيوان دهمه انسان مستهتر بسيارته وهكذا ٠٠

(جـ) والاسلام يحرم « ما أهل لغير الله به » والقصـــد من ذلك أن لا يؤكل الا ما ذبح ذبحا شرعيا فيه اكرام للحيوان نفسه وصيانة للمسلم عن مخالطة عقيدة الشرك بأكل حيـوان ذكر عليه اســم غير اسمه تعـالى كأسماء الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله ٠

رابعا ـ لحم الخنزير ٠٠ وحكمة الاسلام فى تحريمه :

(راجع البحث العملى المفصل فى آخر هذا الكتاب) ٠

٢ ـ كيف حارب الاسلام سوء التغذية :

« فى كل لقمة يتناولها المسلم صدقة »

(محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اغذية احلها الاسلام او شجع عليها :

لم يكتف الاسلام بالنص على كل المحرمات ٠٠ بل تعدى ذلك الى تنظيم الغذاء الحلال والى توجيه المسلمين الى ما ينفع أبدانهم ويحفظ صحتهم ٠

وهو فى هذا لا يتبع أسلوب النهى القاطع ولا الأمر الملزم كما هو الحال فى المحرمات ولكنه يكتفى هنا بالتوجيه غير المباشر ·· وغير الملزم حتى لا يكون فى الدين عسر ولا ارهاق وبهذه الطريقة نجد أن الاسلام قد نظم ولا نقول ألزم أو حدد للمسلمين الطعام الذى حلله لهم من ناحية :

أولا — نوع الطعام ·

ثانيا : نظام الطعام ·

ولكى ندرك مدى ما فى تعاليم الاسلام من منطق علمى وفكر علمى فلابد أولا من دراسة مقارنة للأديان الأخرى :

فالبوذية : مثـــلا تحرم على كل من يعتنقها أكل اللحوم على الاطلاق · وذلك لمبدأ (الأهيمسة) أى عدم العنف باعتبار أن الذبح فيه قسوة وقد أثبتت التجارب العلمية ان الانسان اذا عاش على النبـاتات وحـدها أصيب بالهزال وضعف البنيـــة وتعرض لأمراض فقر الدم · ولعل هذا أحد الأسباب الرئيسية فى تسمية الشعوب النباتية بالشعوب الصفراء ·· وقد بدأت اليابان والصين فى العصر الحديث بمحاربة هذه العادة النباتية حفظا على صـحة أبنائها وذلك بتشجيع أكل اللحوم فى المدارس والمعاهد ·

ولكن لأن هذا التغير فى حياتهم قد بدأ بدون هدى من عقيدة معينة أو دين أو مبدأ فقد أقبلت الصين على أكل الكلاب والثعابين كما أقبلت اليابان على أكل السمك النيىء دون طهيه ·

ومن المعروف علميا أن اللحوم كمصدر للغـذاء تحتوى على العناصر الحيوية لتكوين الدم وأهمها الحديد والزنك وفيتامين ب١٢، كما أن كميـة البروتين والدهنيـات فى اللحوم أكبر وأكثر فائدة وتنوعا منها فى النباتات ·

والهندوكية : تحرم لحم البقر بسبب تقديسهم للبقرة واعتبارها في منزلة الآلهة والذى يهمنا هنا في موضوعنا أنه لم يثبت طبيا ولا علميا أن هناك أى ضرر من تناول لحم البقر طالما طهى جيدا بعكس ما هو حادث في لحم الخنزير كما ذكرنا في دواعي تحريمه ٠

وهناك ديانات أخرى كالمسيحية تأمر بالصوم عن أكل الحيوانات وكل مشتقاتها وما يستخرج منها مثل البيض والحليب والجبن مدة تتراوح بين الأربعين والتسعين يوما كل عام ٠ وقد اتضح ان هذه المدة تكفي لظهور أعراض فقر الدم عند الأشخاص الضعيفي البنية والدم ٠

فاذا جئنا الآن الى الاسلام بعد هذا العرض المقارن للأديان الأخرى لوجدنا ان هذا الدين المنطقي عندما يحرم أو يحل طعاما انما

١ ـ ان الله وحده هو الخالق وهو وحده الذى له حق التقديس ولا يشاركه في التقديس أى مخلوق آخر سواء أكان انسانا أم حيوانا أم جمادا ٠

٢ ـ ان الله عندما يحرم على المسلم طعاما فذلك لتجنبه الأمراض والضرر وليس لتقديس ذلك الطعام ٠

٣ ـ ان تلك الحيوانات قد خلقها الله وسخرها لنا لننتفع بها ونأكل لحومها ٠

وقد سن الله لنا ركوبها والاستفادة منها وهي حية دون عسف أو ارهاق كما سن لنا صيدها وذبحها لأكلها مع الرحمة وعدم التجنى ٠

ومن تعاليم الاسلام في الذبح والصيد ما يأتي :

(أ) فقد نهى رسول الله : « ان نصبر البهائم » أى أن تمسك

وتجعل هدفا يرمى اليه حتى تموت ·· ولذلك عندما حكم العرب أسبانيا فقد أوقفوا مصارعة الثيران خلال حكم الاسلام لما فيه من تعذيب للحيوان وقسوة ·

(ب) ونهى الرسول عن (الحذف) وهو رمى الطير أو الحيوان بالحصاة أو النبلة وقال صلى الله عليه وسلم فى ذلك « أنها لا تصيد صيدا ولا تنكأ عـدوا ولكنها تكسر السن وتفقأ العين » صحيح مسلم ·

(جـ) ونهى رسول الله عن قتل الحيوان للتسلية أو للرياضة أو لمجرد تعلم الرماية ·· وقال فى ذلك : « لعن الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا » ·

(د) ويأمر الاسلام باحسان الذبح · فتكون الشفرة حادة وأن لا يرى الحيوان السكين ولا يروع أو يضرب قبل الذبح وأن يسمى عليه اسم الله ·

وفى هذا يقول الرسول : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » ·

(هـ) ومن حكمة الاسلام فى الصيد بالكلب المعلم المدرب أنك تستطيع أن تأكل من صيدك اذا أطلقت كلبك عليه ليمسكه ·· فاذا أكل منه كلبك فلا يجوز لك أن تأكل بعده لأن ذلك معناه ان كلبك كان جوعان فاضطر الى الأكل من الصيد فهو أحق به ·· ومن حكم الاسلام أنك اذا ·· وجدت الصيد وقد أمسك به كلب آخر غير كلبك فلا تأكل منه والحكمة الطبية وراء ذلك أنك تعرف كلبك وتعلم أنه غير مريض أما الكلب الضال فقد يكون حاملا للميكروب فى لعابه وقد يكون عقورا وفى هذا يقول رسول الله :

« اذا وجدت مع كلبك كلبا آخر فلا تأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره » ·· (صحيح مسلم) ·

(و) وهناك خمسة حيوانات سمح الاسلام بقتلها لغير الحاجة الى أكلها ولكن لمجرد حماية الناس من شرها وذلك لقول رسول الله :

« خمس لا جناح على من قتلهن » الفأر والعقرب والحية والكلب العقور والحدأة » وفي هذا يخالف الاسلام مبدأ (الأهيمسة) الذى يرفض قتل الحية والعقرب · هذه شروط الاسلام وتعاليمه فى الذبح · وهى تعاليم تجمع بين الرحمة والواقعية ·· وبين مصلحة الانسان والرأفة بالحيوان ·

وبهذه النظرة الواقعية يحل الاسلام للناس كل نوع من الطعام فيه فائدة لأجسامهم ولا يصيبهم بالضرر · وفى هذا يقول الله تعالى : « يسالونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات » · اى أحل لكم جميع ما تستسيغه الأذواق السليمة ·· ولا يكتفى الاسلام بمثل هذا التصريح بل نراه يستنكر كل محاولة أو تطوع من عبادة لتحريم شىء آخر زيادة على ما حرمه الله فيقول الله فى سورة الأعراف « **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا** » ·

ويؤكد الله تعالى على هذا المعنى فى سورة المائدة قائلا :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم** » ··

واخيرا نرى أن الله يعلن في سورة النحل :

« **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون** » ·
كل هذا الاهتمام والاصرار راجع الى أن الاسلام لا يرضى لأبنائه ضعف البنية واعتلال الصحة ·· فرسول الله يقول :

« المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » .

وهو ينهى عن الصيام الذى يضعف الجسد كما فى الديانات الأخرى فيقول : « لا صام من صام الدهر » .

ويقول : « فى كل لقمة يتناولها المسلم صدقة » .

وقد بلغه أن جماعة من المسلمين قرروا اعتزال النساء والصيام طول العمر فغضب صلى الله عليه وسلم وقال لهم :

« ان كنتم من رهبان النصارى فالحقوا بهم .. انى أصوم وأفطر وأقوم وأرقد وأنكح النساء .. وهذه سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » .. ويشير الله فى كتابه الى فضل الرجل القوى البنية فى مناسبات عدة فيقول : « وزادكم فى الخلق بسطة » . ويقول : « ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم » .

الغذاء المستحب للمسلم :

لا يكتفى الاسلام بهذه الاباحة المطلقة بل انه يشجع بطريقة جميلة ليس فيها الغصب ولا الاجبار على أنواع معينة من الطعام لما فيها من القيمة الغذائية والصحية . فمن الأطعمة التى جاء ذكرها بالاستحسان فى القرآن اللحوم ومنتجاتها سواء منها لحوم البر أم لحم البحر والعسل واللبن والتمر .

حكمة الاسلام فى تحريم المذاهب النباتية :

لقد أثبت علماء التغذية أن الانسان لكى يعيش عيشة صحية سليمة فلابد له من أكل اللحوم والنباتات معا ولا يمكنه الاقتصار على أحدهما دون الآخر .. ومن الملاحظ أن الشعوب النباتية مثل

الهند تكون أجسادهم هزيلة ضعيفة ٠٠ والطفل المولود فى الشعوب النباتية لا يزيد عادة عن ٢ كجم فى حين ان مثيله فى الشعوب الأخـرى يزيد على ٣ كجم ٠٠ ومما يعوض النبـاتيين أن يأكلوا المشتقات الحيوانية كالحليب والبيض الى جانب النباتات والا أصيبوا بالهزال وفقر الدم ٠٠

واللحوم تحتوى كمية كبيرة من البروتين والدهون وهى مواد لازمة لبنـاء أنسجة الجسم وتوليد الطاقة ٠٠ وحقيقة أن النبـات يحتوى على هذه المواد أيضا ولكن لكى يحصل الانسان على الكمية اللازمة لنموه وطاقته فلابد له من كمية كبيرة جدا من النباتات مما قد يجهد جهازه الهضمى وذلك لأن أمعاء الانسان قصيرة بالنسـبة لأمعاء الحيوانات آكلة العشب) ٠ وهناك اعتراض آخر على الأغذية النباتية وهى أن بروتينات النبات لا تولد جميع الأحماض الأمينية اللازمة لبناء أنسجة الجسم ٠

وهـكذا تظهر لنا حـكمة الاسلام فى محاربة المذاهب النباتية والحث على آكل اللحوم ٠

عن اللحوم : يقول الله تعالى : « **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون** » ويؤكد الله تعالى على أهمية اللحوم وعلى زيادة قوتها الغذائية على الأغذية النباتية وذلك عندما ابتدأ بعض أحبار اليهود يتجهون الى المذهب النباتى وقالوا : « **يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** » ٠٠ أى من البقول والحنطة وغيرها من الأغذية النباتية فكان الرد عليهم « **قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير** » ٠

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن الاسلام الذى جاء دينا وسطا قد أمر بالاعتدال فى آكل اللحوم وعدم الاكثار منها عن عمر عن رسول

الله : « اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر • وان الله يبغض أهل البيت اللحميين • فمن المعروف أن الاكثار من اللحوم يزيد الانسان حدة في الطبع وميلا الى العنف • كما أنه من الناحية الطبية يزيد نسبة الكولسترول في الدم بسبب الدهن الحيواني فيعرض الانسان للذبحة القلبية وتصلب الشرايين •

اللبن : هو الغـــذاء الثالث الذى يتحـدث عنه الاســـلام بالاستحسان وفيه يقول تعالى : « **نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين** » •• ورسول الله يقول : « لا أعلم ما يجزى من الطعام والشراب مثل اللبن » • واللبن لا يحتاج الى مزيد شرح لفوائده كغذاء كامل للطفل ولكبار السن •• ومن الأبحاث العلمية المشهورة أن الطبيب الروسى (بوجموليبتز) صاحب الأبحاث على اعادة الشباب قد لاحظ أن احـــدى القبائل المسلمة فى يوغوسلافيا يزيد متوسط العمر فيها على ١٠٠ مائة عـام •• وقد ظل يبحث عن أسباب ذلك فوجـد غذاءهم الرئيسى يعتمد على لحم الغنم وعدم أكل الخنزير ويعتمدون على العسل ولبن الماعز ولا يتناولون الخمور •

عسل النحل : وفوائده الطبية والعلمية : بحث مستقل فى آخر الكتاب •

٣ ـ الاسلام ونظام التغذية

الاسلام نظم غذاءنا كما وكيفا وتوقيتا

لم يقتصر الاسلام فى تعاليمه الغذائية على تحريم الأطعمـة الضارة بالصحة كالميتة والدم ولحم الخنزير ••

بل لقد حارب أيضا سوء التغذية بأن شجع المسلم على تناول

كل طعام مفيد كلحم البر والبحر وكل ما تنتجه الأرض من خيرات وثمار وعلى تناول العسل واللبن لقيمتها الغذائية •

وبعد هذا كله لا يكتفى الاسلام بذكر الحلال والنص على المحرمات من الطعام فقد شملت توجيهات الاسلام أيضا نظام الطعام ومواقيته وكميته وطريقة تناوله •• فمن المعروف علميا أن هناك عددا كبيرا من الأمراض تصيب الانسان بسبب سوء نظام طعامه ••

فاختلاف مواعيد الطعام أو مداومة النوم وعدم الحركة بعد الطعام **يسبب أمراضا** •

والاكثار من الطعام أو الطعام الدسم أو الطعام فوق الطعام يسبب أمراضا •

والاقلال من الطعام بكثرة الصيام والحرمان من نوع معين من الطعام يسبب أمراضا •

وطريقة تناول الطعام أيضا كعدم التأنى فى المضغ وسرعة البلع تسبب أمراضا وهذا هو تفصيل لتعاليم الاسلام فى كل واحدة من هذه الأمور •

فمن ناحية التوقيت : نجد أن مواعيد الصلاة وتوقيتها الدقيق يهدف بجانب العبادة الى تنظيم حياة الانسان فى عمله ونومه وطعامه فصلاة الفجر تلزمنا بالاستيقاظ المبكر والنوم المبكر • وهذا أيضا يلزمنا بتناول وجبة الفطور مبكرا والتبكير أيضا بالعشاء ••

والنوم بعد الأكل مباشرة يسبب عسر الهضم وكثرة الغازات ويربى التخمة والكرش والامساك وهذه الأعراض تؤدى بدورها الى سوء رائحة الفم والنفس •• ولذلك فقد جاء الاسلام بتشريعات

منهلة تضطر المسلم ألا ينام قبل انقضاء ساعة على الأقل بعد طعامه بحيث تكون عملية الهضم قد انتهت ..

ومن هذه التشريعات التدقيق الشديد على أداء صلاة العصر في موعدها ووقتها المحدد والتى تأتى دائما بعد الغذاء بأكثر من ساعة .. وفى هذا يقول تعالى : « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** » (وهى صلاة العصر) ونفس الشيء بالنسبة لصلاة العشاء التى تأتى فى الأرياف والقرى التى تعيش على الفطرة بعد العشاء ..

ويبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة الرائعة فى هذه التشريعات فيقول صلى الله عليه وسلم : « أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم » ومن الملاحظ ان معظم حالات الذبحة القلبية تأتى بعد أكلة دسمة أو ثقيلة ثم النوم بعدها مباشرة .. ومن يدرى ما هو المقصود بهذا التعبير الذى استعمله الرسول فى قوله : « فتقسو قلوبكم » ربما قيل ان المقصود به هو القسوة المعنوية والروحية .. ولكن الأطباء ربما فسروه بقسوة شرايين القلب أى تصلبها وهو المرض الذى يؤدى الى الذبحة القلبية وهو تفسير علمى أقرب الى منطق الحديث وسياقه ..

(ب) وقد اهتم الاسلام أيضا بكمية الطعام : فحارب التفريط والنهم .. كما حارب أيضا الزهد والمبالغة فى الصوم فمن ذلك :

١ ـ ان الاكثار من الطعام يصيب المعدة بالارهاق والكسل عن الهضم وتخمر الأغذية وقد يحدث القرحة والالتهابات فى المعدة والمرىء ، والاثنى عشر وكثيرا ما تتمدد المعدة بسبب زيادة الطعام وتحدث فيها جيوب خارجية يترسب فيها الطعام الزائد ويتعفن .. وتحدث هذه الأمراض كلها عن الأكل الزائد وقد جاء الاسلام ليحارب هذه العادة فيقول الله تعالى :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين » الأعراف ٣١

٢ ـ والأكل بين وجبات الطعام أو الأكل مع الشبع يصيب المعدة بارتباك فى الهضم وقد يحدث عنه عسر الهضم وتخمر الطعام ‥ ولذلك ينصح الرسول بعدم الأكل بين الوجبات وأن لا يكون الأكل الا بعد جوع فيقول صلى الله عليه وسلم : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » .

٣ ـ ويصف الرسول عليه السلام النهم فى الأكل بقوله : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » وينصح المسلمين بالاقلال من الطعـام الى القدر اللازم للجسم فحسب فيقول : « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه فان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »

وليس المقصود بقوله ثلث لنفسه ان النفس يصل الى المعدة ولكن لأن المعدة اذا امتلأت ضغطت على الرئتين والقلب وأثرت على النفس وحركة القلب . ولهذا نرى أحاديث الرسول تحث المسلم على القيام عن مائدة الطعام قبل أن يحس بالامتلاء فيقول :

« قم عن الطعام وأنت تشتهيه » .

ويعتبر الاسلام النهم فى الأكل نوعا من ضعف الايمان لأنه دليـل على فراغ العقل والقلب من عظائم الأمور وبالاهتمام بشهوة الطعام وحدها وفى هذا يقول الرسول :

« المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » .

٤ ـ ويكره الاسلام كبر البطن والكرش ‥ لأنهما يمنعـان المسلم من الجهاد والنشاط فيقول الرسول :

« اياكم والبطنة فانها مفسدة للدين مورثة للسقم مكسلة عن العبـادة » .

يقول ايضـــا : « أعوذ بامتى من كبر البطن ومداومة النوم والكسل » .

ويقول ايضـــا : « أشـد الناس عذابا يوم القيـامة المكفى الفارغ » .

والمكفى هو الذى يكفيه غيره من الناس عناء الحركة لحاجاته بسبب غنـاه أو مركزه فهذا النوع من الناس الذى تقل حركته ونشاطه الجسمى يصاب بالكثير من أمراض التخمة والكسل .

٥ ـ ومن الحقائق الطبية الخطيرة التى اكتشفت حديثا علاقة المعدة بكثير من الأجهزة الحساسة فى الجسم وخصوصا القلب وهو ما يسمى « تأثير المعدة على القلب » .

فقد وجد أن امتلاء المعدة بالطعام ثم ظهور غازات التخمر فيها يسبب انعكاسا عصبيا على حالة القلب وقد يؤدى الى الخفقان أو اضطراب القلب والنبض أو هبوط الضغط أو ارتفاعه وأخيرا قد يؤدى الى الذبحة القلبية .. وكثير من هذه الأعراض يزول اذا تقيأ الانسان الطعام الزائد أو استعمل بعض الأدوية المهضمة والآن انظر الى قول الرسول فى هذه الحقيقة العلمية :

« ان المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة .. فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم » .

٦ ـ والجشاء (أو التكرع) ظاهرة مرضية وليست صحية كما يعتقد بعض الناس وسببه الرئيسى ارهاق المعدة بالطعـام بحيث لا تستطيع أن تهضمه هضما جيدا ، فيتخلق فى المعدة ويحدث له تعفن وتخمر وتخرج منه الغازات وقد يكون ارهاق المعدة ناجما عن كثرة الطعام أو نوعية الطعام .. فالطعام الدسم أو الذى يحتوى على

الكثير من التوابل يؤدى أيضا الى التخمة ولو كان قليلا ومن معجزات الرسول انه يبين لنا الصلة الوثيقة بين الجشاء والتخمة فقد كان فى مجلسه رجل يتجشأ فقال له صلى الله عليه وسلم :

« كف عنا جشاءك فان أكثركم شبعا فى الدنيا أطولكم جوعا يوم القيامة » .

٧ ـ وللمعدة وضع خاص **فى حالة المرض وخاصة فى حالة الحمى :**

ففى هذه الحالة نجد ان معدة المريض بالسليقة والفطرة ترفض الطعام العادى وتحتاج الى الراحة والطعام الخفيف .. واذا اضطر الانسان الى الأكل العادى أثناء الحمى سواء كان مرغما أو باختياره أو اذا أكثر من الطعام أثناء المرض بدافع النهم والشراهة فان حالته تزداد سوءا .. وقد يصاب بالقيء والاسهال وارتفاع الحرارة وقد يصل الأمر الى انفجار المصارين والامعاء فى بعض الحميات التى تنهك المصارين كالتيفود .

وكثير من الناس يقلق اذا رأى المريض العزيز عليه يزهد في الطعام فتجدهم يجبرون المريض على الأكل دون أن يعلموا ان فى ذلك هلاكه .. وتتفشى هذه العادة القبيحة بين الأمهات الجاهلات فاذا مرض طفلها لم تهتم .. ولكن اذا امتنع عن الأكل أو قل أكله جاءت الى الطبيب منزعجة وكل ما يهمها من الشكوى ان طفلها لم يعد يأكل كعادته ..

وفى هذا يقول الرسول :

« لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان ربهم يطعمهم ويسقيهم » ثم ينصح الرسول بالاقلال من كمية الطعام وكذلك الاقلال من المواد الدسمة والعسرة الهضم فى حالة المرض فيقول :

« المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » ..

(جـ) والى جانب الاهتمام بمواقيت الطعام وكمية الطعام فقد اهتم الاسلام أيضا **بكيفية الطعام** ..

١ ـ فقد أمرنا الاسلام بغسيل الأيدى قبل الطعام وبعده وذلك لقول الرسول : « اغسل يديك قبل الطعام وبعده » ..

وحكمة هذا الغسيل هو التخلص من الميكروبات والطفيليات التى قد تحملها اليد أثناء السلام على الناس أو تداول شيء ملوث ..

٢ ـ ومن تعاليم الاسلام أن تأكل باليد اليمنى دائما أما اليد اليسرى فللأعمال الأخرى كالاستنجاء من الغائط أو لبس الحذاء .. والقصد من ذلك مرة أخرى ألا تحمل اليد الميكروبات والأوساخ الى الفم .. وكثير من الناس المصابين بالديدان (مثل دودة الاكسوريس) بعد الاستنجاء من الغائط تتلوث أيديهم ببيض الديدان وتتعلق البيضة تحت أظافر اليد فاذا أكل طعامه تدخل البيضة الى المعدة وتتوالد من جديد وهو مايسمى بالعدوى الذاتية.

٣ ـ ويأمر الاسلام بالتأنى فى تناول الطعام ومضغه مضغا جيدا .. فالتعجل فى المضغ يصيب الانسان بالتخمة والامساك وعسر الهضم .. وفى كتب السيرة وصف لطعام الرسول بانه :

« كان يصغر اللقمة ويجيد مضغ الطعام ولا يلتقم لقمة الا بعد بلع ما سبقها » .

٤ ـ والاسلام يلزم المسلمين بتغطية آنية الطعام والشراب حتى لا تقع فيها الميكروبات والذباب فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« غطوا الاناء واذكروا اسم الله .. وأوكوا السقاء واذكروا اسم الله » .

(د) والصيام يعتبر نوعا من التنظيم لغذاء المسلم . وقبل أن نتحدث عن فوائد الصوم الطيبة نؤكد هنا أن الاسلام قد نهى نهيا قاطعا عن المبالغة في الصوم أكثر من القواعد التي قررها والسنة التي اتبعها رسول الله .. وذلك لأن كل شيء زاد عن حده انقلب الى ضده .. والاسلام لا يرضى لأبنائه ضعف البنية واعتلال الصحة وقد نهى الرسول عن مواصلة الصوم أو الصوم الى الأبد تطوعا ..

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « لا صام من صام الأبد » .

وقد بلغه ان جماعة اعتزموا اعتزال النساء وصيام الدهر فناداهم وقال لهم : « الا اني أقوم وأرقد وأصوم وأفطر وأتزوج النساء وهذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

ويقول الرسول أيضا : « في كل لقمة يتناولها المسلم صدقة » بمثل هذه التنظيمات الرائعة والتعاليم السماوية نظم الاسلام للمسلم غذاءه توقيتا وكما وكيفا .

الصوم
فى ضوء التكنولوجيا الحديثة

العلم الحديث يكتشف حقائق تزيد الايمان بحكمة الخالق

الصوم يطيل عمر الانســان

ويقيه من كثير العلل والأمراض

فى هذا العصر الحديث الذى طغت فيه النظرة المادية والعلمية على حياة الناس وأفكارهم وأصبح الانسان المعاصر لايقتنع الا بالفائدة الملموســة والتجربة المعملية وحســاب الأرقام فقد نشط العلماء لدراسة بعض الظواهر والأوامر الروحيــة التى جاءت بهـا الأديان كالصــلاة والصوم والمحبــة والتسامح وحاولوا اكتشاف أثر هــذه التعاليم الروحية على جسم الانسان وماذا يحدث داخل خـلايا المخ وخلايا الجسم المختلفة · وقد توصــل البحث العلمى الى حقـائق مذهلة فى هذا الميدان تزيد أهل العلم والايمان معرفة بحــكمة الخالق · وعودة الى الدين وتمسكا بتعاليمه ·· وصدق الله العظيم اذ يقول : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » فماذا يقول العلم الحديث عن الصوم :

اكتشف علماء الطبيعة أن الانسان ليس هو الكائن الوحيد الحى الذى يصوم ·· بل ان جميع المخلوقات الحيــة فى الكون تمر

بفترة صوم اختيارى مهما توفر لها الغذاء فى الطبيعة حولها :

الحيوانات تصوم والطيور تصوم والأسماك تصوم والحشرات تصوم وحتى النبات أيضا يصوم .

من الحيوانات ما يسكن فى جحره أياما بل شهورا متوالية يمتنع فيها عن الحركة والأكل ..

ومن الطيور ما يكمن فى عشه ويمتنع عن الطعام فى مواسم معينة كل عام ..

وبعض الأسماك يدفن نفسه فى قاع المحيط أو قاع النهر لفترة معينة بدون أكل .

والحشرة أيضا تمر بمرحلة تتحوصل فيها وتمتنع عن الطعام. ومن الملاحظ أن هذه المخلوقات تخرج من فترة الصيام هذه أكثر نشاطا وحيوية وان أكثرها يزداد بعد الصوم نموا وصحة ..

فالحيوان يجدد جلده وفراءه والطائر يكتسى ريشا جديدا زاهيا ويبدأ بالتزاوج والتغريد ـ والحشرة تخرج لتأكل بنهم وتتكاثر بسرعة .

فاذا تركنا هذه المخلوقات الدنيا التى تعيش على الفطرة والتى يعتبر صومها ظاهرة فسيولوجية واستجابة لعوامل الطبيعة* .. وهو ما يسميه العلماء (ظاهرة البيات) Hypernation فماذا عن الانسان الذى يتصرف بعقله أكثر مما يتصرف بغرائزه ويقول علماء الأنثروبولوجيا وهو علم دراسة الانسان ان الانسان قد عرف الصوم بفطرته وغريزته قبل أن تنزل الأديان السماوية .. فالقدماء المصريون قد عرفوا الصوم قبل الأديان بخمسة آلاف سنة وعرفه أيضا الاغريق والرومان قبل ظهور المسيحية .. وقد أثبتت النقوش والآثار القديمة ان الانسان كان يتبع نظاما متطورا وشديد التعقيد

فى الصوم وكانوا يعرفون الصوم بجميع أنواعه وأهدافه المعروفة لنا فى عصرنا الحاضر ٠

١ ـ فكانوا يصومون لتطهير الروح والتعود على الصبر ٠٠

٢ ـ وكانوا يصومون للتكفير عن ذنوب اقترفوها ٠

٣ ـ وكانوا يصومون حزنا على الموتى أو طلبا للرحمة بأرواحهم ٠

٤ ـ وكانوا يصومون نذرا اذا تحقق لهم أمل أو أمنية ٠

٥ ـ وكانوا يصومون ليتعلموا من الصوم النظافة والهدوء والطاعة ٠

٦ ـ وأخيرا كان من أهداف الصوم العلاج والوقاية من بعض الأمراض ٠٠

ظاهرة الصوم فى معامل البحث العلمى :

كل هذه الحقائق دعت العلماء الى اعتبار الصوم ظاهرة فسيولوجية طبيعية وليست مجرد عملية ارادية ٠٠ ومعنى ذلك فى لغة العلم ان الصوم ضرورى لحياة الانسان وصحته تماما كالأكل والتنفس والحركة والنوم ٠٠ فأى مخلوق حى اذا حرم من النوم أو حرم من الحركة فانه يصاب فى جسمه بنوع معين من المرض ٠٠ وكذلك اذا منع أو امتنع عن الصوم فلابد أن يصاب فى جسمه بأمراض مختلفة ٠ وما ينطبق على هذه المخلوقات ينطبق بالبديهة على الانسان ٠

ولننظر الآن الى التفاعلات الكيميائية التى تحدث فى جسم الانسان أو أى مخلوق حى فى حالة الجوع أو الصوم ٠٠

ففى الظروف الطبيعية هناك عمليتان كيماثيتان تحدثان داخل الجسم فى وقت واحد :

عملية هدم Catablism

عملية بنـاء Anabolism

فى عمليـة الهـــدم يستهلك الجســم أو بمعنى علمى يدمر Destroy الخلايا القديمة فى كل عضو من أعضائه • وهذا التدمير يبدأ طبعا بالخلايا الهرمة أى التى كبرت فى السن والخلايا المريضة أو التى عجزت عن وظيفتها • • • وأيضا الخلايا الزائدة عن الحاجة •

وفى نفس الوقت يقوم الجسم بعملية البنـاء لتكوين خلايا جديدة أكثر شبابا وصحة وأقدر على أداء وظيفتها •

وهاتان العمليتـان لازمتان وحيـويتان لكل مخلوق حى •• وتحدثان على مدار الساعة فى النهار والليل •• وفى اليقظة والنوم •

والآن اذا طبقنا هذا على فترة الصـوم كما فى شهر رمضان فان عملية الهدم تكون أثناء الصوم والجوع • وأكثر سرعة ونشاطا من عملية البناء • وهـذا طبعـا يؤدى الى تخلص الجسم من كل العناصر الفاسدة فيه من خلايا هرمة ومن مواد سامة وبعد ذلك مباشرة تأتى فترة الطعام بعد جوع •• فتنشط عملية البناء أكثر مما فى الظروف العادية ••

ومعنى ذلك أن نظام الصوم المتبع فى الاسلام والذى يشتمل على الأقل على أربع عشرة ساعة من الجوع ثم بضع ساعات فقط من الطعام •• هو النظام المثالى لتنشيط عمليتى الهدم والبناء ••

ومعنى ذلك أن الصـوم يعمل على تجـديد وتنشيط أنسجة الجسم وخاصة أنسجة الغدد التى تسيطر على النمو والحركة التى

تسيطر على عمليات الهضم والبناء •• وهذا يفسر لنا ظاهرة النشاط الزائد والنمو السريع الذى يلاحظ على الحيوانات والطيور والديدان بعد فترة الصوم •

وخلاصة القول •• أن الصوم يطيـــل عمر الكائن الحى •• ويزيد من نموه فى مرحلة النمو ويزيد النشاط الذهنى ويزيد حركة الهدم ثم البناء لتجديد الخلايا ••

وهذه الحقائق كلها هى عكس ما كان يتصوره الناس من أن الصوم يؤدى الى الهزال أو الضعف أو فقر الدم •• وهذا طبعا بشرط أن يكون الصوم فى حدود المعقول كما هو الحال فى نظـام الصوم فى الاسلام •

الصوم وقاية وعلاج من بعض الأمراض :

١ ــ الوقاية من الزوائد والترســيبات فى الجســم والخلايا المريضـــة :

ذكرنا أن الجسم فى حالة الصوم يبدأ باستهلاك المواد الغذائية المخزونة فيــه فاذا نفــدت يبــدأ فى استهلاك أو احراق أنسجته الداخلية •• وأول الأعضاء التى يتغذى عليها الجسم هى الأعضاء التى تكون مريضة بأى مرض يسبب فيها احتقانا أو تقيحا أو التهابا •• وبديهى أن أول الخلايا التى تستهلك هى تلك الخلايا المريضة أو الهرمة •• فهذه هى أول ما يتأكسد من أنسجة الجسم وتحترق ثم يتخلص الجسم منها • فالصوم فى هذه الحالة يقوم مقام مشرط الجراح الذى يزيل الخلايا التالفة أو الضعيفة من كل عضو مريض فيعطيه فرصة يسترد خلالها حيويته ونشاطه •• وبهذه النظرية يكون الصـــوم وقاية للجسم من كثير من الزيادات مثـــل الحصوة والرواسب الكسلية والزوائد اللحميــة وأنواع البروز والأكيساس

الدهنية وأيضا الأورام الخبيثة ٠٠ فقد لوحظ بالاشعة أن جميع هذه الزوائد يصغر حجمها أثناء فترة الصوم ٠

٢ ـ **والصوم يحمى الانسان من مرض السكر** : ولتفسير ذلك نقول ان فى الصوم تقل كمية السكر فى الدم الى أدنى المعدلات وهـذا يعطى غدة البنكرياس فرصـة للراحة ٠٠ فمن المعروف أن البنكرياس يفرز الانسولين ٠٠ وهذه المادة بدورها تؤثر على السكر فى الدم فتحـوله الى مواد نشوية ودهنيـة ترسب وتخـزن فى الأنسـجة ٠٠ ولكن اذا زاد الطعـام عن قدرة البنكرياس فى افراز الانسولين فان هذه الغـدة تصاب بالارهاق والاعياء ثم أخيرا تعجز عن القيـام بوظيفتها ٠ فيتراكم السكر فى الدم وتزيد معـدلاته بالتدريج سنة وراء سنة حتى يظهر مرض السكر ٠٠ وخير حماية للبنكرياس من هذا الارهاق هو الصوم المعتدل ٠

والطريقة العلمية الحديثة المتبعة للوقاية من مرض السكر هى أن يجرى فحص دم خاص يسمى glucose Tolerence test

أى اختبار لمعرفة مقدرة الجسم على امتصاص مادة السكر وافراز الانسولين الكافى لذلك ٠٠

وفى الدول المتطورة يجرونه بصفة دورية للأشـخاص الذين يزيدون عن الخمسين من العمر ٠ ومن هذا الاختبار يمكن للطبيب أن يكتشف بصـورة مبكرة جـدا أى شخص معرض للسـكر فى المستقبل ٠٠ فينصحه بنوع من الرجيم لانقاص الوزن مع الاقلال من تناول المواد السكرية ٠

وبديهى أن الصـوم لمدة شهر كل عـام هو أحـد الوسائل الرئيسية التى تحقق هذه الغاية ٠

٣ ـ **وما أصدق الحكمة القائلة** : « قليل من الصـوم يصلح

المعدة » ففي الصيام تخلو المعدة تماماً من الطعام خلال الـ ١٢ ساعة في اليوم الواحد . ولمدة شهر كامل .. وهذه المدة تكفى لاخلاء المعدة من كل طعام متراكم وتعطيها فرصة للراحة من غير ارهاق.. ولذلك نجد في فترة الصيام يتخلص الانسان من عادة التكرع أو (التجشؤ) التي يسببها أكل الطعام على الطعام مما ينجم عنه تخمر الأطعمة في المعدة قبل أن تتمكن من هضمها .

٤ ـ والصيام يريح الأمعاء والمصران الغليظ أيضا من الطعام المتراكم وبذلك يتخلص الصائم من الغازات والروائح الكريهة التي تنتج عن التخمة وسوء الهضم والتخمر في الأمعاء بسبب عدم قدرتها على امتصاص الطعام أو التخلص منه .. وقد كان الناس فيما مضى قبل الأدوية الحديثة يعالجون حالات الاسهال بالصيام وحده أو باستعمال المسهلات للمساعدة على طرد المواد السامة من المصارين .

٥ ـ كيف تستفيد من الصوم في انقاص وزنك :

الصــوم يزيل السمنة والكرش .. وهو خير فرصة لعمل (الرجيم) بشرط أن يصاحبه الاعتدال عنـد الفطور وألا يتخم الانسان معدته بعد الصوم .. وقد يقول قائل ان كثيرا من الناس يزداد وزنهم في شهر رمضان .. ويزدادون تخمة.وهذا قد يحدث: وسببه عـدم اتباع السنة النبوية في الصــوم والفطور .. فقد كان الرسول يبدأ فطوره بتمرات قليلة أولا ثم يقوم الى الصلاة .. فاذا انتهى من صــلاة المغرب يعود ليكمل افطـاره عن أنس رضى الله عنه .

« كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلي فان لم يكن فعلى تمرات فان لم يكن حسا حسوات من الماء (حسا أي شرب) ومن أوامر الرسول في ذلك : « اذا كان أحدكم صائما فليفطر على التمر فان لم يجد فعلى الماء فان الماء طهور » .

ولهذه السنة النبوية حكمة طبية عظيمة ربما فاتت الكثير من المسلمين قرونا طويلة فتركوها أو أهملوها باعتبار انها أمر غير ملزم فخسروا الكثير من فوائد الصوم الطبية : فمن المعروف علميا أن شعور الانسان بالجوع لا يتوقف على فراغ المعدة فقط من الطعام ولكن العامل الأهم هو نقص كمية السكر فى الدم ٠٠ والدليل على ذلك أنك اذا أكلت شيئا حلوا قبل الطعام فانك تفقد الشهية للأكل حتى لو كانت المعدة خاوية ٠٠ وسبب ذلك أن السكر الذى تأكله يمتص بسرعة من المعدة الى الدم فيرفع نسبة السكر فيه الى المعدل الذى يشعرك بالشبع ٠ أما اذا بدأت طعامك بعد جوع بأكل اللحوم والخضروات والخبز فان هـذه المواد تتكون أساسا من البروتين والدهنيات والنشويات ٠ وهذه المواد يتحول جزء منها الى سكر فى الدم ولكن بعد عملية هضم طويلة جدا وبطيئة وفى هذه الأثناء لن تشعر بالشبع الا بعد أن تمتلىء المعدة فوق معدلها وطاقتها ثم ترسل المعدة اشارات الى المخ لتخبره أنها قد امتلأت فيأمرك المخ بالتوقف عن ارسال مزيد من الطعام اليها ٠ ولهذا السبب فان بعض الناس يأكل فى رمضان أكثر مما يأكل فى سواه من الشهور ٠٠ كما أن استهلاك الطعام فى هذا الشهر فى البلاد الاسلامية يزيد عن الاستهلاك العادى فيما سواه من الشهور مرتين ٠٠ وهذا يضيع حكمة الصوم فى التقشف والزهد والروحانية ٠

ومن هنا نتبين حكمة الاسلام والسنة فى أن نبدأ فطورنا بمادة سكرية كالرطب أو التمر أو بشراب حلو مثل (قمر الدين) ثم نقوم الى الصلاة : ففى هذه الأثناء يمتص السكر بسرعة من المعدة ويعطيك الشعور بالشبع قبل أن تجلس الى طعامك فلا تضطر الى الأكل حتى حتى التخمة ٠٠

٦ ــ وفترة الصيام هى خير فرصــة للتخلص من كل العادات الضارة بالصحة كالتدخين والمخدرات والخمر : والسبب فى ذلك

أن هذه الأشياء تحتوى على عناصر معينة من النوع الذى يسبب لدى الجهاز العصبى للانسان نوعا من الادمان ·· واذا امتنع المدمن عن تعاطيها فجاة شعر بآلام شديدة ومضاعفات وارهاق عصبى ولكن اذا صام الانسان أى امتنع عن هذه المواد لمدة ١٢ ساعة كل يوم ولمدة أربعة أسابيع متوالية فان كمية المخدر أو الكحول أو النيكوتين تقل فى دمه يوما بعد يوم بحيث أن جهازه العصبى يتطهر من تأثير هذه المواد وتكون فرصة المدمن للاقلاع عنها خلال شهر رمضان أكبر كثيرا من الظروف العادية ·

٧ ـ الصوم والأمراض الجلدية :

الصوم يؤدى الى تقليل نسبة الماء فى الدم فتقل نسبته تبعا لذلك فى الجلد ·· وهذا الجفاف النسبى فى الجلد :

ـ يزيد مناعته ومقاومته للميكروبات ·

ـ ويقلل من حدة الأمراض الجلدية الالتهابية والحادة والمنتشرة بمساحات كبيرة من الجسم

ـ كما أنه يجفف أمراض الحساسية وأمراض البشرة الدهنية ·

ـ وعن طريق راحة الأمعاء من الطعام يقل افرازها للسموم والتخمر الذى يسبب الدمامل فى الجلد ·

٨ ـ والصوم وقاية من مرض النقرس : Goit

وهو المسمى مرض الأغنياء ·· وينتج هذا المرض عن زيادة التغذية والاكثار من اللحوم ·· وفيه تزيد كمية أملاح البول فى الدم ثم تترسب فى العضلات فتسبب آلاما تشبه الروماتزم أو تترسب فى الكلى فتسبب الحصوة أو تترسب فى المفاصل الصغيرة فتسبب تورمها ·· والحمية عن الطعام علاج رئيسى لهذا المرض ·

الذين رفع عنهم الصوم والأمراض التى تعفى من الصوم :

يقول « تعالى » : « **فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر** » • ويقول أيضا : « **وعلى الذى يطيقـــونه فدية طعـــام مسكين** » •

فهذه الآيات تحـــدد لنا فئات من الناس أعفاهم الله لظروف معينة من فريضة الصوم :

الفئة الأولى : المسافر أو المريض مرضا مؤقتا : فله أن يفطر ثم يعوض صومه فيما بعد وتقدير تعب السفر أو الجهد من المرض متروك للانسان نفسه • فطالما أنه سوف يعوض صيامه فى أيام أخرى فليس هناك خلاف حول حق الانسان فى تقدير حالته أثناء السفر أو المرض •

الفئة الثانية : هم الذين عناهم الله تعالى بقوله (وعلى الذين يطيقونه) ومعنى كلمة يطيق الذى يستطيع الصوم ولكن بجهد كبير وبذل طاقة مرهقة أو ضارة لبدنه • فهذا النوع من الناس قد أسقط الله عنهم الصوم وعليهم بدلا من ذلك فدية هى اطعام مسكين كل يوم يفطرون فيه فاذا لم يكن قادرا على اطعام مسكين فلا فدية عليه فلا يكلف الله نفسا الا وسعها ••

وهؤلاء الذين عناهم الله هم :

١ ــ **كبار السن** : الذين لا تحتمل أجسادهم الصـــوم لأن الانسان فى هذه المرحلة من العمر يحتاج الى وجبات متقاربة وصغيرة كمعدة الطفل ولا يحتملون وجبة واحدة وكبيرة •

٢ ــ **السيدة الحامل والمرضع** : وذلك لان الجنين فى بطن أمه أو الطفـــل الذى يرضـــع من الأم يحتـــاج الى غـــذاء كامل غنى بالفيتامينات والسكريات وهذه تقل كثيرا فى دم الأم واللبن فى فى فترة الصيام •

٣ ـ المرضى بمرض مزمن لا يرجى شفاؤه مثل مرض السل أو امراض المعدة كالقرحة أو الالتهاب أو مرض القلب أو مرض السكر وجميع هذه الأمراض يؤخذ فيها رأى الطبيب المسلم الفاهم لدينه •

٤ ـ العمال الذين تقتضى ظروفهم العمل الشاق فى ظروف شاقة ففى الجو الحار فان الجسم يخسر كمية كبيرة من الماء مع العرق ويحتاج الى السوائل أكثر من الظروف العادية وأيضا فى ظروف الجو البارد فانهم يحتاجون الى الطعام أثناء العمل ليعطيهم الطاقة والحرارة والنشاط • وقد كان رسول الله يرخص لمن يشاء من جنود المسلمين بالافطار عندما يقاتلون فى شهر رمضان وعندما رأى المفطرين أكثر نشاطا فى العمل واجتهادا فى القتال قال صلى الله عليه وسلم : « وذهب المفطرون بأجر الصائمين » •• أى أن المفطر النشيط فى عمله وجهاده ثوابه أكبر من الصائم المجهد التعبان » •

٥ ـ وهناك فئة من الناس لا يعتبرون مرضى فى العرف العام ولكنهم مرضى فى نظر الأطباء • ومن هؤلاء أناس مصابون بنقص السكر فى الدم Hypoglycemea أو أناس مصابون بهبوط الضغط فصاحب هذه الأمراض لا يشعر عادة بأى أعراض مرضية فى الظروف العادية • ولكنه اذا امتنع عن غذائه مدة طويلة كما فى حالة الصوم الشديد يشعر بدوار فى رأسه وآلام فى المعدة وعدم القدرة على التركيز الذهنى والانتاج • فهؤلاء أيضا ينطبق عليهم الاعفاء من الصوم • وصدق الله العظيم القائل :

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ••

الصوم تربية روحية واخلاقية اولا :

كانت هذه بعض فوائد الصوم وبعض موانعه من الناحية العملية والطبية ولكن يبقى الهدف الأول والأعظم الذى تنشده

الأديان من الصوم .. وهو الهدف الأخلاقي والروحي في عدد قليل من النقاط :

١ ـ **فالصوم تربية لارادة الانسان وعزيمته منذ الطفولة :** فالطفل الذى يرى الطعام أمامه وهو يشتهيه ثم يمتنع عنه فى السر وفى العلانية يصبح انسانا ذا عزيمة وارادة .

٢ ـ **والصوم يعلم الصبر :** فمن صبر على نداء بطنه صبر على كل ما سواها من مشاكل واستفزازات فى الحياة .

٣ ـ والصوم فرصة للمودة واللقاء الأسرى والاجتماعى اذ تلتقى الأسرة كلها فى موعد واحد على مائدة الطعام عند الافطار والسحور ويلتقون أيضا في مواعيد الصلاة

٤ ـ وهو مناسبة اجتماعية للزيارات العائلية ولقاء الأصدقاء .

٥ ـ واهم شيء فى رمضان أنه فرصة لدراسة الدين والقرآن وسماع دروس الوعظ وحضور الصلاة .

٦ ـ وهو أخيرا خير فرصة للجو الروحانى والتقشف والزهد والشفافية .

رابعــا ..

الاسلام والتربية البدنية

قوة الايمان مع قوة الأبدان Body Built

يعتقد كثير من الناس أن المسلم الوقور هو ذلك المتباطىء فى مشيته المتراخى فى وقفته أمام النـاس .. فلا يسرع ولا يجرى ولا يحمل حملا فى يده ولا يلبس ملابس الرياضـة .. ولا يأتى من الألعاب الرياضية ما قد يفعله الصبية والشباب . فلا يلعب الكرة أو يسبح فى البحـر أو يركب دراجة .. بل ان من المسلمين من يتصور ان الألعاب الرياضية نوع من اللهو الذى يلهى الانسان عن العبادة او ينقص من وقاره ومظهره واحترامه فى أعين النـاس أو يجعلهم يشكون فى علمه وفقهه وتدينه

وهذه نظرة خاطئة الى الاسلام لم تنتقل الينا الا فى عهود التخلف والبعد عن جوهر الدين . فقد جاء الاسلام للدين والدنيا معا . جاء دينا للحياة والقوة والطاقة والحركة والنشاط والرياضة البدنية .. بل لقد جاء الاسلام بالتشريعات والتوجيهات التى تصون للجسم قوته وروتقه وشجع الناس على الرياضـة البدنية بدون قيود ولا حدود .

ومن أبرز صفات المسلم أنه « القوى الأمين » .. فرسول الله

يقول : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » ..
ومن الآيات ما يمتدح القوة البدنية فيقول تعالى :

« ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم » ..
ويقول أيضا : « **وزادكم فى الخلق بسطة** » ويصف الله أحد رسله فيقول : « **ان خير من استأجرت القوى الأمين** » .

واهتمام الاسلام بقوة الأبدان وتشريعاته وتوجيهاته فى ذلك أمر يثير الدهشة فقد سبق كل طرق التربية الحديثة فى هذا المجال بآلاف السنين من ذلك اهتمامه بالغذاء المفيد للجسم وبالرياضة البدنية بل وقد اهتم أيضا بخلق الروح الرياضية وأخيرا اهتم بالرياضة الروحية كوسيلة لخلق التفوق الرياضى .. فلننظر فى كل واحدة من هؤلاء وأهميتها ..

اولا ـ الغذاء السليم لبناء الجسم السليم :

ذكرنا فى باب التغذية فى الاسلام أنه لم يكتف بمنع الغذاء الضار بالجسم كالميتة والدم ولحم الخنزير ولكنه أمر بكل ما يفيد الجسم من الأغذية وحارب المذاهب النباتية التى تحرم اللحوم . وشجع على الغذاء النافع كاللحم والعسل واللبن والتمر . ومنع الصوم الزائد عن الحد والذى يضعف الجسد وحث على تخير اطايب الطعام وعدم الزهد فيها ..

ثانيا ـ الاسلام والرياضة البدنية :

يقول رسول الله « علموا أولادكم الرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا » ويقول : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى » وكان رسول الله يحب المصارعة ويتدرب عليها ..
ومن طرائف ما يروى فى هذا المجال أن رجلا اسمه (ركانه) كان

معروفا بقوة خارقة وكان يتغلب على كل من ينافسه في المصارعة .. فلما قابله الرسول دعاه الى الاسلام .. فأخذ الرجل يقول له : « وماذا يدعوني الى التصديق بأنك رسول الله » .. فقال له الرسول : اذا صارعتني فاني أغلبك باذن الله » .. فتصارعا معا فتغلب الرسول : فقال ركانه مذهولا . أمرك عجيب يا محمد .. اتصرعني فقال له الرسول « ان شئت عاودتك » فتصارعا مرة أخرى فغلبه الرسول ثم عاوده مرة ثالثة فغلبه أيضا .. فلم يملك الرجل أن قال : « أشهد أنك رسول الله » .

وتقول عائشة رضي الله عنها ان الرسول قد سابقها وكانت نحيلة خفيفة فسبقته ثم مرت السنون وكثر شحمها فسابقها فسبقها فأخذ يذكرها بالمرة السابقة ويقول لها : « هذه بتلك » ويصف الصحابة رسول الله بأنه كان قوى البدن عريض المنكبين ضخم الكفين والقدمين قوى الاحتمال والجلد سريع الخطو فقد أخرج الترمذى عن أبي هريرة أنه قال : « ما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله كأن الأرض تطوى له وانا لنجهد في السير ولا يبدو عليه جهد » .

وبينما كان الرسول يستعرض جيشه بالمدينة اذ رأى بين جنود المؤمنين فتى يافعا يقل عمره عن ستة عشر عاما فأخرجه من الصف لصغر سنه وقال له مشجعا تدرب على الرماية والخيل ثم تعال في العام القادم : « فقال الفتى : « يا رسول الله لقد أجزت ابن عمى لأنه أكبر مني سنة ولكنه لو صارعني لصرعته » فتبسم الرسول وقال له : « دونك فصارعه » وأخذ الفتيان يتصارعان والرسول يشهدهما فلما تغلب الفتى الصغير ضمه الى الجند .

وكان عمر بن الخطاب من الذين عرفوا في الجاهلية بطول القامة وقوة البدن وكان شباب القبائل اذا حضروا الى مكة للحج

يقيمون حلبة للمصارعة في سوق عكاظ فكان عمر ينتظر حتى يرى الفائز فيصارعه ويغلبه وكان أسرع شباب مكة في سباق الخيل وأحسنهم رميا بالنبل ·· واعجابا بقوته المعنوية وقوته البدنية كان الرسول يقول عنه : « اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين » ·· فلما أسلم علا صوت المسلمين وازدادت به قوتهم ·

ولولا قوة عمر البدنية لما استطاع ان يقوم بأعباء الامبراطورية الاسلامية الواسعة في عهده · وكثيرا ما كان يشرف بنفسه على أمور المسلمين حتى في المسائل الصغيرة الخاصة ·· كان يحمل على ظهره كيس الطحين حتى ينقله الى أسرة جائعة او امرأة في حالة وضع ·

وذات يوم بعد صلاة الفجر ركب عمر فرسه وأخذ يجرى به بقوة وسرعة حتى سمع سكان المدينة وقع حوافره وظنوا أن هناك أمرا خطيرا فتجمعوا حوله يسألونه عن الخبر !! فقال لهم :

« ماذا عليكم ، انى آنست فى نفسى نشاطا فأردت أن أنفس عنه » ولم يكن عمر يحب من رعيته المسلمين الضعف والتراخى ·· وذات يوم حضر اليه جماعة من الناس فى حاجة لهم ·· فاذا بهم يتكلمون فى خور ومسكنة ويتحركون فى وهن وضعف ·· فعلاهم عمر بدرته ·· وقال لهم : « لا تماوتوا فتميتوا علينا ديننا » ·

وذات يوم رأت السيدة عائشة جماعة من المسلمين يسيرون الهوينى فى تراخ وفتور وهم فى طريقهم الى المسجد فحسبت أن فيهم مرضا أو مصيبة فأخذت تسأل الناس عنهم : « ماذا ألم بهؤلاء » فقال لها الناس « يا أم المؤمنين : ما بهم مرض ولا مصيبة ولكنهم نساك زهاد » فغضبت وقالت لهم قولتها المشهورة : « والله ما انتم بأكثر نسكا ولا زهدا ولا تقوى لله من عمر وكان اذا مشى أسرع واذا تكلم أسمع واذا ضرب أوجع » ·

ثالثا ـ وقد اهتم الاسلام بخلق الروح الرياضية فى نفوس المسلمين :

فشجع على المنافسة الرياضية الشريفة . وكان الرسول يحضر سباقات الخيل والجمال والمصارعة والرمى وكان يشارك بنفسه فيها ويعطى الجوائز الى السابق .

وكان لرسول الله ناقة سريعة اسمها (العضباء) وكان يشترك بها فى السباق فتسبق دائما . وفى احدى المرات خسرت السباق فعز هذا الأمر على صحابة الرسول . فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لهم أهمية الروح الرياضية وتقبل الهزيمة فى الرياضة دون حقد أو غضب وقال لهم : « ان حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه » .

والروح الرياضية تشجع على حب العمل اليدوى والحرفة .. وقد كان رسول الله يخدم نفسه بنفسه ولا يستنكف عن حمل الحجارة فوق كتفه عندما يبنى مسجده او بيته . وبينما كان أصحابه يجهزون الطعام ذهب يجمع لهم الحطب فقالوا له : « نحن نكفيك ذلك يا رسول الله » فقال لهم : « اعلم أنكم تكفوننى . ولكن الله يكره من عبده أن يراه مميزا بين أصحابه » وكان يقول : « ما أكل ابن آدم طعاما خيرا من صنع يده » ..

رابعا : الرياضة الروحية كوسيلة للتفوق الرياضى :

تقول النظريات العلمية الحديثة ان التفوق الرياضى لا يأتى من القوة البدنية والتدريب المتواصل وحدهما .. ولكن القوة المعنوية تأتى فى المكان الأول وكم من شاب يافع نحيف البدن ولكنه قوى المعنويات يهزم رجلا عملاقا ضخما قوى العضلات .. وكم من جماعة قليلة العدد والعدة ولكنها قوية الايمان تغلب جماعة تفوقها عددا أو عدة ولكنها بلا ارادة ولا عقيدة ولا ايمان ..

ولقد كان الاسلام أول من أعلن هذه الحقيقة الخطيرة منذ أربعة عشر قرنا وعمل بها ولها وذلك باهتمامه بالجانب الروحي والعقائدي : « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله** » .

فلا يكفي لخلق البطل الرياضي أن تعطيه غذاء جيدا .. وتدريبا متواصلا لأن البطل الرياضي لا يختلف في اعداده عن الفنان .. والشاعر .. والعالم الغذاء المعنوي له أهم من الغذاء المادي ..

والتدريب الروحي له أهم من التدريب البدني ..

والرياضة سلوك وأخلاق .. وعقيدة وفكر .. وتربية ونشأة قبل أن تكون مجرد تحريك للعضلات ..

وبفضل التربية العقائدية والروحية التي بثها الاسـلام في نفوس أبنـائه استطاع هؤلاء البـد والحفاة ذوو الأجسام النحيلة والملابس المهلهلة أن يتغلبـوا على فرسـان الامبراطورية الرومانية والفارسية الذين اتخموا بالغذاء وغطوا أجسامهم بالدروع وزينوا سلاحهم وخيولهم بالذهب والفضة .

« **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** » .

خامسا ..

الصحة النفسية فى الاسلام

التوتر والعنف والجريمة مشكلة
الحضارة الغربية الحديثة

ممثلات ناجحات وأصحاب ملايين ينتحرون يأسا من الحياة ، ما هو سر الوجودية والهيبز والعنف الطلابى والستريكرز والكرشنا .. الاسلام هو الحل الوحيد لكل مشاكل العالم المتحضر .

فى أول زيارة لى لمدينة نيويورك استوقفت أحد المارة فى الطريق لأسأله عن مكان معين .. وقلت له : هل يمكننى أن آخذ من وقتك دقيقة واحدة فتوقف قليلا . ثم نظر فى ساعته .. وقبل أن أسأله سؤالى قال لى :

« لقد أخذت الدقيقة فعلا » ..

ثم انصرف عنى مسرعا .. واستوقفت رجلا آخر ، وغيرت السؤال هذه المرة اختصارا للوقت فقلت له :

« هل يمكنك أن تدلنى على مكان » ..

ولم يمهلنى حتى أكمل السؤال بل قال : أخرج من جيبك ربع دولار وضعه فى هذا التليفون الذى فى الشارع واسأل الاستعلامات ولا تعطلنى .

ثم انطلقت الى كشــك التليفون ووضعت ربع دولار وطلبت الاستعلامات وأنا متفائل بأنني سأجد ضالتي ٠٠ ولكنني فوجئت بصوت يرد بطريقة آلية : « ان المسئول عن الاستعلامات مشغول بالرد على غيرك فانتظر حتى يفرغ لك » وظل يردد هذه العبارة أكثر من عشرين مرة بحيث تبينت أنه شريط مسجل ٠٠

وبينما أنا واقف أستمع الى التليفون وقد خابت كل آمالي اذ سمعت نقرا عنيفا على زجاج (الكشك) ٠٠ واذا سيدة في مقتبل العمر تنظر الى بحالة عصبية ٠٠ وحسبت أول الأمر انهـا جاءت تساعدني ٠٠ ولكن ما أن فتحت لها الباب حتى قالت في انفعال :

لقد أخذت أكثر من ثلاث دقائق وعطلتني ٠٠ فاذا كنت تريد الاستعلامات فلن يردوا عليك ٠٠

وقلت وأنا أريد أن أساومها : اذا تركت لك التليفون فهل ترشديني عن مكان كذا ؟؟ ٠٠ فقالت : لا طبعا ٠٠ ولكن ادفع دولارين الى أي (تاكسي) وهو يوصلك الى حيث تريد ؟ والحق انني لم أدهش لما رأيته في نيويورك ٠٠ فقد رأيت الكثير من هذه الظواهر الموغلة في المادية وان كانت بصورة أخف في معظم العواصم الأوروبية الراقية ٠ فقد أصبح العالم المتحضر ينظر نظرة مختلفة كل الاختلاف الى كل ما توارثناه من قيم انسانية ومجاملات عاطفية ٠٠ وأصبح الناس يقيســون وقتهم بالدقائق والثــواني ٠٠ ويقيســون الدقائق والثواني بالدولارات ٠ وأرباع الدولارات ٠

وأي زائر عربي لأي عاصمة أوروبية لأول مرة لابد أن تأخذه الدهشة لما يراه من تكالب الناس على المادة وعلى الحياة ٠٠ ففي محطات (الباص) ومترو الأنفاق وفي الشوارع والبنوك والمحلات التجـارية نجد النـاس جميعا يجرون جريا بغير توقف ويدفعون

بعضهم بالمناكب فى الزحام .. يستوى فى ذلك العجوز المتهالك والشاب القوى والطفل البرىء والمرأة الرقيقة ..

وليس بعيدا بعد ذلك أن نسمع عن حوادث التوتر والعنف والانهيار العصبى والانتحار فى تلك المجتمعات .

وقد انتحر مليونير أمريكى فى نيويورك وترك رسالة يقول فيها انه انتحر لأنه لم يجد أصدقاء مخلصين فى هذه الدنيا ويقول : « قلما يدرك الانسان ماهية العزلة ومدى آثارها ذلك لأن الحشد ليس هو الصحبة ، والزحام لا يزيل الشعور بالوحشة » .

وانتحر لنفس هذه الأسباب عدد كبير من الممثلات الجميلات الناجحات بينهن ملكة الجمال وممثلة الاغراء (مارلين مونرو) .

وقد جاء فى احدى الاحصائيات الدولية أن عدد حوادث الانتحار فى السويد والنرويج تبلغ ٢٠ فى كل ١٠٠ ألف من السكان . وفى أمريكا ١٩ وفى انجلترا وفرنسا ١٨ — أما فى العالم العربى فلا تزيد النسبة عن ٢ لكل ١٠٠ ألف من السكان .

وربما سمعت عن قصة الأم الأمريكية التى دخلت على أولادها الخمسة فقتلتهم بالمسدس . ثم انتظرت زوجها حتى عاد من عمله فقتلته أيضا ثم ذهبت الى البار لكى تسكر وتنتظر الشرطة ..

أو قصة الرجل الذى يهوى خنق السيدات الأرامل فقتل ١٦ (ست عشرة) امرأة لغير سبب سوى انهن أرامل وحيدات ..

أو قصة الشاب البريطانى الذى كان يعتدى جنسيا على أطفال المدارس ثم يقطع رءوسهم ويعلقها على سور المدرسة .

هذه غير آلاف المجانين الذين يضعون القنابل المتفجرة فى دور السينما أو الطائرات أو الأماكن المزدحمة لغير سبب سوى التعبير عن سخطهم على المجتمع والحياة وكراهيتهم للناس .

والى جانب هذا العنف فكثيرا ما نسمع عن أصحاب ملايين فى أوروبا يموتون وهم فى مقتبل العمر فى أسواق البورصة والعقود المالية ·· وهم يراقبون ارتفاع الأسهم وهبوطها ·· أو يصابون بقرحة المعدة أو بالذبحة القلبية أو ضغط الدم · قصص كلهـا لا يكاد يصدقها عقل أو يقبلها خيال سليم ··

فلندرس أسباب هذه الظـاهرة وغيرها من الظواهر الغربية التى انفرد بها المجتمع الصناعى المتحضر ··

ثم لندرس محاولاتهم لايجاد حل أو مخرج من هذه المشاكل ·· ثم نقدم لهم الحل الأمثل الذى نعتقد انهم بأمس الحاجة اليه ··

توتر الحضارة الحديثة وآثاره النفسية والعضوية على الصحة :·

مع تقدم الحضارة ·· وتعقد الحياة فى المدن الصناعية الكبرى ظهرت أمراض جديدة لم تكن شائعة من قبل ·· وابتدأت أمراض قديمة فى الاختفاء ··

والأمراض التى **بدأت فى الزوال** هى التى نسميها بالميكروبات كالأوبئة والحميات والالتهابات ·· وكل ما تنقله الحشرات والقذارة والاهمال ·· وذلك بفضل ازدياد الوعى الصحى فى الدول المتقدمة ·· وتحسن وسائل مكافحة الحشرات والميكروبات ووسائل النظافة الحديثة ·· فهذه الدول لم تعد تسمع عن الطاعون أو الكوليرا أو الجدرى الا فى الكتب ·· واختفى التيفود والدوسنتاريا والتهاب الكبد المعدى من معظم أوروبا وأمريكا ·· ولم تظهر حالة شلل أطفال واحدة منذ بضع سنوات فى بريطانيا وأمريكا ·· وهكذا ··

أما الأمراض التى بدأت فى الانتشار بكثرة فى هذه الدول فهى ما يسمى بأمراض الحضارة الحديثة وكلها تعود الى شدة التوتر العصبى فى المجتمع الصناعى ·· فقـــد ثبت أن التوتر العصبى

لا يؤثر على النفس والعقل وحدهما ولكنه يحدث في الجسم الكثير من الأمراض العضوية ..

فمن الامراض النفسية التي يحدثها ما هو بسيط مثل سرعة الانفعال واضطراب النوم والملل من الحياة والعقد النفسية .. ولكن منهـا ما يصل الى الحالات المرضيـة الخطيرة كالشيزوفرينيا أى انفصام الشخصية والميلانكوليا وأنواع كثيرة من الجنون الاجرامى الذى يدفع بكثير من الناس الى الانتحار أو قتل زوجاتهم واطفالهم.. أو الاعتداء على الأرواح والأعراض لمجرد المغامرة والتسلية .

وقد أثبتت الابحاث الحديثة أن التوتر هو أهم سبب لانتشار المخدرات بين الشباب في أوروبا وأمريكا ومن أهم أسباب الانحرافات الجنسية وحب المقامرة والمغامرة حوادث العنف والهرب من الدراسة والتشرد .. وعن ظهور الكثير من ظواهر التمرد على المجتمع كظاهرة (الهيبز) والبوهيمية .. وهنـاك أيضـا مجموعة من الأمراض العضوية وتسمى Psycho-Somatic Diseases أي المرض العضوى الناتج من تأثير نفسى فمن أخطر هذه الأمراض مرض الانجينا Angina أو انقباض شرايين القلب ومرض الذبحة القلبية .. وقد أصبح هذا المرض القاتل رقم (١) فى الدول الصناعية .. ويليه فى الخطورة أمراض المعدة والأمعاء واهمها قرحة المعدة .. هذا الى جانب مجموعة من الأمراض التي لم يعد يسلم منها الا القليلون مثل ارتفاع الضغط أو هبوط الضغط وانقباضات المعدة والأمعاء والمصران الغليظ وزيادة الحموضة أو نقص الحموضة فى المعدة وتسرع النبض أو اضطرابه وتضخم الغدة الدرقية والربو والسكر ..

هذه الأمراض كلها قد أصبحت تسمى أمراض الحضارة والتوتر أو حمى المدنية لأنها لم تكثر بهذه الصورة المزعجة الا فى عصرنا الحديث وفى الدول الأكثر تطورا وتقدما فى الصناعة والعلم ..

فأكثر حوادث الانتحار فى السويد والنرويج ٠٠ وأكثر حوادث الجنون الاجرامى وحوادث العنف فى أمريكا ٠ وتكثر أمراض الذبحة القلبية فى أوروبا الغربية وهكذا ٠٠

العالم المتحضر يبحث عن حل

من هذه العوامل مجتمعة نجد ان الانسان فى تلك المجتمعات الصناعية المتطورة يعيش فى دوامة من القلق والتوتر والاجهاد العصبى التى تؤدى بالكثيرين منهم الى الانهيار أو الانحراف ٠

وبرغم ارتفاع مستوى الدخل ٠٠

وبرغم التسهيلات الكبيرة فى الحياة التى ينتجها العلم والاختراعات الحديثة فى تلك البلاد ٠

وبرغم مظاهر الصحة العامة والنظافة التى تتمثل فى اختفاء الأوبئة والحميات وأمراض الفقر وسوء التغذية ٠

برغم ذلك كله فانك لا تكاد تقابل انسانا فى تلك البلاد ٠٠ ويستطرد بينك وبينه الحديث الودى الصريح ٠٠ الا ويتكشف لك فى دخيلة نفسه عن سخط مرير على الحياة ٠٠ وتبرم من العمل واجهاده ٠٠ ومن التوتر الذى يحاصره فى كل لحظة ومكان ٠٠

ومنذ الحرب العالمية الثانية ٠٠ والناس فى أوروبا وأمريكا يحاولون ٠٠ التخلص من أخطبوط التوتر والقلق ٠٠ فابتكروا عددا من المبادىء والفلسفات والاتجاهات الحديثة ٠٠ التى تجمع بين الغرابة والطرافة والشذوذ ٠

١ ـ **فابتدع سارتر مذهب الوجودية الالحادية :** التى تنادى

بحرية الانسان فى كل شىء وعدم تقيده بدين أو تعاليم بل يعتبر نفسه أجنبيا عما يدور حوله فى هذا الكون اللامعقول ..

٢ ـ وظهر مبدأ الهيبز أو الخنافس الذى يرفض التقيد بالمجتمع فى ملبسه أو مأكله أو عاداته أو تقاليده أو مواعيده .. واتخذوا سبيلهم لاظهار الرفض والتمرد باطلاق لحاهم وشعورهم وأظافرهم والعيش على الأرصفة وفى الحدائق العامة ورفض أى نوع من العمل .

٣ ـ وتفشت حوادث الاضرابات والمظاهرات والتحطيم بين الطلبة والعمال وأصبح طلبة الجامعات يتنافسون أيهم أكثر تعطلا عن العمل وتحديا للسلطة والقانون ..

٤ ـ وحتى الديانات الجديدة جربوها فقد انجذب عدد كبير من الشباب فى أوروبا الى البوذية وانتشر بينهم مذهب كرشنا وانتشروا فى شوارع نيويورك ولندن وباريس بملابسهم البرتقالية الغريبة وقد حلقوا رءوسهم الا من خصلة شعر واحدة وهم يعبدون تمثالا صغيرا من الفضة يحملونه معهم فى الميادين العامة ويقومون له بطقوس موسيقية ورقصات هستيرية .

٥ ـ وقد أعلنت الصحافة الأمريكية عن ميلاد دين جديد اسمه « المسيحية المتحررة » ويتخذ أصحاب هذا المبدأ من نيويورك مقرا لهم يفدون اليها من أنحاء أوروبا وأمريكا .. ويجمع هذا الدين بين بعض التعاليم المسيحية الى جانب النظام الاقتصادى الماركسى الى جانب بعض القوانين المدنية الحديثة التى ظهرت فى أوروبا كالتى تبيح الطلاق وتعدل نظام الميراث .

٦ ـ وأخيرا ظهر مذهب جديد وغريب هو مذهب العرى Strikers وأصبح الناس فى الميادين العامة أو فى القطارات أو

المطارات المزدحمة يفاجأون بجمـاعة من الرجال والنساء يخلعون ملابسهم كلها كما ولدتهم أمهاتهم ثم يجرون فى الطرقات بين نظرات المشدوهين والحائرين ٠

٧ ـ وانتشرت في هـذا العالم الغريب الانحرافات الخلقية فشاعت المخدرات والمسكرات حتى بين الأطفال وظهرت كل أنواع الانحرافات الجنسية وتبادل الزوجات ٠

٨ ـ والى جانب هذا فقد ظهرت مذاهب فردية أخـذت طابع العنف والجريمة لمجرد التسلية وكسر روتين الحياة وحب المغامرة فمنهم من يؤلف عصابات السطو على البنوك ٠ ومنهم من يجد المتعة فى خطف السـيدات والبنـات وهتك الأعراض ومنهم من يستمتع بتحدى السلطة والشرطة والقانون ٠٠ ومن الشباب من ينطلقون بسياراتهم الفاخرة بسرعة جنونية فيتسابقون فى الزحام ويدهسون الأبرياء ٠

والأعجب من ذلك ان الاعلام العربى كله من سينما وتليفزيون واذاعـات قد اصبحت وكأنها أبواق دعاية لزيادة التـوتر والعنف واللهو غير البرىء فقد أحصى أحد الباحثين ٨٥٪ من الأفلام الرائجة فى أوروبا هى التى تدور حول الجريمة والجنس والتى تمجد العنف والمخدرات والحرية الجنسية والتى تضفى على هذا النوع من الحياة هالة من الاعجاب والتشويق والتعاطف ٠

وبذلك أصبحت حيـاة كبار المجرمين أمثـال بونى وكلايد ـ وآل كابوتى ـ والعراف مثـلا أعلى للشـباب من هواة المغامرة وصدرت عن هؤلاء المجرمين عشرات الكتب والأفلام السينمائية التى تمجد بطولاتهم وذكاءهم وحيلتهم ٠

وقد سئل بعض كبار منتجى افلام الجريمة والجنس عن السبب فى تركيزهم على هذا الاتجاه الخطير ٠٠ فأجابوا بأن الجماهير فى

اوروبا وامريكا أصبحت تقبل بشغف على هذا النوع وتحبه أكثر من غيره ٠٠ وتعليلهم لذلك أن ٠٠ الحياة أصبحت معقدة قاسية ٠٠ وأن أعصاب الناس أصبحت شديدة التوتر ٠٠ وأنهم بحاجة الى شيء آخر أشد عنفا وتوترا لكي ينسيهم هموم حياتهم ٠٠ فهم يعالجون العنف بالعنف والتوتر بالتوتر ٠٠ كمن يعالج الجنـــون والصراع بالصدمة الكهربائية ٠٠

ومما سبق ٠٠ اذا تأملنا كل هذه الحلول والمذاهب والاتجاهات لوجدنا أنها جميعا لا تزيد على كونها محاولات للهرب كمن يفر من الموت الى الموت وليست حلولا لمشاكل الحضارة ٠

اسباب التوتر فى المجتمعات المعاصرة كما يراها علماء الغرب :

لقد كتب الكثير عن هذه الظاهرة وعقدت عشرات اللجـان والمؤتمرات فى الأمم المتحدة وفى الدول المتطورة لاستقصاء الحقائق لايجاد حل لهذه المشكلة التى تهدد مكاسب الانسانية كلهـا فى القرن العشرين وفى القرون القادمة وقد ضمت هذه اللجان كبار علماء الاجتماع وعلماء النفس وكبار المفكرين وقد لوحظ أن هـذه البحوث تنقسم الى نوعين :

(أ) نوع يعلل التوتر الحضارى بأسباب موضعية ومرحلية وآلية ٠٠ فمنهم من يعلل السبب بأن التكنولوجيا الحديثة قد قدمت للانسان السيارة والطائرة والقطار وكل وسائل الراحة لعقله فأصبح لا يستعمل جسمه وعضـــلاته بصورة تتناسب مع استعماله لعقله وقلبه ٠٠ وهذا بدوره يدعوه الى التعويض عن ذلك بالعنف والتوتر ولو بحثا عن التعبير أو التعويض ومنهم من يصف رجال الأعمال والمكاتب فى العصر الحاضر بأنه يجلس على مائدة ضخمة ـــ وحوله ٣ أو ٤ أجهزة تليفونية لكى يتصل بها بأكثر من جهة فى وقت

واحد وأمامه جهاز تسجيل آلى أو ما يسمى (بالسكرتير الآلى) لكى يملى عليه أوامره وتعاليمه على عدد من السكرتيرات والمكاتب التابعة له وأمامه شاشة متحـركة تكتب عليهـا أسعار البورصـة والأسهم والسندات وكلما تحركت الأرقام على الشاشة تحركت معها عضلات قلبه وضغطه وتنفسه هبوطا أو صعودا وربما مات من الانفعال رغم ملايين الدولارات التى يلعب بها ..

ومنهم من يصف حياة العامل والفلاح فى العصر الحديث بأنها تدعوه الى الملل وعدم الاحساس بجمال الحياة وجمال الفن والابداع ــ فقد حلت الآلة مكان عقل الانسان وأصبحت الآلة سيدته وليس هو سيدها .. بل أصبح العامل ترسا صغيرا فى آلة الصـــناعة الضخمة وليس له الا أن يجلس أمامها كما يجلس العبد أمام سيده وهى تسـيره كما خطط لها من قبل . أما هو فما عليه الا مراقبتها حين تتعطل أو تتوقف وهذا كله يجعله يمل الحياة ويميل الى العنف والتوتر .

ولسنا ننكر أن هذه قد تكون أسبابا معقولة للتوتر الحضارى ولكنها تدور حول المشكلة ولا تغوص فى أعماقها بل تربطها بعلل آلية وعلمية بحتة وكأنما تريد أن تقول ان هذا التوتر أمر مفروض ولا مفر منه فى عصر الآلة والتكنولوجيا وهو ثمن الحضارة ولا يمكن الخلاص منه الا بالخلاص من الحضارة كلها .

(ب) النوع الثانى من الباحثين هو الذى يغوص فى أعماق النفس البشرية ويحاول ايجاد العلل الخفية والحلول الجذرية .. ويتمثل هذا المفكر فى التقرير الشهير الذى نشرته اللجنة العلمية التى شكلها الكونجرس الأمريكى لتقصى أسباب العنف الطلابى الذى اجتاح العالم كله والولايات المتحدة خاصة وهذا التقرير نشر سنة ١٩٦٩ فى كتاب للدكتور لويس فيور باسم « الحرية الطلابية » .

Academic Freedom By Lewis Fewer فقد جاء في التقرير « أن ظاهرة العنف بين طلبة الجامعات تعود الى وجود خواء اخلاقي في حياتهم .. والى عدم وجود رسالة انسانية مما يولد لديهم الشعور بضعة الحياة وتفاهتها .. ثم يقول التقرير « لقد أخفقت تربيتنا وجامعاتنا في اعطائهم هدفا رفيعا يصلح أن يكون رمزا أو محورا ينظمون حوله حياتهم ويبنون عليه طموحاتهم الاجتماعية والانسانية » .

العلم الغربي .. يعلن عن عجزه وافلاسه أمام أزمة الحضارة :

ان هذا التقرير الأخير . يحمل في طياته معنى خطيرا يجب أن ننبه اليه .. انه بمثابة حكم على نظام التربية الغربي سواء في البيوت أو المدارس بأنه فاشل .. وحكم على نظام الحياة الاجتماعية في الغرب كله بالفشل .. ولو كان هذا هو التقرير الوحيد من هذا النوع لما أعطيناه كل هذه الأهمية ..

ولكن الملاحظ أن معظم البحوث الجادة التي تغوص في أعماق المشكلة تخرج الينا بهذه النتيجة الواحدة وتكاد أن تختم تقريرها بهذه العبارة التقليدية .

« لقد أخفقت تربيتنا وجامعاتنا في اعطاء الشباب هدفا رفيعا أو رسالة انسانية تصلح أن تكون رمزا ينظمون حوله حياتهم » .

فاذا كان الانسان المتحضر قد وصل بعلمه الى القمر .. وغاص في أعماق المحيطات وشق أضخم الجبال بالأنفاق .. فكيف عجز علمه عن الغوص في أعماق نفسه البشرية وايجاد الحل لمشاكله الخاصة .. ولماذا ظلت هذه المشكلة حتى يومنا هذا معلقة بدون حل بل ان معظم هؤلاء العلماء يتوقعون أنها ستزداد في المستقبل سوءا وتعقيدا مع ازدياد الحضارة وتطورها .

أليس في هذا دليل على قصور عقل الانسان وعلمه عن حل مشاكله وعن حاجته الملحة الى عون من السماء لكى ينظم له حياته ومجتمعه . لقد كنت دائما أقول لأصدقائى من الأوروبيين والأمريكيين عندما نطرق هذا الموضوع بالبحث ان الحل الوحيد لجميع مشاكلهم : هو الاسلام وكنت أحرص في هذا على التأكيد بأن الاسلام الذى نقصده هو المبدأ الحق الذى أنزل وطبق فى صدر الدعوة وليس ما يفعله المسلمون المتخلفون اليوم .. ومما لا شك فيه : لو أن الاسلام طبق تطبيقا صحيحا فى أى بلد واحد : بحيث يجمع هذا البلد .

بين الفهم العصرى الصحيح لهذه التعاليم ..

وبين تكنولوجيا وحضارة القرن العشرين ..

فسوف يكون هذا المجتمع أسعد مجتمع على ظهر الأرض فلننظر الآن .. الى ما يستطيع أن يقدمه لنا الاسلام من حلول .

الحل الاسلامى لمشاكل الحضارة الحديثة

يختلف الفكر الاسلامى عن الفكر الغربى من حيث نظرتهما الى مشاكل الانسان اختلافا جذريا .. فالفكر الغربى مادى بحت بينما الاسلام ينظر الى الانسان على انه مادة وروح .. وجميع الحلول التى يقدمها فلاسفة الغرب تقوم على الحساب والأرقام والتجربة العلمية وعلى الأدوية المهدئة أو المنبهة دون الاهتمام بالجانب الروحانى للانسان .. ولهذا السبب فشل حكماء الغرب جميعا فى علاج مشكلة الحضارة .. لأنهم فشلوا منذ البداية فى تشخيص الأسباب .. وفى الطب الحديث حكمة تقول :

اذا أردت شفاء المرض فعليك بمعرفة أسبابه أولا .. لأنك

حين تعرف الأسباب يصبح العلاج يسيرا لأن العلاج ما هو الا ازالة الأسباب ·

وفى نظر الاسلام تعود أسباب امراض الحضارة والتوتر الى عدة عوامل مجتمعة نلخصها فيما يلى :

١ ــ طغيــان المادية :

والتفكير المــادى على معاملات النــاس وتنكرهم للروحانيات والقيم المعنوية فالانسان المادى يفقد ثقته بالله وايمانه بقضائه وقدره ويفقد بالتــالى رضا النفس وطمأنينتها وهذا يجعــله أكثر عرضة للهزات النفسية والقلق واليأس والعنف والطمع ·

٢ ــ الفراغ الفكرى والعقائدى :

مما يدفع الناس الى الملل من الحيــاة والبحث عن الملذات والاكثار من الشرب والمخــدرات والانحرافات الأخلاقية والجنسية وقد أصبحت المخــدرات بأنواعها من أعقــد المشاكل الاجتمـــاعية والصحية فى أمريكا وانجلترا ·· وكثير من دول العالم المتطورة ·· وهى لا ترجع الى الفقر ولا الجهل كما هو الحال فى بعض الدول المتخلفة ·· ولكن الذين يتعاطونها اناس مثقفون وأغنياء مما يدل على أن الفراغ والضياع هو السبب الوحيد لانحرافهم ·

٣ ــ انعدام الدافع الأخلاقى والوازع الدينى :

كثرت فى هذه المجتمعــات المتطورة حوادث الاخــلال بالأمن والاعتداء على الأفراد والأعراض كما كثرت حوادث السيارات الناجمة عن السرعة والاستهتار بأرواح الناس والميل الى العنف · وقد يقول قائل ان هذه الحوادث موجودة أيضا فى المجتمعات المتخلفة ولكن

شتان بين السرقة من أجل الجوع والحرمان وبين سرقة الملايين من أجل الطمع والشهوة والسلطة والمغامرة ‥ فمعظم حوادث الأمن في أمريكا تقوم بها عصابات قوية منظمة وغنية وتسيطر حتى على القضاة والوزراء ٠

٤ ـ انعدام التراحم في المجتمع الحديث :

وطغيان روح الأنانية بين الناس حتى بين أفراد الأسرة الواحدة ‥ فاصبح الأخ لا يساعد أخاه والأب لا تهمه مشاكل أولاده بعد سن معينة وأصبح الجار لا يساعد جاره أو يهتم بمشاكله ‥ والقوى لا يرحم الضعيف والغنى لا يعطى الفقير ومثل هذا الجحود وعدم التعاون بين الناس يزيد على الفرد أعباء الحياة ويعرضه الى الشعور بالعزلة وأمراض التوتر ٠

٥ ـ والعامل الاقتصادى من أهم اسباب التوتر ايضا :

ولكنه هنا يختلف كل الاختلاف عما هو في الدول المتخلفة والفقيرة ٠

ان متوسط دخل الفرد في الدول الصناعية المتطورة بين الفين وأربعة آلاف دولار في العام بينما هو في الدول المتخلفة ٢٠٠ ، ٣٠٠ دولار في العام فقط ‥ وبرغم هذا التفاوت الرهيب فكثيرا ما نسمع عن أصحاب الملايين في الدول الصناعية الذين يسقطون ضحية الذبحة القلبية بسبب القلق على أموالهم أو أثناء مضاربات (البورصة) أو المقامرات والمضاربات التجارية ولا يقتصر هذا القلق على الأغنياء وحدهم بل ان الطبقات الأقل ثراء أو الفقيرة نسبيا في هذه المجتمعات ‥ هي الأخرى تعيش حياة توتر وقلق من أجل تأمين عيشها بسبب تحكم الأقوياء وأصحاب رءوس الأموال

الكبيرة وأصحاب المصانع الضخمة الذين انعدمت لديهم مبادىء الرحمة فلا يهمهم الا الكسب المادى اما بسبب طموحهم الشخصى وعدم القناعة والرضا بالنعمة وكلا الحالين لابد أن يودى الى التوتر والقلق •

المجتمع الاسلامى مجتمع بلا توتر :

١ ـ من أهم التعاليم التى جاءت بها الأديان عامة والاسلام خاصة اهتمامها بالجانب الروحانى والمعنوى للانسان •• فالانسان ليس آلة تضع فيها البترول والماء والزيت فتدور •• وكل حركة فيها بحساب مادى مدروس •• ولكنه جسد وروح •• وكما للجسد متطلباته فللروح أيضا متطلباته من غذاء معنوى وروحى ويوم تطغى المادة وحدها على الإنسان تقتل آدميته وانسانيته •• ثم بعد ذلك يصاب فى روحه بالسقم والمرض واليأس من الحياة دون أن يدرى لذلك علة أو سببا •• وصدق الله العظيم اذ يقول : « **أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** » •

ويصف القرآن الذين ضلوا الطريق وانقطعت صلتهم بالله بانهم لابد وأن يصابوا باليأس والضغوط فيقول : « **ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون** » •

ولكن الاسلام يختلف عن غيره من الأديان فى عدم اغفاله للجانب المادى من الحياة على حساب الروحانيات •

فالى جانب أمره الناس بالزهد فى الحياة وبالقناعة والتقشف والبعد عن الاسراف فى الأكل والملبس والمال • وعن الطمع والحسد• فانه أيضا يأمرهم بألا ينسوا نصيبهم من الدنيا •• وأن يلبسوا الملبس الحسن ويتخيروا الطعام الحسن • وأن يكون لديهم طموح

لزيادة دخلهم ·· وتخطيط لمستقبلهم ·· وأن يستمتعوا بنعم الحياة « **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق** » ·

٢ ـ وللاسلام فلسفة خاصة في تقبل مشاكل الحياة ومآسيها بالصبر والايمان واعتبار المحنة أو المصيبة أو المرض من قضاء الله وقدره الذى لا ينبغى للانسان أن يستقبله بالسخط أو الجزع أو حتى مجرد القلق ·

« **ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبراها** » ـ **وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله·· وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ·· قل كل من عند الله** » ·

ويجب أن لا ننسى هنا أيضا أن الاسلام فى أمره للناس بالصبر والرضا عند الشدائد يأمرهم فى نفس الوقت بالعمل على اصلاح أحوالهم وعدم الاستسلام لواقعهم وفى هذا يقول تعالى : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » ويقول أيضا « **من عمل صالحا فلنفسه** » ·

فهذه حكمة تجمع بين عاملين كل منهما مكمل للآخر :

عامل الصبر عند وقوع الأزمة : بحيث يواجهها المسلم بشجاعة ومعنويات عالية ووجه باسم فلا يتحطم ولا ينهار بل يتخطاها بسلام ·

ثم عامل الاصلاح والعمل البناء لتلافى الأخطاء أو الأضرار بأعصاب هادئة وذهن صاف دون أى ارتباك ذهنى أو نفسى ·

وهذا يحطم النظريات الشيوعية التى تقول ان الدين أفيون الشعوب لأنه يعلمها التواكل والرضا بالأمر الواقع ·· فهذا على الأقل غير موجود فى الاسلام ··

والاسلام بعد هذا يمنع المسلم منعا قاطعا وحاسما من محاولة الهرب من صدمات الحياة ومشاكلها سواء بالانتحار أو بادمان الخمر والمخدرات ٠

فالانتحار : في حكم الاسلام قتل للنفس لا يدخل صاحبه الجنة مهما كانت دوافعه اليه ٠٠

والخمر والمخدرات : في حكم الاسلام قتل للعقول والارادة ومصير صاحبها الى النار ٠٠ ولهذا نجد حوادث الانتحار والادمان في العالم الاسلامى أقل منها فى أى بقعة فى العالم

٣ ـ والاسلام لا يسمح لأبنائه **بالفراغ الفكرى والعقائدى** : بل انه يأمرهم بالجهاد ويشغل عقولهم وقلوبهم بمحبة الناس وخدمتهم ٠٠ وصاحب العقيدة والمبدأ لا يمكن أبدا أن يشعر بالفراغ أو يفكر فى الانتحار أو الخمر أو المخدرات لانه يعتبر نفسه صاحب رسالة ٠٠ وهو مسئول عن الانسانية كلها فضلا عن مسئوليته نحو وطنه وقومه ومجتمعه وأسرته « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ٠

٤ ـ والمجتمع الاسلامى مجتمع تعاون وتراحم ومودة بين الناس :

فهو يلزم القادر بحل مشاكل الضعيف : « من يمشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدمه على الصراط حين تزل الأقدام » ٠

ويلزم الجار برعاية شئون جاره القريب والبعيد : « **والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل** » ٠

ويلزم الأسرة المسلمة بالترابط والتماسك والتعاون

من لم يعن ضعيفنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا

ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو تلقى أخاك بوجه طلق ··

ويمثل هذه المعاني النبيلة يخفف الناس عن بعضهم أعباء الحياة ·· ولا يحس المسلم أنه يعيش في غابة موحشة ولا يشعر بالغربة التي يشعر بها الانسان الأوروبي ·· بل يحس بأن المسلمين جسد واحد ·· اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ··

٥ ـ والاسلام حاسم كل الحسم في منع كل مظاهر الفساد وازالة كل بؤر التوتر والانحراف في المدينة ·

فلا خمر ·· ولا مخدرات ولا زنى ·· ولا ربا ·· ولا قمار ·· ولا عنف وهو في هذا لا يرضى بالحل الوسط كما تفعل دول الغرب التي تسمح بقسط من كل شيء بشرط أن يكون ذلك تحت رقابة الشرطة واذن الحكومة ·· ففي أمريكا مثلا يسمح للكبار بالسكر والمقامرة والزنا ويمنع من ذلك من دون سن الرشد ··

فاذا كانت هذه الأشياء مفيدة فهي أنانية من الكبار أن يمنعوا الصغار منها ·

واذا كانت ضارة فالأولى أن يمنع منها الكبار أولا باعتبارهم القدوة والمثل الأعلى للجيل الجديد ·

٦ ـ **واذا كان النظام الاقتصادي** : في الغرب من هم أسباب التوتر الحضاري بسبب ما يخلقه من الشعور بعدم الرضا والصراع الطبقي فان الاسلام يقدم لنا نظاما اقتصاديا يختلف اختلافا جذريا عن نظام الغرب ··

فالاقتصاد الاسلامي يعتمد جانب الأخلاق والمثل العليا

والتراحم بين النـاس في الكسب والتجارة والرزق ·· قبل جانب الحساب الجاف والأرقام الباردة التي لا تعرف العواطف ولا الرحمة ·

فالاسلام أولا يسمح بالغنى بل ويشجع الناس على تحسين احوالهم المادية ولا يبغضهم في المال كما في الديانات الأخرى بل يقول لهم : « كاد الفقر أن يكون كفرا » ولا بأس بالغنى لمن اتقى ·

ولكن الاسلام لا يسمح بالغنى الذى ياتى ··

- عن استغلال جهد الآخرين بغير الحق كالكسب الفاحش أو الربا أو المقامرة أو عن تجارة تضر الناس كالخمر والمخدرات والزنا والرقيق الأبيض ·

ـ أو المال الذى يأتى عن منافسة غير شريفة كاحتكار السلعة واستغلال السلطة أو رشوتها ·

ـ أو المال الذى لا يؤدى عنه حق الفقير في الزكاة والصدقة والبـر ·

ـ أو المال الذى ينفق بالاسراف والاتلاف في رفاهيـة زائدة أو مباهاة أو غير منفعة حقيقية ·

ـ أو المال الذى يكتنز دون التداول بين الناس في صناعة أو تجارة يعم خيرها على الناس ·

ـ أو المال الذى يودع لدى أعداء الوطن ليستفيدوا به ويتقووا به دون هذا الوطن ·

وبعد هذه الشروط كلها فالاسلام لا يسمح بالثروة والغنى الا بعـد ضمان حد الكفاية (لا الكفاف) لكل فرد ضعيف في الأمة ومعنى حد الكفاية أن تكفل له الدولة عملا يتعيش منه وسكنا لائقا

وغذاء كاملا والتعليم والصحة له ولأولاده وما لم يكفل هذا الحد الأدنى فيمنح الأغنياء ٠

والاسلام بفضل ذلك لا يترك فرصة للحقد الطبقي ولا يرضى بزرع الكراهيـــة والسخط بين الغني والفقير بل يخاطب الفقير بأن الغنى من الله والفقر من الله ٠٠ وأن من كان نصيبه في الدنيا الفقر فلا يبت وفى نفسه ضغائن ولا أحقاد ولا طمع ولا جشع فى مال غـيره ٠

بكل هذه القواعد الأخلاقية التى يضعها الاسلام لاقتصادياته تزول كل أسباب التوتر فيأمن الأغنياء على أموالهم : « وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ولا يشعر الفقراء بأنهم قد غبنوا أو حرموا من حقوقهم ٠

٧ ـ الأمن النفسي وسلامة النفس فى الاسلام :

ان من أعظم ما جـاء به الاســلام هو محوه لفكرة (الخطيئة الأصلية) و (انسان الخطيئة) ٠ تلك الفكرة التى ظلت تلاحق الانسانية المعذبة في جميع الديانات والفلسفات السابقة للاسلام ٠ ويقول مبدأ الخطيئة الأصلية أن الانسانية كلها يجب ان تتحمــل خطيئة آدم وحواء عندما عصيا ربهما ٠ وخطيئة ابن آدم الذى قتل أخاه ٠٠ فما نحن الا أبناء الخطيئة الأولى الأصلية وترى المبـادىء السابقة للاسلام أن الانسان يجب ان يكون كالمـلائكة بلا أخطـاء ولا سيئات ٠٠ ولكن لأنه ليس ملاكا ٠٠ فمهما فعل من حسنات فى حياته فان ذلك لن يمحو سيئاته وسيظل مدينا لله بالغفران والتضحيات والقرابين ٠ ويرجع خطر هذه النظرية الى ما تحدثه فى نفس معتنقيها من ارتباك نفسى وعقلى :

ـ فاذا كان متدينا مؤمنا بهــا فانه يشعر بالاثم الدائم ولو

بدون ذنب يقترفه ويظل فريسة لأوهام نفسية تنغص عليه حياته وتجعله مثقلا بالهم مليئا بالعقد النفسية التى تنعكس على تصرفاته .. وفى هذا يقول الدكتور محمد عزيز الجبانى أستاذ علم النفس فى كتابه « الشخصيات الاسلامية » : « ان عالم الخطيئة عالم رعب وقلق واهتمامات مزعجة دون سبب آنه عالم الابهام حيث يحيا الانسان فى خوف من الخوف » .

ويرى كثير من فلاسفة الغرب أن هذه النظرة المتشائمة للحياة وللمستقبل كانت من أهم أسباب نفور الناس فى أوروبا من الدين ويأسهم من الغفران واتجاههم نحو المادية والالحاد ثم سقوطهم فى دوامة التوتر العصبى

وفى هذا المجال فقد جاء الاسلام بفكر جديد يحرر النفس البشرية من هذا الخوف الوهمى ومن الشعور بالاثم بلا اثم . فحرره من جريرة آدم وكل من سبقه من أجداده الأولين .

وفى ذلك يقول الله تعالى :

ـ « تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » البقرة آية ١٣٤

ثم اعتبر الاسلام كل انسان مسئولا عن أعماله فقط ولا ذنب له فيما يقترفه غيره .

ـ « ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى » الانعام ١٦٤ ثم اعتبر الانسان بشرا وليس ملاكا . فهو يخطىء كما يخطىء البشر والله لا يعاقبه على الخطأ الذى لم يقصده ولكن على ما يفعله عامدا قاصدا :

ـ « وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت

قلوبكم » الأحزاب ٣٣ الآية ٥ وحتى اذا أساء الانسان متعمدا ثم تاب وأصلح فان الله يغفر له « **ان الحسنات يذهبن السيئات** » « **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** » ·

ـ « **ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** » النجم ٥٣ الآية ٣١ والمسلم الذى تغلب حسناته ترجح كفتها يصبح خاليا من كل اثم وله أن ينام قرير العين ، راضى النفس وأن يعتبر نفسه من عباد الله المؤمنين الذين ينعمون بعفوه ورضاه فى الدنيا ويبشرون بجنته ونعيمه فى الآخرة ·· وبذلك لا يظل الانسان فى شك من آخرته وفى يأس من دنياه ·· وهذه الراحة النفسـية من أعظم الشعارات التى نادى بهـا الاسـلام لراحة بال الانسـان :

ـ « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » ·

٨ ـ امن المسلم فى وطنه فى الاسلام :

لقد نادى الاسلام بامن المواطن فى وطنه ومجتمعه ·· أمنه على حياته وعلى عمله وعلى رزقه وماله وعرضه وكرامته ·· فلا يمس فى أى من هؤلاء بسبب رأيه أو بسبب معتقده ·· ان بعض كتب الفلسفة تعرف كلمة الوطن بأنه هو أرض الاجداد وبعضها يعرف الوطن بأنه الأرض التى فيهـا الأقارب والأهل · اما القرآن فانه يختلف مع هذه التعريفات السطحية اختلافا جذريا · ويعتبر أن الوطن هو أى مكان على ظهر الأرض يجد الانسان فيه الأمان والرزق· ولا شىء غيرهما ·· وفى كل مرة يذكر فيها الاسلام الوطن يربطه بهذين العاملين وحدهما فيقول تعالى :

« فليعبدوا رب هذا البيت ٠٠ الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » ويقول على لسان ابراهيم **« رب اجعل هذا البلد آمنا وارزقهم من الثمرات »** ٠ فجعل الأمن المطلب الأول للانسان ثم يليه الرزق ٠

وهــذه النظرة لها مغزى خطــير فى الحياة ٠٠ فبغير الشعور بالأمان لا يصبح الوطن وطنا مهما كانت فيه من خيرات ٠٠ ويصبح امام المسلم أمران :

اما أن يجاهد ويكافح فى سبيل الحصول على آمنه فى وطنه مهما كلفه ذلك من تضحيات ٠

واما (اذا عجز) أن يهاجر من هذه الأرض الى حيث يجد أمنه على حياته ورزقه وعقيدته ورأيه ٠٠ فالاسلام يعتبر الأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين ووطن المسلم هو هذه الأرض كلها بما وسعت ورحبت ٠

« ان الأرض لله يورثها من يشــاء من عباده » ٠ الأعراف ٧ الآية ١٢٨ ٠

ان الانســان اذا فقد الشعور بالأمان قد يصــاب بالجنــون والهلوسة وقد يصاب بالجبن والعقد النفسية والأمراض الخلقية ٠٠ ويصبح شخصــية متهارة مليئة بالنفــاق والرياء ٠٠ والله لا يرضى للمسلم مثل هذا الانهيــار النفسى والعقلى وهو الذى يعده بالأمن فيقول :

« او لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمــرات كل شىء » ٠ ويقول عن المؤمنين **« فاى الفريقين احق بالأمن »** ٠

هــذا هو بعض ما يقدمه الاســلام من حلول لمجتمع الحضارة والتوتر ٠ المجتمع الاسلامى مجتمع تسوده المحبة والتراحم والأمان فهو مجتمع بلا توتر ٠

هذا هو الاسلام ٠٠ وهذه هى تعاليمه التى تصلح لمجتمع الحضارة الحديثة والصناعات المعقدة والصعود الى القمر ٠٠ تماما كما صلحت لمجتمع البداوة وعيشه الخيام وركوب الجمل ٠

فالاسلام هو خير علاج لكل مشاكل التوتر فى المجتمع الأوربى الحديث ٠٠

الضوضاء والتوتر الحضارى

الاسلام برىء من مظاهر الضجة فى

بلادنا ولو احسنا اتباعه لقضينا على الضجة

لا شك أن الضوضاء هى احدى أسباب التوتر والقلق فى المجتمعات الحضارية الحديثة ٠٠ ولم تعد الضوضاء قاصرة على المدن الصناعية الكبرى التى تعج بالآلات والمصانع ووسائل النقل والمواصلات ٠ ولا على المدن التجارية حيث حمى الاعلانات والمنافسة التجارية وازدحام الطرق والملاهى والمكاتب ٠٠ بل لقد زحفت الضجة أيضا الى الضواحى والأرياف النائية بفضل ظهور وسائل الاعلام الحديثة والسهلة الانتقال كالراديو والتليفزيون والميكروفون الى جانب تصنيع الريف وانتقال المصانع والآلات والضجة الى القرى والحقول ٠

ومن أخطر الأمور على حياة الانسان الا يأخذ قسطه من الراحة والنوم متى أراد بسبب الضجة أو أن يحاول استجماع أفكاره فى عمل ذهنى فيجد دائما ما يشتت ذهنه ٠٠ فالضجة احدى عوامل الاجهاد الذهنى والعصبى واحدى معوقات الانتاج والعمل ٠٠ وقد ثبت طبيا أنها احد أسباب انتشار الأمراض العصبية والنفسية والعقلية الى جانب الأمراض العضوية التى يسببها التوتر ٠

وأكثر النـاس تأثرا بالضجة هم المثقفون وأصحاب الأعمـال والمهن الفنية الذين يكدحون بأذهانهم لا بأجسامهم ‥ فالانسـان المثقف يكون دائمـا مرهف الحس سريع التأثر والحساسية للجو المحيط به ‥ وكلما زاد علم الانسـان وثقـافته انخفض صـوته وقل صياحه وزاد وقاره ‥ وكلما ثقلت رأس الانسـان بالمعرفة والعلوم والأفكار ، كان أكثر حاجة من غيره الى الهدوء والراحة حتى ينتج للوطن من علمه وأفكاره ٠ وبذلك يصبح من حقه على الوطن أن يتيح له هذا القدر من الهدوء ٠

وفى نفس الوقت فمن المعروف أن الشخص الجاهل الفـارغ الرأس هو وحده الذى يحدث حوله أكبر قسط من الضجة والازعاج للآخرين ‥ ومن حكم الأقدمين فى هذا المجال قولهم . « ان الصوت المرتفع ليس دليلا على رجاحة العقل ولا على قوة الشخصية فالحمار صوته مرتفع ولكنه لا يعتبر من الحكماء ‥ والصرصار صوته مرتفع ولكنه لا يعتبر من ذوى الشخصية » ٠

ولخطر الضجة على المجتمع المتحضر فقد خصصت هيئة الأمم المتحدة أسبوعا فى العالم كله لمحاربة الضوضاء تماما كما خصصت أسبوعا لمحاربة المرض وغيره لمحاربة الجوع ‥ وقد جعلت شعارها فى ذلك الأسبوع الهدوء ذوق وأخلاق والضجة جهل وتخلف وأكثر البلاد الراقية الناهضة تحتفل بهذا الأسبوع فيمنعون أى سائق سيارة من استعمال آلات التنبيه على الاطلاق وبذلك يضطر الى التأنى فى السواقة وعدم السرعة ويوقعون غرامة مالية على أى بيت أو محل تجارى أو مقهى يفتح جهاز الراديو بصوت مرتفع ٠ وحتى الأطفال يعلمونهم التعاون مع المجتمع ومراعاة مشاعر غيرهم بعدم احداث الضوضاء فى الشوارع والبيوت أثناء اللهو واللعب ٠

وبمثل هذه التعاليم مع الكثير من الدقة والتنظيم استطاعت

أوروبا وأمريكا الى حد كبير أن تتخلص من آفة الضجة ولكن بقيت الضجة للأسف الشديد في مدننا العربية والاسلامية الى حـــد أن بعضهم يعتبر أن لهذه الضجة علاقة بديننا وهو منها براء ·· فلننظر فى تعاليم الاسلام الحقيقية وكيف حارب الضجة ·

الاسلام يحارب الضوضاء :

لقد حارب الاسلام الضجة والجلبة فى كل صورها وأسبابها :

واذا كانت وسائل الضجة الحديثة كالسيارات والميكروفونات والراديو والتليفزيون لم تعرف فى عصر الرسالة ·· فقد جاء الاسلام بالتعاليم والمبادىء العامة التى تصلح لكل عصر ومكان والتى تبين أن من يحـدث الضجة أو يزعج غيره انســان قد انعدمت لديه مبادىء التراحم والتعاطف مع الناس والمراعاة لمشاعر غيره ··

وقد جاءت آيات القرآن تأمر الناس بالسكينة والوقار وتشبه من يرفع صوته بالحمار فيقول تعالى :

« **واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير** » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره من يرفع صوته فى الحديث أو النداء سواء كان ذلك فى البيوت أو المجالس ·· أو فى الشوارع ·· بل وأيضا فى الخلاء ·

ذات يوم رفع بعض الصـحابة أصواتهم فى مجلس الرسول حتى غطى على صوته واستحى الرسول أن يسكتهم لأنهم كانوا فى بيته ولكن الله لا يستحى من الحق ونزل القرآن كأنه سيف قاطع حاسم يقول :

« **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم**

لا تشعرون ٠٠ ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم » ٠

وجاء بعض الأعراب يوما الى بيت الرسول وأخذوا ينادونه من الشارع بصوت مرتفع فنزل القرآن الكريم :

« ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » ٠

ان بعض النـاس في عصرنا هذا قد يستعمل مكبرات الصوت بصورة مزعجة لجيرانه أثناء تلاوة القرآن في المآتم أو في الحفلات والخطب الدينية أو يفتح المذياع بأعلى صوته عند تلاوة القرآن ٠٠ وقد يتصور هؤلاء انهم بذلك يدعون الى سبيل الله وأن من يعترض سبيلهم أو يطلب منهم عدم احداث الضجة انسان فاسد أو غير متدين ٠٠ وقد تفشت هذه الظاهرة المؤلمة في كثير من البلاد الاسلامية حتى أصبح كثير من الأوربيين والأجانب يتصورون ان ظاهرة الضجة هي من صميم تعاليم الاسلام وهي في الواقع سوء استغلال للدين وهي بعكس تعاليمه وتسيء اليه ٠٠

فان أول مكان يشترط الاسلام فيه السكينة والوقار هو دور العبادة والصلاة وذلك لكي يجعل الله المسجد قدوة لغيره في محاربة الضجة ٠٠

فقد منع الاسلام احداث الضجة والصوت المرتفع سواء كان ذلك من داخل المسجد أو خارجه ، حتى لو كانت هذه الضجة لتلاوة القرآن أو الأذان للصلاة ٠٠ فالله تعالى يقول :

« ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ٠٠ » ٠

وقد سمع رسـول الله صلى الله عليه وسـلم رجالا يرفعون أصـواتهم عند قراءة القرآن في المسـجد فقال لهم : « ان كلا منكم

يناجي ربه فلا يؤذي بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القرآن » .

وعندما أراد رسول الله أن يختار وسيلة لنداء الناس وتبليغهم مواعيد الصلاة جاء بعض الصحابة يقترحون عليه استعمال الأبواق كاليهود او استعمال الأجراس كالنصارى واقترح بعضهم أن تقرع الطبول كعادة القبائل في الحرب ولكن رسول الله لم يستحب هذه الآلات المزعجة العالية الصوت .. وفضل أن يكون الأذان بصوت الانسان الطبيعي الذى ينبه ولا يزعج فاختار بلالا للأذان .. ولم يكن بلال جهير الصوت بل كان صوته خفيضا ، رخيما ترتاح له النفوس وتستجيب له القلوب .

وبينما كان الصحابة في طريقهم الى احدى الغزوات اذ حان موعد الصلاة وهم في الصحراء .. فوقف بعضهم يؤذن للصلاة بصوت مرتفع فناداهم الرسول وقال لهم : « بعض هذا .. فليس بينكم غائب تنادونه ولا أصم فتسمعونه » .

ويكره الاسلام أيضا احداث الضجة والجلبة خارج المسجد أو في الطريق اليه ولو كان ذلك استعجالا للصلاة :

عن أبي قتادة قال : « بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمع جلبة خارج المسجد فقال : ما شأنكم قالوا استعجلنا الى الصلاة .. فقال الرسول : « لا تفعلوا .. اذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما سبقكم فأتموا » .

ومن هذه الأمثلة الحية والتعاليم السماوية التي جاء بها الاسلام نجد أنه يحرم الضجة ولو كانت في قراءة القرآن أو الأذان الى الصلاة .

فما بالك بهؤلاء الذين يحدثون الضجة بغير هدف ولا غاية

الا متعتهم الشخصية كسائق السيارة الأحمق الذى لا تفارق يده آلة التنبيه ولو لم يكن فى الطريق أحد ‥ أو صاحب الهوى الذى تعجبه أغنية فى المذياع فيرفع صـوته ليفرضها على جيرانه ‥ أو أصحاب الحفلات الماجنة والساهرة أو المقاهى والملاهى الذين يركبون الأبواق الكهربائية الضـخمة لكى يعلنوا عن انفسهم او يفرضـوا مشاعرهم على غيرهم من الناس ·

أو الآباء الذين يطلقون أطفالهم فى الشوارع والبيوت يحدثون الضجة والصراخ دون حدود أو مراعاة للجيران وهم يتصورون ان هذا حق للطفل ولا يجادل فيه أحد ‥

وحتى المساجد أصبحت هى الأخرى مصدرا للضجة فى المدينة الاسلامية ، فللأسف الشديد أننا فى مرحلة تخلفنا الراهن قد شوهنا الكثير من مظـاهر الاسلام ، وبعد أن كانت المساجد مكان السكينة والهـدوء والوقار أصبحنا نتنافس فى تركيب مكبرات الصـوت الضخمة ‥ داخل المسجد وخارجه ‥ وقد حضرت صلاة الجمعة فى أحـد المساجد فكان جميع المصلين لا يكادون يسمعون خطبة امـام مسجدهم لأن المسجد الآخر المجاور قد وضع مكبرات للصوت أقوى وأعلى صوتا ‥ وعندما ذهب الناس الى بيوتهم للراحة والنوم بعد أداء الصلاة كانت مكبرات الصوت فى المساجد المختلفة ما تزال تصرخ فى آذانهم وكأن القصد ليس هو الحكمة والموعظة الحسنة ‥ بقدر ما يكون الهدف هو احداث أكبر قدر من الضجة ‥ وعلو الصوت ‥ وفى هذا خروج عن أسلوب الاسلام وعن رسالة المسجد ‥ فاذا كان الهدف هو اسماع المصلين بالمسجد فلماذا لا نكتفى بمكبرات الصـوت الداخليـة وحدها ونمنع المكبرات الخارجيـة حتى لا يكون المسجد مصدرا للضجة فى كل شارع وحى ‥ وهذا هو ما تفعله الدول المتحضرة فى جميع أماكن العبادة ‥ فمنذ ظهر اختراع مكبرات الصوت منع وضعها خارج الكنائس والمعابد فى جميع دول العالم

المتحضر •• حتى يبقى للدين وقاره وسكينته وحرمته •• وبذلك وحده نطبق قوله تعالى : « **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا** » •

ألا يعلم هؤلاء الذين يحدثون الضجة فى الشارع كم من مريض فى البيوت يريد أن يرتاح ••

وكم من شيخ كبير مسن يريد هدوء البال •

وكم تلميذ يذاكر دروسه وكم طبيب أو مهندس او شرطى يسهر طوال الليل لخدمتهم ويريد قسطا من الراحة والنوم بالنهار •

ان مثل هذه الضجة لا تتنافى مع الذوق السليم والاحساس بالمسئولية بل هى ضد الدين والمبادىء والأخلاق •

سادسا ..

الصحة الجنسية فى الاسلام

ابواب هذا البحث :

١ ـ العلاقة بين الدين والجنس .
٢ ـ التثقيف بالجنس فى الاسلام .
٣ ـ الاسلام وعلم الأجنـة .
٤ ـ الزواج فى نظر الاسلام والديانات الأخرى (دراسة مقـــارنة) .
٥ ـ الحب فى نظر الاسلام .
٦ ـ الاختلاط او فرص التعارف قبل الزواج .
٧ ـ الخطوبة واختيار الزوجة فى الاسلام .
٨ ـ النكاح وآداب المباشرة فى الاسلام .
٩ ـ العادة السرية فى رأى الدين والعلم .
١٠ ـ البرود الجنسى عند المرأة المسلمة اسبابه وعلاجه .
١١ ـ ختان المرأة عادة خطيرة والاسلام برىء منها .
١٢ ـ النظافة الجنسية فى الاسلام .
١٣ ـ الحكمة الطبية فى تشريع الطلاق وتعدد الزوجات .
١٤ ـ الاسلام وتحديد النسل ومنع الحمل .
١٥ ـ الاسلام والاجهاض .
١٦ ـ الاسلام وطفل الأنابيب وزرع المبيض ..

نجاح الأسرة

يبدأ من الوفاق فى فراش الزوجية
فاذا انتفى هـذا الوفاق
انهارت الحياة الزوجية كلها

١ ـ العلاقة بين الدين والجنس

قالت عائشة أم المؤمنين

نعم النساء نساء الأنصار

لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين

رواه مسلم بكتاب الحيض ٦١
والبخارى كتاب العلم ٥

العلاقة بين الدين والجنس

الجنس واثره فى السلوك الانسانى :

الجنس عامل هام فى حياة الانسانية والكائنات الحية كلها ويكفى أنه سبب بقائنا على الأرض وتكاثرنا فيها ٠

وقد وجد العلم ان حاجات الكائن الحى الرئيسية ثلاثة :

هى السلامة أولا ثم الطعام ثانيا ثم الجنس ثالثا :

وبكلمات اخرى : غريزة حب البقاء ثم غريزة الجوع ثم غريزة التناسل ٠

ـ وكما أن الحرمان من السلامة وعدم الشعور بالأمن قد يؤدى بالانسان الى الذعر أو الانهيار العقلى ٠

ـ والحرمان من الطعام يؤدى الى الهزال ثم الموت ٠

فكذلك الحرمان من الجنس يؤدى الى الكثير من الانحرافات الخلقية والعقلية والتشوهات النفسية ٠

والنظريات العلمية الحديثة تعتبر الجنس أحد العوامل الرئيسية المسيطرة على غرائز المخلوقات وطبيعتها وسلوكها ٠

ـ فالنشاط والحيوية والطاقة الخلاقة والروح القيادية تعود الى دوافع جنسية ٠

ـ وعلى النقيض فان التبلد والخمول والانطواء وضعف الشخصية يعود أيضا الى عوامل جنسية ٠

ـ وفى الحيوانات التى تعيش حياة القطيع البرى نرى أن أكثرها فحولة وذكورة هو الذى يتولى القيادة والسيطرة ٠٠٠٠٠ ولا يأذن لأحد بمخالفته ٠٠ فاذا ظهر من القطيع فحل غيره منافس له فان الصراع يقوم بينهما حتى الموت أو طرد الأقل فحولة وقوة ٠

ومن علماء النفس الكبار أمثال (فرويد) من يبالغ فى تقدير دور الجنس فى سلوك البشر ٠٠ فيجعله كل شىء فى الحياة حتى منذ لحظة ولادة الطفل ٠٠ وفى ذلك يقول : « ان مص الطفل لثدى أمه للرضاعة ٠٠ ثم مص الأصابع ٠٠ ثم عض المصاصة الكاوتشوك كلها من مظاهر النشاط الجنسى » ٠

وعلى كل حال ٠٠ فمن الحقائق الثابتة التى لا يمكن اغفالها أن التربية الجنسية السليمة ٠٠ والحياة الجنسية السليمة تخلق انسانا سويا فى طباعه وأخلاقه وتصرفاته ٠

كما أن التربية الجنسية الخاطئة ٠٠ والحياة الجنسية الشاذة ٠٠٠٠ تخلق انسانا مليئا بالعقد فى كل تصرفاته ٠٠ وبالشذوذ فى أفكاره وأعماله ٠

الدين والجنس :

ومن هنا ٠٠ كان اهتمام الأديان السماوية جميعا ٠٠ وبالتالى المذاهب والعقائد التى صنعها البشر بتنظيم المسألة الجنسية ٠٠ ويهدف هذا التنظيم الى عاملين هامين :

الأول : تهيئة الانسان منذ نشأته لحياة جنسية سليمة وذلك بوضع القواعد والضوابط والتشريعات اللازمة لها ٠

ثانيا : تهذيب الغرائز الحيوانية والبدائية في الانسان وتغليب العقل على الغريزة والالتزام بالمبادىء على الاستسلام للغرائز ٠

، هذا هو الهدف المشترك بين جميع النظم فى تصديها لغريزة الجنس ٠ ولكن الملاحظ أن هذه النظم تتناول هذا الموضوع بالذات باتجاهات شديدة التفاوت والتناقض ٠

فمنها ما يغرق في الروحانية ويعتبر الجنس أمرا حيوانيا وغريزة دنيا يجب أن يتنزه الانسان عنها ان استطاع وأن يترهبن ويعتزل النساء ان أمكن ٠

ومنها ما يغرق فى المادية والشهوانية ويعتبر الجنس كل شيء في الحياة وان الجنس يجب أن يكون مشاعا لمن يشـــاء وبالطريقة التى يشاء كالشيوعية والوجودية ٠

اما الاسلام فقد جاء دينا وسطا بين المذهبين فالمنهج الاسلامى فى النظر الى الجنس وتنظيمه يتسم بالواقعية والمثالية فى وقت واحـــد ٠٠

فهـو ينظر الى الانســـان كبشر لا كمـلاك ٠٠ وله حاجاته الضرورية التى لا يمكن مقارنته فيهـا بالملائكة ولا يمـكن حرمانه منهـــا ٠٠

وهو فى نفس الوقت يسامى بهذا الانســان عن الانحطاط بغرائزه الى مستوى البهيمـة والحيوان يقضى حاجته بغير قيــود ولا مسئوليات ولا تنظيم ٠

ففى نفس الوقت الذى يأمر الاسلام بالزواج ويعتبره مكملا للدين أو نصف الدين ويمنع الرهبانية ويسمح بالطلاق حين ينعدم الوفاق الروحى ويسمح بالزواج حتى أربع اذا اقتضت الظروف

فانه حاسم كل الحسم مع المنحرفين الذين يريدون العدوان والصيد فى حمى غيرهم أو التحلل من قيود الأسرة والمجتمع ويوقع أشد العقاب على جريمة الزنا والانحراف ·

والملاحظ أن الاسلام فى معالجته لمشاكل الجنس لم يترك فى هذا المجال صغيرة ولا كبيرة الا طرقها ووضع لها تنظيما ثابتا ودقيقا · فقد اهتم الاسلام بالثقافة والتربية الجنسية ·· وتنظيم الزواج والطلاق والتلاقى بين الجنسين · وبين جزاء الانحرافات كالزنا واللواط ·· ووضع تنظيمات للصحة الجنسية كالطهارة للذكور · والغسل بعد الجماع وبعد المحيض وعدم المجامعة أثناء الحيض بل لقد اهتم أيضا بالأوضاع الجنسية والعلاقات الجنسية والأسلوب السليم الصحى لها ·

كل هذا بقصد خلق مجتمع سليم من الوجهة الصحية والنفسية والأخلاقية وهذه هى تعاليم الاسلام فى كل واحدة من هذه المجالات ·

٢ ـ أسلوب الثقافة الجنسية فى الاسلام

اسلوب الثقافة الجنسية فى الاسلام

لقــد تميزت المدرسة الاســلامية فى مجال التثقيف الجنسى بالصراحة والوضوح تحت الشعار الذى يقرره الاسلام « لا حياء فى الدين » فالزواج فى الاسلام اسمه « عقد النكاح » وهى كلمــة صريحة ومباشرة مأخوذة من القرآن ٠

والفقه الاســلامى يتحدث بوضــوح وتحديد قاطع عن النكاح والايلاج والانزال ودخول المرود فى المكحل الى غير ذلك من المسائل الفقهية التى لابد من تحديدها باسلوب قاطع لا لبس فيه ولا ابهــام وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرح آداب المباشرة الجنسية فى الاسلام فى المسجد فى حضور الرجال والنساء معا بل فى حضور الفتاة العذراء والشاب المراهق ٠ فعن أبى هريرة قال :

« صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلم أقبل علينا بوجهه فقال مجالسكم ٠ هل منكم الرجل اذا أتى أهله وأغلق بابه وأرخى ستره ثم يخــرج فيحدث ٠ فيقول فعلت بأهلى كذا وفعلت بأهلى كذا ؟ فسكتوا حياء ٠٠ فأقبل على النساء فقال : هل منكن من تتحدث ؟ فجثت فتاة كعاب على احدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ويسمع كلامها فقالت : أى والله انهم يتحدثون ٠ فقال عليه السلام هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟ ان مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقى احدهما صــاحبه بالسكه فقضى حاجته منهــا والناس ينظرون » (رواه أحمد وأبو داود عن أبى هريرة) ٠

وأحاديث رسول الله عن المرأة وعن الجنس وعن حب المرأة فيها

من الشجاعة والواقعية ما لا يوجد مثيله الا فى كتب التربية العلمية الحديثة .

انظر الى قوله صلى الله عليه وسلم : « حبب الى من دنياكم الطيب والنساء » وقوله : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » (أخرجه مسلم والنسائى) .

وسئل مرة « يا رسول الله من أحب الناس اليك ، قال : عائشة قيل : ومن من الرجال ؟ قال : أبوها » (أخرجه مسلم) .

ويقول فى الحث على الزواج بالأبكار : « عليكم بالأبكار فانهن أكثر حبا وأقل صخبا » وجاء أحد صحابته يخبره أنه قد خطب .. فسأله : « بكرا أم ثيبا » .. فقال له « ثيب » فقال الرسول : « ألا من بكر تداعبها وتداعبك » (أخرجه الخمسة) . وفى رواية أخرى « تعضها وتعضك » .

ويحث الاسلام على احترام الغريزة الجنسية .. وعدم النظر اليها بنظرة التعالى أو الاحتقار كما تفعل بعض المذاهب الأخرى فهذا التعالى يورث العقد والنفاق ويجعل الانسان يحتقر نفسه وزوجه ومجتمعه .. ولهذا السبب كان الصحابة وزوجاتهم يستشيرون رسول الله فى ما يحدث بينهم وبين أزواجهم من مشاكل جنسية وعاطفية ، ورسول الله يجيبهم بما يعلمه وما لا يعلمه ينزل عليه به الوحى فى كتاب الله فى رأى قاطع وحاسم وصريح ودون ابهام أو مواربة .

والى جانب هذه الصراحة والوضوح فان القرآن يأتى بتعاليمه فى المسألة الجنسية فى غلالة من الألفاظ الرقيقة والآداب الوقورة والكناية الجميلة .

فمن ذلك قوله تعالى :

« **او لامستم النساء** » والقصد بها ملامسة الشهوة وليست اللمسة العادية ٠

وقوله عن المجامعـــة : « **وقد افضى بعضـــكم الى بعض** » (النساء ــ ٢١) ٠

وقوله : « **ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه** » (يوسف ــ ٢٤) ٠

وقوله : « **نســاؤكم حرث لــكم فاتوا حرثكم انى شئتم** » (البقرة ــ ٢٢٣) ٠

وبهــذا الأسلوب الرفيع يسرد القرآن الكثير من قصص الحب والجنس لكى يضرب للشباب المثل الأعلى والتصرف الاسلامى فى كل موقف ٠٠ حتى تصبح تلك الأمثال قدوة لهم على مر الأجيال ٠

فمن ذلك قصة العفة والارادة متمثلة فى نبى الله يوسف مع امراة العزيز وقصة الحب العـذرى متمثلة فى نبى الله موسى الذى اعجبت به ابنة شعيب لأمانته وقوته فقالت لأبيها :

« **يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوى الأمين** » ففهم الأب فى الحال فقال لموسى : « **انى اريد أن انكحك احدى ابنتى هاتين** » (القصص ــ ٢٧) ٠

وفى احاديث رسول الله الكثير من قصص الحب والجنس التى يضربها كمثل على العفة والتقوى وجزاءها عنــد الله ٠٠ فمن ذلك قوله :

« انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ٠ فقالوا

لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم » فأخذ كل منهم يروى ما عمله من صالحات والصخرة تنزاح شيئا فشيئا حتى جاء دور الثالث فقال :

« اللهم انه كانت لى ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها وامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها حتى اذا قدرت عليها وقعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها وانصرفت عنها وهى من أحب الناس الى وتركت الذهب الذى أعطيتها :

اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة (رواه البخارى ومسلم) •

تثقيف الطفل بأمور الجنس :

تختلف المجتمعات المعاصرة اختلافا بينا فى نظرتها الى تثقيف الطفل بأمور الجنس •• فهناك مجتمعات شديدة التحفظ والانغلاق ترى عدم ذكر أمور الجنس من بعيد أو قريب أمام الطفل فى كل مراحل عمره ••• فاذا سأل الطفل سؤالا من أمور الجنس ولو كان عن نشأته وتكوينه تهربوا من الرد وربما اضطروا الى الكذب المضلل كقولهم (اشتريناك من السوق) وتكون نتيجة هذا الانغلاق أحد أمرين •• اما أن يكبر الطفل جاهلا حتى يفاجأ بالتطورات الجنسية كالاحتلام للفتى أو الحيض للفتاة وغير ذلك من الأمور الطبيعية وهو لا يدرى عن ذلك شيئا مما قد يصيبه بالعقد الجنسية والأمراض النفسية •• واما أن يتعلم ذلك من زملائه ومن غير أهله •• وقد يكون بينهم الفاسق والمضلل •

وفى نفس الوقت هناك مجتمعات وخاصة فى الغرب تتمادى

فى اباحة المعلومات والمظـــاهر الجنسية أمام الطفل ٠٠ ســـواء في حياتهم الخاصة والعامة أم في وسائل الاعلام مما يســـبب لدى الأطفـــال الكثير من الانحـــرافات والخلل العقلى والخلقى عندما يصلون الى مراحل الشباب ٠

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن كلا من الاتجاهين خطأ ٠٠٠ بل خطر على كيان الانسان والمجتمع والأسرة ٠٠٠ وتقول النظـرية الحـديثة ان الناشـئة يجب أن يتعلموا أسرار الجنس بالتدرج المناسب لأعمارهم مرحلة بعد مرحلة ٠٠ فالطفولة لهـــا قدرها من العلم ثم تأتى فى مرحلة المراهقة ثم مرحلة النضج ٠٠ وقد أصبحت المدارس الحديثة تعلم الطفل اللقـــاح فى الزهور أولا ٠٠ ثم تبين له الفـــرق بين الذكر والأنثى فى النبات ثم فى الحيوان ثم الانسان ٠٠ وتريه نماذج من الأجنة والأرحام ٠٠ فاذا بلغ الطفل سن المراهقة تشرح له كل مشاكل تلك الفترة ٠٠ والأمراض التناسلية والعادة السرية الى غير ذلك من المعلومات الحيوية ٠٠ وهذا كله يتفق مع أسلوب الاسلام فى التثقيف الجنسى ٠

فالطفل المسلم يحفظ منذ نعومة اظافره الكثير من آيات القرآن وسوف يجد فى كثير منها مع شىء من التفسير المتدرج اجابات على اسئلته وسوف نشرح له بالتفصيل الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الأمر ٠٠٠٠٠ فمنها ما يتعلق باللقاح فى الزهور والنباتات ثم فى الحيوان والانسان ومنها ما يتعلق بتكوين الأجنة وتطويرها ومنها ما يتعلق بالمراهقة ومشاكلها وواجباتها ٠٠ وهذه المعلومات يجب أن يشترك في تقديمها البيت والمدرسة معا ٠٠ ورجل الدين مع رجل العلم ٠٠ ومما لا شـــك فيه أن ارتباط الثقافة الجنسية بالتربيـــة الدينيـــة أمر يجعل للجنس فى نفس الطفـــل الكثير من الاحترام والتقدير ٠

ومن تعاليم الاسلام الى الأبوين أن يلزموا أولادهم وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « **الزموا أولادكم** » ومعنى ملازمة الأولاد مرافقتهم وقضاء أكثر الوقت معهم وخاصة في وقت الفراغ كالنزهة واللهو والطعام وأهم من ذلك وقت الصلاة ... والهدف من هذه الملازمة اعطاء الفرصة للتقارب بين الطفل وأهله ورفع الكلفة واجابة أسئلته بدون حرج أو مفاجأة ... بما فى ذلك ما يتعلق بالجنس .

ولكى لا يفاجأ الطفل بمنظر من مناظر الجنس بين الأبوين فقد أمر القرآن الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم أن يستأذنوا على أبويهم ثلاث مرات فى اليوم وهى الأوقات التى تعتبر عورات .. أما الأطفال البالغون فعليهم بالاستئذان فى كل وقت .. وفى ذلك يقول تعالى : « **يايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم** » (سورة النور ٥٨ ــ ٥٩).

ويأمر الاسلام بالتفريق بين الأخ وأخته فى المضاجع وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » (متفق عليه) وقد اختلف الفقهاء فى سن التفريق ويرى بعضهم أنه سن الخامسة ولكن هذا يتوقف على مدى وعى الطفل وادراكه وتمييزه .

٣ ـ القرآن والتزاوج وعلم الأجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

« علم الانسان ما لم يعلم »

(صدق الله العظيم)

القرآن والتزاوج وعلم الاجنة

هناك أمور فى علم الأجنة ، تعتبر من البديهيات التى عرفها الانسان الأول وتوصل اليها بالفطرة ، ولكن اذا دخلنا فى التفاصيل الدقيقة والمعلومات العلمية المفصلة لوجدنا أن الانسان حتى عهد قريب جدا كان يتخبط فى علمه وتفسيراته وانه قبل اختراع الميكروسكوبات المعقدة فى القرن العشرين كانت الانسانية تعيش فى ظلمات الجهل والخطا ٠

ومن هنا ياتى اعجاز القرآن العلمى ، فقد جاءت تفاصيل الجنس والتناسل وتكون الجنين فى القرآن فى مواضيع عديدة بحيث لو جمعت فى موضوع واحد لخرجنا منها بمعلومات وافية ما كان يمكن أن يدركها أو يعقلها انسان القرن السابع الذى نزل فيه القرآن ، وعلى مر العصور كان الفقهاء المسلمون يجتهدون فى تفسير تلك الآيات حسب علوم عصرهم ، بل ان الأطباء العظام أمثال الرازى وابن سينا والزهراوى قد اجتهدوا فى التفسير حسب علمهم٠ ولكن القرآن كان سابقا لكل هؤلاء بقرون طويلة ٠

وهذه هى بعض الحقائق القرآنية فى هذا المجال :

(أ) التزاوج فى النبات :

الأزواج والتزاوج :

يقول الله تعالى : « **سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** » (يس ـ ٣٦) ٠



حبوب اللقاح في النبات وبعضها له أجنحة لتحمله الريح

وتقول النظرية العلمية أن كل شيء حي في هذا الكون سواء كان نباتا أم حيوانا أم حشرة أم انسانا يتكون من مذكر ومؤنث . بل ان العلماء قد ذهبوا الى اعتبار الجماد أيضا يتكون من مذكر ومؤنث وبلغة العلم من موجب وسالب أو بروتون واليكترون . ومن هنا نجد القرآن يكرر وجود الأزواج فى كل شيء فى الدنيا . ثم تطرق الآية الى ذكر تركيب جسم الكائن الحى الناجم عن هـذا التزاوج فتذكر في ايجاز بلاغي معجز أنه يتكون من ثلاث عناصر رئيسية ، مادة وروح (أى نفس) ثم شيء ثالث لا نعلمه وما زال العلم حتى يومنا هذا لا يعلم كنه هذا العنصر الذى يجعل الحركة تدب فى أعضاء الكائن الحي . وعلى سبيل المثال ما يحـدث في عملية زرع الأعضاء .. اذا قطعنا عضوا من جسم كائن حى .. ثم حفظناه فى ظروف علمية معينة الى أن ننقله الى كائن حى آخر . فهذا العضو يعتبر حيا فى نظر العلم .. ولكن العلم الحديث لا يعرف الفارق بين هذا النوع من الحياة العضوية .. وبين حياة المخلوق الذى أخذ منه العضـــو .

٢ ــ اللقاح فى النبات :

يقول الله تعالى : « **وأرسلنا الرياح لواقح** » (الحجر ــ ٢٢) .

فقد اكتشف العلم الحديث الكثير من المعجزات الالهية فى دور الريح فى تلقيح النباتات ... فبعض النباتات تنطلق منها الأعضاء المذكرة وتكون لها أجنحة شبيهة بأجنحة الطيور وبعضها الآخر له ما يشبه المظلة أو (الباراشوت) وتنقلها الريح الى مســـافات بعيدة قد تصل الى بضعة كيلومترات .. ثم تهبط على الزهور المؤنثة من نفس النبات والفصيلة فتلقحها . (صورة (١))

٣ ـ الثمرة هي الجنين في النبات :

يقول تعالى : « **ان الله فالق الحب والنوى** » (الأنعام ٦ ـ آية ٩٥) فالحبة او الثمرة فى النبات هى الجنين الذى يتكون من اتحاد المذكر بالمؤنث ٠٠ وهذا الجنين قد يتكون من حبة صلبة أو نواة فاذا نزل على الأرض وأصابه الماء انفلق الغطاء الصلب وخرجت منه الجذور الى الأرض لكى تنبت نبتة جديدة وهكذا ٠٠

(ب) التناسل فى الحيوان والانسان :

اولا ـ نطفة الذكر وطبيعتها :

— يتم التناسل فى الحيوان والانسان فى صورة واحدة بشكل عـــام ٠

فالجنين يتكون من اتحاد حيوان منوى واحد مع بويضة واحدة ٠

— **وتتكون نطفة الذكر** اى السائل المنوى من سائل لزج لا يزيد حجمه عن ٣ سم٢ ، ويســبح فى هذا السائل بضـــعة ملايين من الحيــوانات المنــوية الدقيقة التى تتكون من رأس وذيل وتتكون هذه الحيوانات فى غدة الخصية (ويبلغ عددها فى المنطقة الواحدة قرابة الثلاثمائة مليون) ٠

وهناك حقيقتان علميتان هامتان لم تكن اى منهما معروفة الا فى العصر الحديث جدا :

الأولى : ان الخصية موضعها الأول فى جسم الانسان هو فى البطن على جانبى العمود الفقرى ٠ وقبل الولادة تنزل الخصية من البطن فى الشهر الثامن الى كيس الخصية خارج البطن ٠٠ وفى

بعض الأطفال قد يتأخر نزول الخصية بعد الولادة فيحتاج الأمر الى عملية جراحية لانزالها الى مكانها الطبيعي · (صورة (٢))

والحقيقة الثانية : أن الحيوانات المنوية نوعان ·· نوع يحمل عنصر الذكورة ويرمز اليه برمز Y والآخر يحمل عنصر الأنوثة ويرمز اليه برمز × · فهذا الحيوان المنوى هو الذى يقرر نوع الجنين ان كان ذكرا أو أنثى عند اتحاده بالبويضة ·

هذه هى بعض التفاصيل العلمية التى ذكرها القرآن عن نطفة الذكر وهذه هى الآيات التى تضمنت تلك الحقائق العلمية :

١ ـ فقد جاءت كلمة النطفة فى اثنى عشر موضعا من القرآن بأوصاف مختلفة يكمل بعضها بعضا ·· فمن ذلك قوله تعالى :

« **انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه** » (الانسان ـ ٢) ·

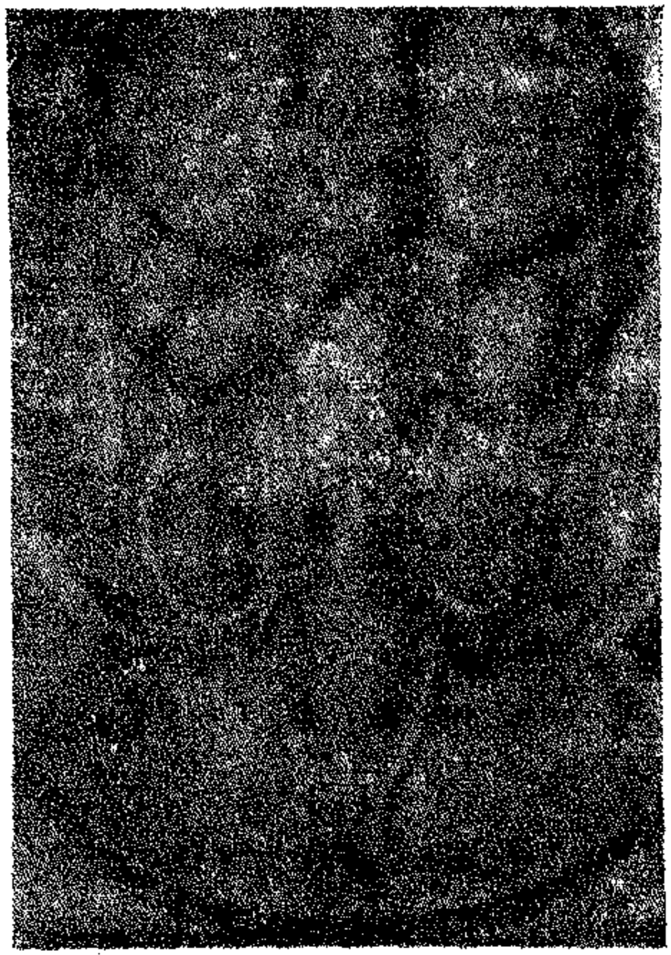
وقوله تعالى : « **الم يك نطفة من منى يمنى** » (٧٥ القيامة آية ٣٧) ·

ويصفها بأنها من « ماء دافق » وانها من « ماء مهين » ·

فكلمة النطفة التى استعملها القرآن تعبير لغوى عن الكمية الضئيلة جدا (٣ سم٣) ·

وكلمة دافق تشير الى تدفق الخلايا المنوية فى سباقها للوصول الى البويضة فتقطع رحلة طويلة من المهبل الى عنق الرحم الى قاعدة الرحم ثم تدخل القناة المهبلية لتلقيح البويضة ، وقد قدرت هذه السرعة بثلاثة ملليمترات فى الدقيقة الواحدة ·· وهذه السرعة بالقياس الى الحجم الميكروسكوبى الدقيق للحيوان المنوى تعادل سيارة منطلقة بأقصى سرعتها ··

٢ ـ ويذكر القرآن **موضع الخصية فى البطن** فيقول تعالى :



الخصية فى الجنين فى مكانها بين الكلية والعمود الفقرى (بين الصلب والترائب)

« فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » (الطارق ٥ ـ ٧) ٠

والصلب هو العمود الفقرى والترائب هو بيت الكليسة ٠٠ وهذا هو موضع الخصية فى الجنين قبل خروجه من الرحم ٠٠

٣ ـ ويحدد القرآن بصفة قاطعة **أن الحيوان المنوى** هو الذى يقرر الذكورة أو الأنوثة فيقول تعالى :

« الم يك نطفة من مني يمنى ٠٠ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى » (٣٧ ـ ٣٩ القيامة ٧٥) ـ وغير خاف أن الإشارة فى قوله تعالى (فجعل منه) أى من المنى وهذا بعكس ما كان العرب يعتقدونه من أن بويضة الأنثى هى التى تحدد جنس الجنين ٠ بل كان الاعتقاد السائد فى العالم حتى عصر قريب أن جنس الجنين يظهر أثناء نموه فى الرحم وأن هناك نساء بطبيعة تكوينهن ينجبن فى أرحامهن اناثا أكثر من الذكور ٠٠ وكن يتهمن بالشؤم وقد يطلقن ٠

ثانيا ـ البويضة وتكوين الجنين :

لكى نفهم كلمات القرآن جيدا فلابد هنا أيضا أن نبدأ بالشرح العلمى ٠ فالجهاز التناسلى للأنثى يتكون ببساطة من مبيضين وكل مبيض متصل بقناة توصل البويضة التى يفرزها الى الرحم ٠ وتسبح البويضة فى القناة باتجاه الرحم بانتظار وصول حيوان منوى لتلقيحها ٠٠ فاذا لم يتم تلقيح البويضة فى مدة محددة فانها تخرج مع الطمث وهكذا تتم الدورة الشهرية للمرأة ٠

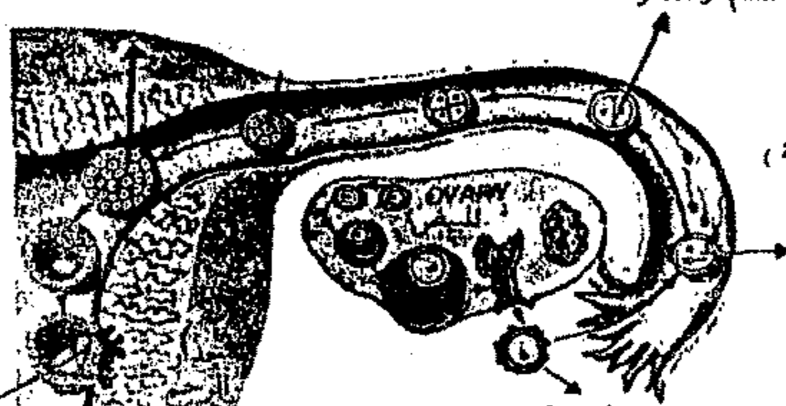
أما اذا تلقحت البويضة (بالتقاء نطفة الرجل بنطفة المرأة) فيتكون من هذا (النطفة الأمشاج) وهى عبارة عن جنين فى أولى مراحله مكون من خلية واحدة متحدة بحيوان منوى واحد ٠٠ فهذا المشج ينقسم الى اثنين ثم اربعة ثم ثمانية خلايا وهكذا ويسمى علميا

(الزيجوت) وفي القرآن سمى (المشج) وهو تعبير متناهى الدقة وتستغرق هذه المرحلة عشرة أيام ٠

وينتقل المشج بعد نموه الى الرحم حيث يتحول الى ما يشبه العلقة فيلتصق بجدار الرحم فى ناحيــة القاعدة فى موضع علوى وخلفى ٠

ومن الجدير بالذكر هنا أن مكان العلقة فى الرحم هو مكان محدد وثابت ٠ وبدونه لا يستمر الحمل ٠٠ فلو حدث التعلق فى

مرحلة العلقه في علم الأجنة :



القناة المهبلية أو فى أسفل الرحم لأدى الأمر غالبا الى الاجهاض · من هنا أطلق عليه القرآن (قـرار مكين) · وهـذا تفصيل لآيات القرآن التى ذكرت هذه الحقائق العلمية ·

١ ـ يقول تعالى فى سورة الانسان : « **انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه** » وكلمة الأمشاج معناها أنه يتكون من خلط عناصر مختلفة ببعضها ·· وهى المرحلة الأولى ·

٢ ـ ثم تأتى بعد ذلك مرحلة العلقة التى يذكرها القرآن فى أكثر من موضع فيقول تعالى : « **ثم خلقنا النطفة علقة** » (المؤمنون آية ١٤) ·

ويقول : « **ألم يك نطفـة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى** » (القيامة ٣٧ ، ٣٨) ·

وكلمة العلقة تعبير لم يستعمل الا فى القرآن ولم يوصف به الجنين من قبل فى اللغة العربية أو أى لغة · وهو تعبير علمى دقيق مطابق لمرحلة التعلق اذ أن الجنين يخـرج منه امتدادات تلتصق بجدار الرحم حتى لا يسقط وهى أشبه بجذور النبتة الصغيرة التى تمتـد فى الأرض ·

٣ ـ ويقول الله تعالى : « **ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين** » (المؤمنون ـ آية ١٣) ·

وهى اشارة واضحة ومحددة الى المكان الخاص بتعلق الجنين· فكلمة (مكين) من التمكن والتحكم وكلمة (القرار) تعبير عن (المقر) الذى تستقر فيه البويضة بعد اتحادها بالحيوان المنوى ·

٤ ـ ويقول تعالى بعد ذلك : « **ونقر فى الأرحام ما نشاء الى اجل مسمى** » (الحج ـ آية ٥) ·

فهـذه العلقة تبـدأ فى النمو والانقسام وتكبر فى تجويف الرحم . ويصف القرآن مدة الحمل بأنها (أجل مسمى) أى مدة محـدودة ومعروفة . وتختلف هـذه المـدة فى الانسـان عنها فى الحيوان ، كما أنها تختلف بين فصائل الحيوانات ولكنها محددة فى كل فصيلة ونوع فى الفيل عشرون شهرا وفى الانسان عشرة قمرية أى أربعون أسـبوعا واذا نقصت عن ذلك قد يحتـاج الجنين الى رعاية خاصة (مثل الحضانة) حتى يكتمل ، واذا تأخر عن هذا الأجـل المحدود قد يحتاج الى عملية قيصرية لاخراجه حتى لا يموت داخل الرحـم .

ثالثا ــ تطور الجنين فى الرحم :

يقول الله تعالى فى سورة المؤمنون ــ آية ١٤ :

ــ **« ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .**

ويقول فى سورة النحل ــ آية ٧٨ :

ــ **« وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » .**

ويقول تعالى فى سورة الزمر ــ آية ٦ :

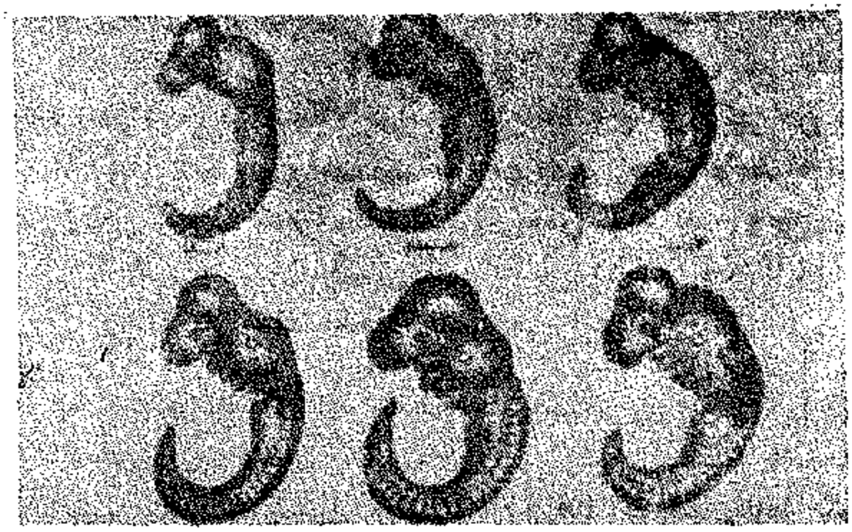
ــ **« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقـا من بعـد خلق فى ظلمات ثلاث » .**

هذه الآيات الثـلاث زاخرة بفيض من الحقائق العلمية التى لم يكن أى منها معروفا فى عصر نزول القرآن ، وقد اسـتغرقت الانسانية أربعة عشر قرنا من الزمان حتى توصلت الى بعض هذه

الحقائق وما تزال هناك أمور أخرى كثيرة تشملها الآيات القرآنية ولم يصل علمنا الى تفسيرها ، وهذا هو شرح لهذه الآيات ·

١ ـ يذكر القرآن أن الجنين يتطور فى الرحم (خلقا من بعد خلق) وهو نفس النص الذى يستعمل فى العلم الحديث Stages أى مراحل تطور الجنين فكل مرحلة لها توقيت معين محدود ينمو فيه جهاز جديد من أجهزة الجسم ·· وتتشابه المراحل الأولى فى جميع الحيوانات ·· ثم تبدأ الأجهزة الجديدة والراقية تتكون وهى التى تميز حيوانا عن آخر ومرحلة عن التى تليها ·





اجنة حيوانات مختلفة وجنين انسان وهي كلها متشابهة في الطور الأول

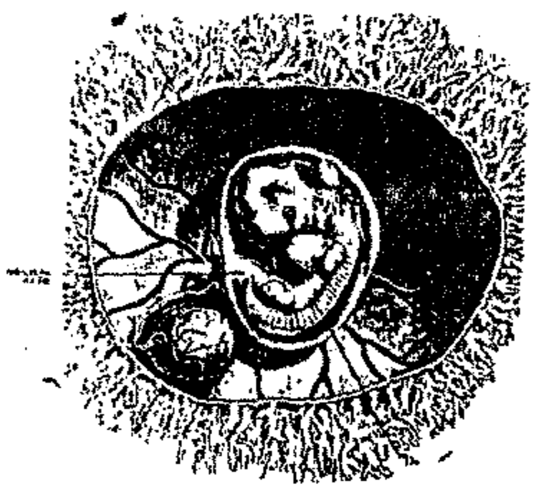
٢ ــ ويصف القرآن المراحل الثلاث الأولى بأنها (نطفة ثم علقة ثم مضغة) وقد تكلمنا عن النطفة ثم العلقة ونتحدث الآن عن **المضغة** وهو الطور المسمى فى كتب العلم الحديثة (Mulbry Stage) وهى كلمة لاتينية معناها **الجنين التوتى** لأن شكل الجنين فى هذه المرحلة يكون كحبة (التوت) من حيث وجود بروزات ونتوءات على سطحها ... والواقع أن التعبير القرآنى أدق لأن الجنين يشبه قطعة اللحم الممضوغة بالأسنان فتظهر عليها البروزات والنتوءات مكان المضغ وهو وصف أقرب الى الحقيقة .

٣ ــ ويذكر القرآن فى وصف المضغة (من مضغه مخلقة وغير مخلقة) وتفسير ذلك أن الجنين فى أطوار نموه يكون غير متناسق فى أحجام أجزائه . فبعض الأجزاء (كالرأس) يبدو أكبر من حجمه بالنسبة الى باقى الجسم وأهم من هذا أن بعض هذه الأعضاء يتخلق قبل الآخر بل يكون الجزء الآخر لم يتخلق بعد .. وعلى سبيل المثال فان الرأس يتكون قبل أن تتخلق الأطراف كالذراعين والأرجل . وهذا بلا شك اعجاز علمى فى القرآن .

٤ ــ ويشير القرآن الى حقيقة تشريحية فى العلم ، وهى أن النسيج العظمى فى الجنين يتكون أولا ثم يليه النسيج العضلى ثم يلى ذلك البصر والسمع فيقول تعالى : « **فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما** » والمقصود باللحم هو العضلات وهى تتكون فى مرحلة أو طور متأخر بعد النسيج العظمى . ثم يقول أيضا : « **فجعلناه سميعا بصيرا** » اشارة الى أن العين والأذن يتأخر ظهورها فى الجنين .

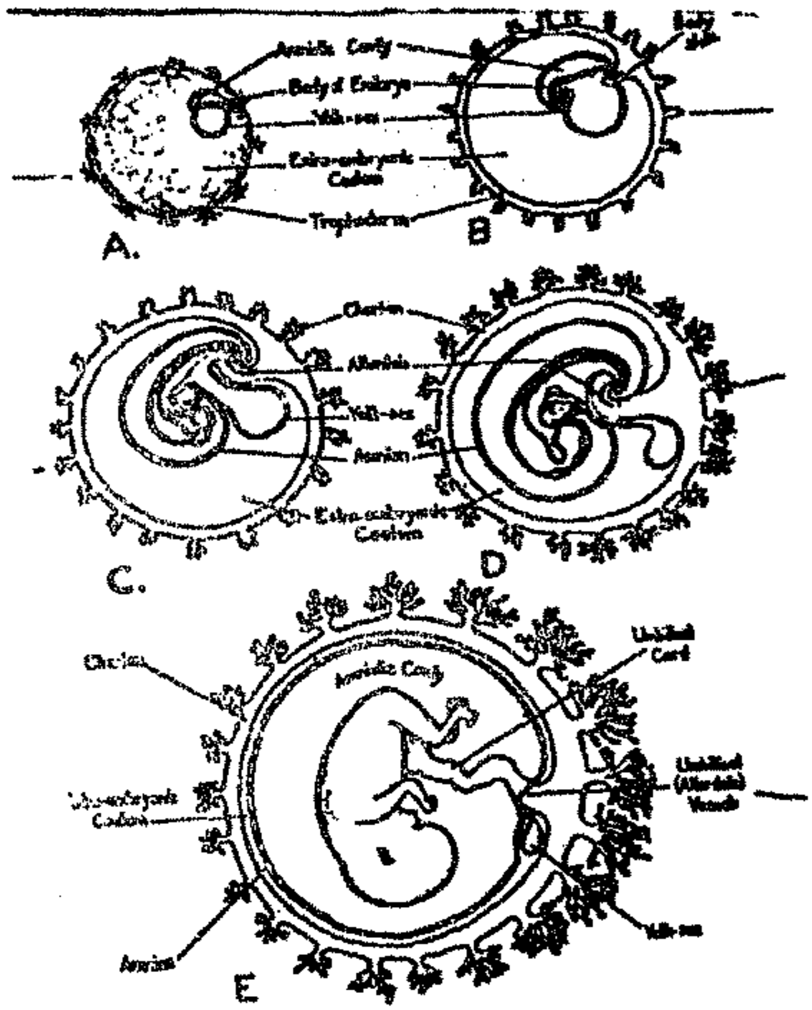
٥ ــ والعلم الحديث يقول أن جنين الانسان يمر بعدة مراحل فى خلقه . فهو يكون أولا شبيها بالأسماك ثم يصبح شبيها بالبرمائيات ثم يشبه البريات كالقرد ثم يصبح خلقا آخر شبيها

بالانسان الكامل فى المرحلة الأخيرة . وقد نص القرآن على مراحل تخلق الجنين فذكر أنها (خلقا من بعـــد خلق) ثم نص على أن المرحلة الأخيرة هى خلق آخر فقال (ثم أنشأناه خلقا آخر) .

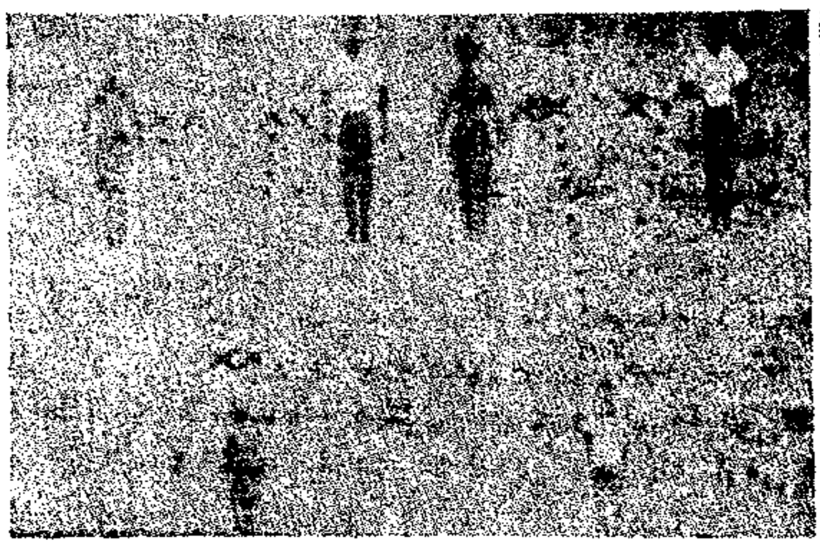


٦ ـ ويصف القرآن تطور الجنين فى داخل الرحم بأنه يتم (فى ظلمات ثلاث) وقد احتار المفسرون الأولون فى معرفة المقصود بهذا التعبير القرآنى وقد فسرها بعضهم بأنها ظلمة الرحم ثم ظلمة الحياة ثم ظلمة القبر .. وهذا بعيد جدا عن الآية لأن القصد منها هو مرحلة داخل الرحم فقط .

ومن علم التشريح الحديث نستطيع أن نقول أن المقصود بها هو الأغشية الثلاثة التى اكتشف العلم الحديث أنها تحيط بالجنين أثناء مراحل نموه وهى :



الجنين داخل الرحم وتحيط به الأغشية الثلاث



جنس الجنين يتحدد من نطفة الرجل × للانثى   للذكر

وهو أقرب الى النص القرآنى ٠ Amnion, Chorion, Allantois

٧ ـ وقبل أن نختتم هذا الباب يجب الاشارة الى حقيقة هامة اعتقد كثير من العلماء ان هناك تناقضا فيها بين القرآن والعلم ٠

الحقيقة العلمية تقول : انه تم اكتشاف طريقة علمية حديثة لمعرفة نوع الجنين فى بطن أمه قبل ولادته ان كان ذكرا أم أنثى وذلك عن طريق فحص مخبرى للسائل الامنيوتى Amniotic Fluid المحيط بالجنين وقد تطورت هذه الطريقة وأمكن ذلك عن طريق فحص لعاب الأم ٠

ويعتقد بعض الفقهــاء المسلمين أن هـــذا الأمر يتعارض مع القرآن الذى يذكر أن معرفة نوع الجنين فى الرحم هو من أمـور الغيب التى لا يعلمها الا الله تعالى ولا يمكن لأى بشر معرفتها ، وهم يحتجون فى هــذا بقوله تعالى : « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو** » (الأنعام ٦ ـ آية ٥٩) ٠

وقوله تعالى : « **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** » (آل عمران ١٧٩ ـ فيربطون بين هذا وبين ما جاء فى سورة لقمان ـ آية ٣٤ : « **ان الله عنــده علم الســاعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غـدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير** » ٠

ـ فقد فسر بعض الفقهاء قوله تعالى : « **ويعلم ما فى الأرحام** » (انه معرفة ان كان ذكرا أم أنثى ٠ وهذا هو الخطأ الأول لأن الآية لم تنص على ناحية الذكورة والأنوثة ولكنها معرفة مطلقة فقد تكون معرفة الله تعالى بمستقبل هذا الجنين وبأخلاقه وطباعه وسلوكه ومصيره عندما يصبح انسانا كاملا ٠ وهو أمر لا يعلمه الا الله ٠

ـ كذلك ربطوا بين معنيين وردا فى سورتين مختلفتين وفى

موضوعين مختلفين. الأول فى سورة الأنعام بقوله تعالى : « **لا يعلمها الا هو** » . والثانى فى سورة لقمان بقوله : « **ويعلم ما فى الأرحام** » وفسروا ذلك بأنه لا يمكن للبشر أن يعرفوا نوع الجنين فى بطن امه وهذا خطأ فى التفسير وتحميل للآيات أكثر مما تحتمل .

وقد لزم التنويه بهذه الحقيقة الهامة لأن كتب الدين التى تدرس فى مدارس الأطفال تنص على أن مفاتح الغيب خمسة منها معرفة نوع الجنين فى بطن أمه ولا يمكن للبشر أن يعرفها . والواجب علينا اصلاح هذه الفقرة فى كتب الدين لان الخطأ فى تفسيرنا وليس فى الآية نفسها .

٤ ـ الزواج في نظر الاسلام والديانات الأخرى

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن آياته

« أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها »

(الروم ـ ٢١)

الزواج فى نظر الاسلام والديانات الاخرى

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .
(الروم — ٢١)

يختلف الاسلام عن المسيحية فى نظرتهما الى الزواج اختلافا جذريا . فالاسلام يعتبر الزواج ضروريا للحياة الطبيعية الصحية ولكمال الدين ويعتبر الحياة المثالية هى الحياة الزوجية .

بينما المسيحية ترى أن الحياة المثالية هى الرهبنة والبعد عن النساء والجنس الا لمن لا يقدر على ذلك ويخشى من الزنا .

وقد جاء فى انجيل متى ١٩ : ١٢ .

« يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يفعل فليفعل » .

وجاء فى كورنثوس الأولى ٧ : ١ — ٣ (بولس) :

« حسن للرجل ألا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ولكل امرأة رجلها . وأقول لغير المتزوجين والأرامل أنه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ولكن اذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق فى النار بسبب الزنا » .

« ان قصارى ما يحققه الزواج أن يعصم الفرد من الخطيئة على حين التبتل يروض المرء على أعمال القديسين ويذلل له السبيل الى منزلة الأشراف ويتيح له أن يأتى بالمعجزات » ٠

هذه هى النظرة المسيحية الى الزواج ، وقد نتج عن ذلك أن تكونت عن المسيحية مذاهب تحرم الزواج بتاتا كمذهب المرسيون Merrsions الذى ظهر فى القرن الثانى للميلاد وحرم الزواج بتاتا وحتم على معتنق المذهب أن يطلق زوجته قبل الدخول فيه ٠

وبعكس ذلك جاء الاسلام فاعتبر الزواج مكملا لدين الانسان، فلم يكتف بتشجيع الزواج بل أمر به لمن أمكنه من المسلمين ، واعتبر التبتل أو اعتزال النساء نوعا من النفاق الذى يصل الى حد الكفر بأنعم الله وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج » (متفق عليه) ٠

وقد نهى الاسلام عن التبتل (أى الانقطاع عن النساء) واعتبر الزواج من سنة الله ورسوله ٠ وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : **« من كان موسرا لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منى »** رواه ابن ماجة ٠

أى أن من لديه القدرة المالية على مسئوليات الزواج والأسرة ونفقاتها ثم لم يتزوج فلم يعمل بسنة الله ورسوله ٠

ويعتبر الاسلام أن الزواج نصف الدين بفضل ما يهيئه للمتزوج من العفاف والاستقامة والتفرغ لخدمة الناس وعبادة الله٠ وفى ذلك يقول رسول الله « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله فى الشطر الباقى » (رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم) ٠

ويرى الاسلام أن أعظم متعة للانسان فى دنياه هى أن يوهب زوجة صالحة وفى ذلك يقول الرسول : « انما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة » (أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة) .

ويقول أيضا : « الدنيا متاع ومن خير متاعها امرأة تعين زوجها على الآخرة : مسكين مسكين رجل لا امرأة له .. مسكينة مسكينة امرأة لا زوج لها » قالوا وان كانت كثيرة المال ؟ قال وان كانت كثيرة المال (رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأخرجه رزين) .

ويعتبر الاسلام الرجل الذى يسعى للزواج كالمجاهد فى سبيل الله وحق على الله والناس أن يعينوه على غرضه الشريف .. وفى ذلك يقول رسول الله « ثلاثة حق الله عونهم .. المجاهد فى سبيل الله .. والمكاتب الذى يريد الأداء والناكح الذى يريد العفاف » (رواه الترمذى عن أبى هريرة) .

ويأمر الاسلام بالسعى على تزويج اليتيمة والفقيرة والضعيفة والمملوكة وكل من لا حول لها ولا معين من الناس . وفى ذلك يقول الرسول : « من كانت عنده جارية فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها أو زوجها فله أجران » . (البخارى) .

ويعظم الله أجر من يسعى فى تزويج أخيه المسلم فى الحلال ومن يمشى بالصلح بين امرأة وزوجها فيقول رسول الله :

« من مشى فى تزويج رجل حلالا حتى يجمع بينهما رزقه الله من الحور العين وكان له بكل خطوة خطاها أو كلمة تكلم بها فى ذلك أجر عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها ومن مشى فى صلح

امرأة وزوجها كان له أجر ألف شهيد وكان له بكل خطوة أجر عبادة سنة صيامها وقيامها » (رواه أبو هريرة وابن عباس) .

وفى رواية أخرى يقول صلى الله عليه وسلم :

« ان من أفضل الشفاعات أن تشفع بين الاثنين فى الزواج حتى تجمع بينهما » (الطبرانى وابن ماجة) .

وجميع الديانات السابقة للاسلام كانت تنظر الى المرأة على أنها صورة للشيطان ورمز للخطيئة وجالبة للشؤم . وفى هذا يقول القديس (ترتوليان) أحد أقطاب المسيحية الأولى عن المرأة :

« انها مدخل الشيطان الى نفس الانسان . وانها دافعة بالمرء الى الشجرة الممنوعة ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله أى الرجل » .

وكان اليهود وعرب الجاهلية يحملون نفس الأفكار عن المرأة ويعتبرونها جالبة للنحس والشؤم .

وقد جاء الاسلام ليحارب هذه الأفكار الظالمة الهادمة للمجتمع فنفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن المرأة ان تكون مصدرا للشؤم . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : لا شؤم . وقد يكون اليمن فى ثلاثة : فى المرأة والفرس والمسكن !! (رواه ابن ماجة) .

وجاء رجل الى أم المؤمنين عائشة فقال سمعت أبا هريرة يقول : ان رسول الله قال : الشؤم فى ثلاثة فى المرأة ، والفرس والمسكن !! فقالت من توها :

« لم يحفظ أبو هريرة لانه دخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قاتل الله اليهود ، يقولون الشؤم فى ثلاثة فى

«المرأة والفرس والمسكن ؟؟ » فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله (١) (لأبى داود رواه أحمد) .

وفى الدول الراقية والناهضة فى عصرنا الحديث ينظرون الى الزوجة الحامل نظرة اجلال واحترام ، ويعتبرون مجرد حملها لجنينها جهادا فى سبيل الوطن ومساهمة منها فى قوته واعلاء شأنه باضافة مواطن جديد ، فتراهم يوسعون لها الطريق قبل غيرها ويعطونها مقاعدهم فى المواصلات ويفسحون لها فى الزحام ، وقد سبق الاسلام كل هذه الاتجاهات فى تقديره للزوجة الحامل . فرسول الله يقول :

« ان المسلمة اذا حملت لها أجر القائم الصائم المحرم المجاهد فى سبيل الله فاذا وضعت فان لها من أول رضعة أجر حياة نسمة » (لأبى يعلى) (٢) .

ويقول أيضا :

« ان للمرأة فى حملها الى وضعها الى فصالها من الأجر كالمتشحط فى سبيل الله فان هلكت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد » « عن ابن عمر » (٣) .

هذه هى نظرة الاسلام الى الزواج ، نظرة التشجيع والاكبار والاحترام وهى نظرة تؤيدها جميع العلوم الانسانية فى عصرنا الحديث اذ تعتبر أن الزواج هو بداية المرحلة الفعالة والمنتجة فى حياة كل انسان وأن الانسان لكى ينجح فى حياته العامة فلابد أن ينجح أولا فى الحياة الخاصة أى الحياة الزوجية .

---

(١) المطالب العالية بالزوائد الثمانية ص٢،ص٧ باب شؤم المرأة

(٢) ، (٣) المصدر السابق

فعلم الاجتماع يعتبره ضرورة لبنـــاء المجتمع السليم المنتج المتعاون على الخير والمودة والخلق الكريم .

وعلم الاقتصاد يعتبره ضرورة للاستقرار فى العمل والانتاج المادى والفكرى .

وعلم الطب يعتبره الخطوة الأساسية نحو حياة جنسية سليمة خالية من الأمراض النفسية والذهنية والتناسلية ولانجاب نســل صحى سليم .

ومن هنا فقد وضع الاسلام قواعد دقيقة ومتطورة لاختيـــار الزوجة ، فلم يهمل فى هذا الأمر الناحية العاطفية والانسجام الروحى ولم يغفل أهمية التعارف والتفاهم قبل الزواج ، واهتم بالعوامل الاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية فى اختيار الزوجة ثم اهتم بعد هذا كله بالنواحى الطبية والجنسية والوراثية .

وسوف نشرح كل واحدة من هذه الحقائق وخاصة موضوع الحب والاختلاط وآداب الخطوبة .

٥ ـ الاسلام وعاطفة الحب

بسم الله الرحمن الرحيم

« وجعل بينكم مودة ورحمة »

(الروم ـ ٢١)

الاسلام وعاطفة الحب

يدعى كثير من أعداء الاسلام أنه دين شهوة • وأنه قد اهتم في تشريعاته للزواج بالجانب الجنسي وحده • وهذا جهل كبير بحقيقة هذا الدين • فالاسلام كدين عملى وواقعى قد اهتم بالحب بين الرجل والمرأة • بل لقد اعتبره شرطا لاقامة الحياة الزوجية من بدايتها ثم شرطا لاستمرارها ودوامها • ولذلك حث المسلم والمسلمة على الالتقاء وتدقيق النظر والتعارف قبل الاقدام على الزواج لاستكشاف عواطفهما ومشاعرهما • كما نهى المسلم أن ينظر الى المادة والمال أو حتى الى الحسب والنسب فى زواجه أو أن يجعلها فى المكان الأول لاختيار الزوجة ، بل أمره أن ينظر الى المحبة والمودة أولا ، فرسول الله يقول : « تزوجوا الودود الولود » ومعنى الودود التى تشعركم بالود والمحبة ، والله تعالى يصف الحب فيقول : « وجعل بينكم مودة ورحمة » ويقول أيضا : « وجعل منها زوجها ليسكن اليها » (الأعراف ــ ١٨٩) •

فهذه التعبيرات الاسلامية • المودة والرحمة ــ والسكن والود• هى كناية عما نسميه فى عصرنا الحاضر بالحب العاطفى والانسجام الروحى والفكرى • ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الحب الروحى فيقول :

« الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » •

ويقول صلى الله عليه وسلم : « اذا تماسك الزوجان بايديهما سقطت ذنوبهما من بين أيديهما » .

وكان رسول الله لا يخفي حبه لزوجته عائشة فقد سئل : « أي الناس أحب اليك يارسول الله » فقال : « عائشة » فقيل ومن من الرجال » : قال : أبوها (متفق عليه) .

ورغم عدله المطلق بين زوجاته في كل ما يستطيعه ويقسمه فقد كانت عائشة أحب نسائه الى قلبه وكان يقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » (رواه الخمسة) .

كان بعض الآباء في الجاهلية اذا علم ان ابنته تحب شابا رفض تزويجها له ، وقد نهى الاسلام عن ذلك وأمر بتزويج المحبين والجمع بينهما في الحلال ، وعدم التفريق بينهما بسبب التقاليد أو الطمع في المال والجاه أو غيره فقد روى عن ابن عباس : « جاء جماعة الى الرسول قائلين يا رسول الله عندنا يتيمة جاءها خاطبان موسر ومعسر ونحن نهوى الموسر وهي تهوى المعسر فأيهما نزوجها » فقال رسول الله : « لم ير للمتحابين مثل التزويج » وقضى ان تتزوج بمن تحبه . (أخرجه مسلم وابن ماجة والنسائي) .

والاسلام هو الدين الوحيد الذى يعتبر الحب والوفاق شرطا لاستمرار الحياة الزوجية .

ـ كانت جميلة بنت عبد الله لا تحب زوجها الصحابي الجليل ثابت بن قيس فجاءت رسول الله قائلة :

« يا رسول الله . لا أنا ولا ثابت يجمع رأسي ورأسه شيء .. والله ما أعتبه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الاسلام .. وما أطيقه بغضا .. اني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة من الرجال فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها » .

فقال الرسول : أتردين عليه حديقته قالت : أردها وأزيده عليهـا ! قال : أما الزيادة فلا .. وأحل طلبهـا الطـلاق (رواه البخـارى)

من هذا المثل نرى ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى يعترف بالحب ويعتبر فقدان الحب مبررا لانتهاء الحياة الزوجية فى حين أن الديانات الأخرى لا تسمح بالطلاق الا عند حدوث جريمة الزنا فاى الحلين أفضل وأحكم ؟ الحل الذى يمنع الجريمة قبل وقوعها . أم الحل الذى يضطر المرأة الى الزنا كى تحصل على حريتها .

ومثل آخر يرويه لنا البخارى فى صحيحه أن امرأة اسمها بريرة طلبت الطلاق من زوجها لانها لا تحبه ، وكان زوجها يحبها حبا شديدا وكان بعد فراقها يمشى خلفها فى الأسواق ودموعه تسيل على لحيته فأشفق الرسول عليه ، وقال لعمه العباس : « يا عباس الا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا ؟! ثم طلبها الرسول وقال لها : « لو راجعته فهو أبو ولدك » فقالت فى اصرار : « أهو أمر يا رسول الله قال : لا انما أنا شافع . قالت : لا حاجة لى فيه » .

وجاءت فتاة الى الرسول وقالت : « ان أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته » فجعل رسول الله الأمر اليها ان شاءت أقرت ما صنع أبوها وان شاءت أبطلته . فقالت : « قد أجزت ما صنع أبى ولكن اردت أن يعلم النسـاء أن ليس للآباء من الأمر شىء » (رواه ابن ماجة وأحمد وأبو داود)

رأى فقهاء الاسلام فى الحب :

لقد كتب فقهاء الاسلام عن الحب بحرية وشجاعة فشرحوا الحلال منه والحرام ، ومنهم من الف كتبا كاملة أو فصولا من كتب

عن الحب . من هؤلاء ابن حزم في كتابه طوق اليمامة ، والجوزى في كتاب «ذم الهوى » وابن تيمية والشافعي .

وقد وصف ابن حزم الحب وعلاماته والحب من أول نظرة والحب بالمراسلة والحب المكتوم في القلب ، كما وصف أخلاقيات الحب في الاسلام ودواعي الكتمان ودواعي الاذاعة ، وألف ابن القيم كتابا في الحب سماه « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » تساءل فيه : هل الحب ضروري للانسان أم يمكن العيش بدونه . ووصف حدود الحب وآدابه .

ومن روائع ما كتب عن الحب كتاب « ذم الهوى » للامام الفاضل أبي الفرج بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ورغم عنوان الكتاب الا أنه في الواقع يمدح الحب النظيف الحلال . فيقول في ص ٣٠٦ : « اختلف الناس في العشق هل هو ممدوح أم مذموم ؟ فقال قوم ممدوح لأنه لا يكون الا من لطافة الطبع ولا يقع عند جامد الطبع . ومن لم يعشق فذلك من غلظة طبعه . فهو يجلو العقول ويصفى الأذهان ما لم يفرط فيه فاذا أفرط عاد سما قاتلا . وقال آخرون مذموم لانه يستعبد العاشق .

قلت : وفصل الحكم : أما المحبة والود والميل الى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يذم ولا يعدم ذلك الا الحبيس من الأشخاص .

وأما العشق الذى يزيد على حد الميل والمحبة ويصرف صاحبه عن مقتضى الحكمة فهو مذموم ، وقد وقع في القسم الأول كثيرون من الأكابر ولم يكن عيبا في حقهم .

ويستشهد الامام ابن الجوزى بالكثير من الصحابة والأئمة والعلماء ثم يقول : « سئل الامام أبو نوفل : هل يسلم أحد من العشق . قال : نعم .. الجلف الجافى الطبع الذى ليس فيه فضل

ولا عنده فهم · واما من فى طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز ورقة أهل العراق فهيهات هيهات · ثم أنشد :

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فأنت وعير بالفلاة سواء

وجلس أحد الأئمة فى مجلس العلم والدين ، ثم فاجأ تلاميذه بقوله :

هل فيكم عاشق ·· فهابوا وقالوا : لا · قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان العيى ، ويفتح جبلة البليد والمختل ·· ويبعث على التنظيف وتحسين اللباس وتطييب المطعم · ويدعو الى الحركة والذكاء ، وتشرف الهمة واياكم اياكم والحرام ·

كتب هذا فى القرن السادس الهجرى ، ولو كتب فى عصرنا لقيل عنه تقدمى وسابق لعصره ، ولو وضع فى كتب علم النفس والتربية الحديثة فى أوروبا لقيل علم حديث ومتطور واستحق كاتبه شهادة علمية رفيعة ولكنه من تراثنا الاسلامى القديم جدا ·

٦ ـ الاختلاط أو فرص التعارف بين الجنسين

« انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا »

الاختلاط او فرص التعارف بين الجنسين قبل الزواج

يختلف الناس من حيث سلوكهم الاجتماعي باختلاف بيئتهم وتعليمهم وثقافتهم ·· وفي عصور التخلف التي مرت بها الأمة الاسلامية تحت الحكم التركي ثم الاستعمار البريطاني والفرنسي · كانت نسبة الأمية في العالم الاسلامي أكثر من ٩٠ ٪ بين الطبقة المتوسطة التي تمثل العمود الفقري لأى أمة من الأمم ·

وبطبيعة الأمور فان حاجات الانسان الأمي من الحياة تكون مثله بسيطة وبدائية · وكانت أقصى متطلبات الرجل من الزوجة أن تكون معملا للتفريغ والانجاب · وكان يكفيه لاختيار شريكة حياته أن يرسل الخاطبة أو احدى قريباته لتراها وتقوم بعملية كشف هيئة نيابة عنه · وبعض الأمهات الحريصات كن يدققن في الكشف على الفتاة ·· فتشد شعرها لتتأكد أنه ليس مستعارا ·· وتتحسس صدرها لتتأكد أن الثدى طبيعي وليس حشوا ·· وقد تعطيها بعض المكسرات لتأكلها حتى تطمئن الى سلامة أسنانها ··

وبناء على هذا التقرير والكشف تتقدم أسرة الرجل الى أسرة الفتاة ليخطبها ·· وفي مثل هذه الأحوال تكون العلاقة بين الأسرتين هي العامل الحاسم في الزواج ·· لأن الصلات الاجتماعية بين الأسرتين أقوى من الصلة بين الخاطبين · واذا لم يحب الشاب خطيبته فمن الصعب عليه أن يتراجع حتى لاتتورط الأسرتان في خلافات بسببه ·

وكثيرا ما نسمع عن أجدادنا قصصا غريبة عن حياتهم الزوجية ·· كان الرجل لا يأكل الطعام مع زوجته ·· ولا يستشيرها في أمر من أموره أو يسمح لها أن تدلى برأى فى أى قضية تخصه · وكان يقضى أوقات فراغه فى المقهى مع أصحابه يداعبهم ويلاطفهم ويتشاور معهم ، فاذا عاد الى البيت تغيرت سحنته ، ولبس قناع الجد والعبوس حتى يحفظ هيبته أمام زوجته وأولاده ·

واليوم تغير أسلوب الحياة فى القرن العشرين · ولم تعد العلاقة الجنسية هى الرابط الوحيد بين الزوج والزوجة · لقد تعلم الشباب والفتيات ·· ووصلوا الى أقصى مراحل العلم والثقافة ·· وكلما ارتقى الانسان بفكره وثقافته ·· كلما كانت مطالبه فى الزوجة أكثر من مسألة التفريخ والتفريخ ·· انه يريدها شريك حياة بالمعنى العصرى الكامل ·· يريدها أن تكون صديقا يملأ عليه وقت فراغه · وندا كفؤا يستشيره فى كل قضايا حياته ·· ويفضى اليه بأسراره ·· وعاملة فى المجتمع ورفيقا فى الجهاد ·· ومعينا على كسب العيش ·· وأهم من هذا كله يريد أن يكون بينه وبين زوجته انسجام روحى وانسجام ذهنى ··

والسؤال الهام الذى يفرض نفسه الآن هو : هل يصلح الأسلوب القديم فى اختيار الزوجة ، والذى كان يتبعه أجدادنا فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر !! هل يصلح أساسا لبناء الأسرة فى القرن العشرين ·· ؟

هل يكفى رأى الخاطبة الجاهلة ·· أو الأم العجوز فى اختيار شريك الحياة لشاب متعلم يعمل طبيبا أو مهندسا أو عالما باحثا ·· هذه هى القضية التى يعانى منها شباب اليوم بسبب حرمانه من فرص التعارف والاختلاط وبالتالى حرمانه حق حرية الارادة وحرية الاختيار ·· وقد يقول قائل : **ان فترة الخطوبة تكفى لكى يعرف** الخاطب كل شىء عن خطيبته ·· ولذلك فلا حاجة الى التعارف

والاختلاط قبل الخطوبة • ورغم أن هذا الرأى ساذج وخاطىء الا أننا كثيرا ما نسمعه وخاصة من المتعصبين الذين تختلط عليهم الامور بين التقاليد الموروثة وبين تعاليم الدين •

فالمفروض منطقيا أن الخطوبة تاتى بعد التعـــارف والاختبار وليست البداية •• فالانسان يخطب الفتاة التى عرفها وفضلها عن غيرها من كل معارفه من الجنس الآخر • وأحس نحـوها بالميل والألفة والتقدير والانسجام وما فترة الخطوبة الا نوع من التأكد عن قرب مع الالتزام الأدبى أمام المجتمع •

ان الانســـان فى الظروف الطبيعية قد يعرف أكثـر من مائة فتاة •• وقد يلتقى بالاف النساء •• ولكنه لا يشعر بالميل الا الى واحــــدة بالذات من كل هؤلاء •• واحــدة فقط يشعر أنها تكمل نصفه الآخر •

وبديهى أنه لا يكفيــه لمعرفتها أن يسأل النــاس عن أهلها ودينها وخلقها وجمالها قبل أن يتقدم لخطبتها •• فهناك شروط أعمق بكثير من هذه المظاهر السطحية والأولية •• قد تكون الفتاة من أعرق الأسر حسبا ونسبا •• وقد تكون جميلة ومتعلمة وحسنة السمعة والخلق •• ولكن هل هذا يكفى لبناء حياة زوجية •

ماذا يفعل لو تقدم لخطبتها على هذا الأساس ثم اكتشف أنه لا يميل اليها •• ولا يستطيع أن يحبها •• أو اكتشف عيبــا فى طباعها وطبيعتها لا يستطيع أن يطيقه أو يتعايش معه •

ـ قد يكون أحدهما مرهف الحس رقيق المشـــاعر ، بينما الآخر متبلد الطبع غليظ المعاملة •

ـ قد يكون أحدهما عميق الفكر محبا للثقافة والعلم ، بينما الآخر تافه أو ساذج يعيش على هامش الحياة

كل هذه الأمور لا يمكن اكتشافها الا بعد عشرة طويلة وزمالة ومعرفة عن قرب ٠٠ ولا يكفى فيها رأى الناس وكلامهم ٠٠ ولو تركنا هذا لفترة الخطوبة لكان واجبا على كل شاب أن يخطب مائة مرة الى أن يوفق فى اختيار الزوجة المناسبة ٠

والاسلام لا يحرم مثل هذا الاختلاط النظيف العفيف الهادف٠ ولكنه يمنع الخلوة ٠٠ ونظرا لأهمية قضية الاختلاط فى المجتمع الاسلامى ولكثرة الجدل حولها فقد رأيت أن أفرد لها كتابا مستقلا بعنوان « الاختلاط فى الدين والعلم » ٠٠ نشرح فيه الضوابط التى وضعها الاسلام للتعارف واللقاء بين الجنسين وكيف كان المجتمع الاسلامى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين٠ ثم نشرح رأى علم الاجتماع الحديث فى هذه القضية الحيوية ٠

المهم أن نؤكد فى هذه العجالة ٠٠ أن حرية اختيار الزوج حق انسانى لكل فتى وفتاة ٠٠٠ وأن المجتمع الذى يحرم الانسان من هذا الحق ٠٠ انما يحرمه من آدميته وانسانيته ٠٠ وأن الدين لم يأمر بذلك ولا يرضى به ٠٠ ولكنها التقاليد الباطلة التى ورثها المجتمع عن مرحلة التخلف ٠٠ وأننا اذا أردنا بناء مجتمع سليم وأسرة قوية البنيان ٠٠ لا تنفك عراها بالطلاق أو تعدد الزوجات بعد فترة قصيرة من بنائها ٠٠ فلابد من اتاحة الفرصة للجنسين لحرية اختيار شريك حياته ٠٠

وحبذا لو يتم هذا التعارف عن طريق وقور ٠٠ وتحت أعين المجتمع ورعايته ٠٠ بدلا من أن يتم كنوع من السرقة بعيدا عن الأهل والأقارب وفى خفية من أعين الناس ٠ فلا بأس أن يتم التعارف عن طريق الصداقات العائلية أو عن طريق الزمالة فى دور التعليم ٠٠ والجامعات ٠٠ أو عن طريق الزمالة فى العمل ٠

فبهذه الطريقة سيكون لهذا التعارف واللقاء حرمته ووقاره ونتائجه الطيبة ٠٠

٧ ـ الخطوبة واختيار الزوجة فى الاسلام

حـديث شريف

« تخيروا لنطفكم .. فانكحوا الأكفاء
وانكحوا اليهم »
(رواه الحاكم والبيهقى)

الخطوبة واختيار الزوجة فى الاسلام

لقد وضع الاسلام للخطوبة آدابا راسخة وتقاليد اخلاقية رفيعة .

١ ــ واولها أن لا يخطب الرجل على خطبة أخيه اذا كانت خطبة شرعية ومعلنة وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم . « المؤمن اخو المؤمن فلا يحل له أن يبتاع على بيع اخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر » (رواه مسلم وأحمد) وأسوأ من هذا من يفسد امرأة على زوجها ويحثها على الطلاق ليتزوجها فالرسول يقول : « ليس منا من خبب امرأة على زوجها »

٢ ــ وقد نهى الاسلام عن غش الخاطب أو خداعه باخفاء عيوب خطيبته أو عيوب اهلها عنه .. **وكذلك بالنسبة للشاب عليه أن لا يخفى عيوبه عمن يتقدم لخطبتها فرسول الله يقول :**

« من غشنا فليس منا » ..

وعن أسماء بنت أبى بكر قالت :

« جاءت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان لى ابنة عريسا أصابتها الحصبة فتمرق شعرها أفاصله فنهاها الرسول وقال لها :

« لعن الله الواصلة والمستوصلة » (رواه مسلم) .

ومعنى الحديث أن الفتاة قد أصيبت بالحصبة فى طفولتها فسقط شعرها ولما أصبحت في سن الزواج وجاءها الخطاب أرادت أمها أن تخفى عيبها فنهاها الرسول عن ذلك لانه غش للخاطب ٠

٣ ـ أوجب الاسلام على الشاب المسلم أن ينظر بنفسه الى المرأة التى يريد أن يتزوجها نظـرة فاحص مدقق حتى لا يفاجأ بما لا يرضاه بعد الزواج ٠٠ كما نهاه عن الاكتفاء بكلام الناس أو ارسال أهله وأقاربه أو خاطبة لرؤية الفتاة التى ستكون شريكة حياته كما كان يفعل الناس فى الجاهلية ٠

روى البخارى أن المغيرة بن شعبة جاء الى رسول الله وقال له : « انه قد خطب فتاة من الأنصار » فقال له الرسول : هل نظرت اليها ٠ فقال الصحابى : لا ٠ فقال الرسول : « اذهب فانظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » ويقول المغيرة فذهبت الى أهل الفتاة وأخبرتهم بقول رسول الله فكأنهم كرهوا ذلك لانه لم يكن من تقاليد العرب في الجاهلية ، ولكن الفتاة سمعته فخرجت من خبائها وقالت له : ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنظر فانظر والا فانشدك » ٠

كأنها أعظمت ذلك ٠ قال : فنظرت اليها فتزوجتها » (رواه الخمسـة) ٠

ومعنى أن يؤدم بينكما أن تعيشـا فى وفاق ومحبـة لا أن تكتشف عيوبها بعـد الزواج ثم تطلقها ٠٠ **وقد بلغ من حـرص الرسول على تنبيه الخاطب الى العيوب التى قد يجدها فى فتـاته فيقول لأحدهم :**

« اذهب فانظر اليها فان في عيون الأنصار شيئا » ٠٠

(رواه مسلم والنسائى) التاج ٢/٣١٧

وقد توسع الاسلام فى اباحة النظر لمن يريد أن يتزوج بحيث سمح له أن يرى منهـا أى شىء يغريه بنكاحها واشتهائها فيقول الرسول :

« اذا خطب احدكم المرأة فقدر أن ينظر منها بعض ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » وجاء فى رواية أخرى قوله : « وان كانت لا تعلم » .

(رواه ابو داود والشافعي : التاج ٢/٣١٧)

وقد فسرها بعض فقهاء الاسلام بالاذن له أن يراها فى الصورة التى تظهر بها فى بيتها لذوى المحرم كامها وأبيها أى بغير الحجاب الذى يخفى الشعر والذراعين . وقال بعضهم بجـواز النظر الى جميع البدن والى لحم بدنها .

ويروى أن الخليفة عمر بن الخطاب خطب الى على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم فاتفقا على أن يرسلها الى عمر لتوصل اليه هدية دون أن تدرى بشىء .. وأمر على ببرد « ثوب » فطواه وقال لابنته انطلقى بهذا الى أمير المؤمنين فقولى له .

أرسلنى أبى بهذا البرد اليك فان رضيت به فامسكه (أى احتفظ به) وان سخطته فرده . فتطلع اليها عمر وأخذ يحدثها .. ثم قال لها « بارك الله فيك وفى أبيك قد رضينا » فعادت الى أبيها متعجبة وقالت : ما نشر البرد وما نظر الا الى أنا . وهكذا زوجه اياها بعد اذنها (١) (عيون الأخبار) .

وتذكر تلك المراجع أن عمر بن الخطاب فاجأها بأن كشف عن ساقيها ليراهما فقالت له : « لولا أنك أمير المؤمنين لصككت عينيك »

(١) فقه السنة جـ٩ص ٥٤ طبعة دار البيان الكويت سنة ١٩٦٨ م .

وبديهى أن عمر بن الخطاب (١) العالم الفقيه ما كان يفعل ذلك لولا علمه أنه رخصة من الله فى هذه الحالة ·

٤ ـ وكما أذن الاسلام للرجل أن يتزوج بمن يحبها ويرضاها من النساء فقد أعطى المرأة أيضا هذا الحق ·· وأوجب على ولى أمرها استئذانها فى زواجها سواء كانت بكرا أم ثيبا صغيرة فى السن أم كبيرة ·· ويشترط الحصـــول على رضاها بغير ضغط ولا اكراه (كما كان يفعل أهل الجاهلية وبعض الأسر الجاهلة فى عصرنا الحاضر) فاذا أكرهت على ذلك اعتبر الزواج باطلا فى شرع الله ···

فقد جاء فى البخارى ان الخنساء بنت جذام جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : يارسول الله ·· ان أبى تعدى على وزوجنى بمن لا أرضاه ·· فقال لها الرسول : فهل تجيزين ما صنع أبوك ؟

قالت : ما لى رغبة فيما صنع أبى ·

فقال الرســول صلى الله عليه وسلم : « اذا لا نكاح له ·· فانكحى من شئت » ·

وكان أبوها قد جاءه ابن عمها ففضله على الشاب الذى تحبه وهو لبابة بن المنذر فقضى الرسول بطلاقها من ابن عمهـا الذى لا تحبه وزوجها أبا لبابة (رواه البخارى وابن ماجة) ·

وهـذا هو الامـام بن القيم الجوزى المتـوفى سنة ١١٣٥ م يتحدث عن حق المرأة فى الاسلام فيقول :

« ان البكر العاقل الرشيدة لا يتصرف أبوها فى أقل شىء من

(١) المرجع السابق ·

ملكها الا برضاها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه بدون رضاها .. ومعلوم أن اخـراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليهـا من تزويجها بمن لا تختاره بغير رضاها » .

فتصور أن الفقه الاسلامي منذ ١٤ قرنا من الزمان ينص على حق المرأة في اختيار الزوج الذى تحبه وتفضله ويعتبر تزويجها بغير رضاها باطلا في حين أن بعض الآباء في القرن العشرين ما زال يزوج بناته بغير رضاهن ويجبرهن على ذلك ..

٥ ـ ولكى يحفظ الاسلام للزواج قدسيته ويصونه من العبث فقد نهى المسلم نهيا قاطعا عن اللهو واللعب بكلمة الزواج .. واذا وعد المسلم فتاة بالزواج منها فليس من حقه أن يتراجع أو يتهرب بحجة أنه كان يقصد اللعب والمزاح وأكثر من هذا اذا كان الرجل متزوجا ثم تفوه بكلمة الطلاق فليس من حقه أن يتراجع بحجة انه كان يمزح .. وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة ليس فيهن لعب .. من تكلم بشيء منهن لاعبا فقد وجب عليه : الطلاق والعتاق والنكاح » (متفق عليه) .

٦ ـ الزواج بالبكر والثيب :

ويحث رسول الله الشباب المسلم على التزوج بالشابة البكر وذلك بهـدف مكافحة العنوسة بين البنـات .. وفى ذلك يقول الرسول :

« عليكم بالأبكار فانهن أكثر حبا وأقل صخبا » (رواه مسلم) .

ويقول لصاحبه : الا من بكر تداعبها وتداعبك » . وفى رواية أخرى تضاحكها وتضاحكك وقيـل أيضـا : (فهلا بكرا تعضها وتعضك » .

(أخرجه ابن ماجة ومسلم والنسائى)

وفى نفس الوقت فان الاسلام لم ينس الأيم أى التى سبق لها الزواج وطلقت أو توفى زوجها ‥ وشجع المسلم على زواجها وجعل ثوابه عن اعالتها واولادها عظيما ‥ وقد خص القرآن الأيم بوصيته فقال تعالى : « وأنكحوا الأيامى منكم » ٠

ومعروف أن جميع زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ما عدا عائشة كن أيامى وأول زواج له فى شبابه كان من السيدة خديجة فكانت لديه أفضلهن ‥ ولم يتزوج عليها حتى ماتت ‥ وكان من زوجاته الأخريات من توفى عنها زوجها فى الجهاد معه ‥ ومنهن من كانت عجوزا مدبرة لا تصلح للرجال وهذا وحده يبين لنا أحد الأهداف النبيلة للزواج فى الاسلام ٠

٧ ـ ولا يترك الاسلام أمره بالزواج مطلقا ‥ فهناك من لا يقدر عليه لظروفه المادية وهؤلاء يقول الله تعالى لهم :

« وليستعفف الذين لا يجـــدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » ٠

ورسول الله يقول : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له خير وجاء » وذلك لأن الصوم يكسر من شدة الغريزة الجنسية

(رواه مسلم)

٨ ـ ولكي ييسر الله على المعسرين بالزواج فقد أمر الاســلام المسلمة الكريمة أن لا تنظر الى المادة فى تزويج بناتها وأبنائها بل ينظرون أولا الى الدين والخلق وفى ذلك يقول تعالى : « ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » ٠

والرسول يقول : « اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » (رواه الترمذى) ٠

ويقول : « تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » (أخرجه الخمسة الا الترمذى) .

٩ ـ العوامل الوراثية :

يحث الاسلام على مراعاة العوامل الوراثية فى اختيار الزوجة .. وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تخيروا لنطفكم فأن العرق دساس » (رواه ابن ماجة) .

ويقول أيضـــا : « تخـيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا اليهم » (رواه الحاكم والبيهقى) .

١ ـ ومن وسائل الحيطة وحسن الاختيار اجـراء الفحص الطبى قبل الزواج : وهو يشمل عمل الأشعة على الصدر لاستبعاد السل .. وفحص الدم لعامل روسوس (R.H.) وللزهرى ، والسكر وفحص المنى للحيوية أو العقم . وغير ذلك من الفحوصات الحيوية التى يجب أن لا يتهاون الزوجان المسلمان فى اجرائها حتى تنشأ حياتهما على غير غش ولا خديعة .

٢ ـ وقد اكتشف علم الوراثة أن الكثير من الأمراض والعاهات ينتقل الى الأبناء من جيل الى جيل .. ومن هذه الأمراض الكثير من الأمراض العقلية كالشيزوفرنيا كما لوحظ أن مرض الســكر يسرى فى عائلات معينة وكذلك الزهرى الوراثى ومرض نزيف الدم (Haemophelia) والتشنجات العصبية .

وكثير من العـاهات الجسمية ينتقـل بالوراثة ومنها الحول والصلع وقصر النظر الشديد واللعثمة فى الكلام وعمى الألوان .

٣ ـ وقد أثبت العلم أن الكثير من الأمراض الأخلاقية أيضـا يمكن أن ينتقل بالوراثة : ومن هذه الأمراض ادمان المخدرات وادمان

الخمر ومنها اللواط والانحرافات الجنسية ومنها الميل الى الشر والاجرام . ويعلل الطب هذه الأمراض بأنها ترجع الى اضطراب في الهرمونات ولهذا السبب قد تنتقل بالوراثة . وفي هذا يقول رسول الله :

« اياكم وخضراء الدمن .. فانها تلد مثل ابيها وعمها وخالها » .

قالوا ما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الجميلة في منبت السوء » .

(رواه الدار قطني والواقدي)

٤ ـ وقد حرم الاسلام زواج الأخوة في الرضاعة اذا زادت الرضعات عن عشر رضعات لأن هذا يجعل الأخوة مثل أخوة الدم وزواج الأخوة ينتج نسلا ضعيفا وقد يكون مشوها .

٥ ـ ويكره الاسلام زواج الأقارب وفي ذلك يقول عمر رضي الله عنه : « لا تزاوجوا الأقارب فتضووا » أي يضعف نسلكم ..

وقد ثبت في علم الوراثة أنه كلما زادت صلات القرابة العائلية بين الزوجين كلما زاد احتمال انتقال عيوبهما الجسمية والخلقية الى الأولاد .

وفي نفس الوقت فكلما بعدت صلات الدم بينهما فان انتاجهما تظهر فيه الحسنات دون السيئات .. مثال ذلك اذا كان الأب أحول والأم قصيرة النظر فان أطفالهما يجمعون بين الحول وقصر النظر اذا كان الزوجان على صلة قرابة قوية .... أما اذا بعدت صلات الدم بينهما وخاصة اذا كان كل من الزوجين من جنس مختلف (كأن يكون الأب عربيا والأم أجنبية) فان الأطفال غالبا ما ينجون من ظهور العاهتين .

٦ ـ وقد نهى الاسلام عن ثلاثة أنواع من النساء :

(أ) المجنونة لأنها لا تحتمل المسئولية وقد تورث الجنــون لأولادها ٠

(ب) المريضـــة مرضـــا مزمنا ومعديا ولا يرجى الشفاء منه كالجذام والبرص ٠

(جـ) والعفلاء أى التى فى جهازها التناسلى عاهة خلقية تمنع النكاح والخلفة ٠

وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أربع لا يجزن فى النكاح المجنونة والمجذومة والبرصـــاء والعفلاء » ٠ (أخرجه مالك)

وجاء فى السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج من امرأة من غفار فلما خلا بها وجد بكشحها بياضا فأمرها أن تجمع عليها ثيابها ثم ردها الى أهلها ٠ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« ايما امرأة غر رجل بها جنون أو جذام أو برص فلها المهر أصاب منها وصداق الرجل من غره » (أخرجه مالك) ٠

٧ ـ ومما ينسب الى فقهاء الاسلام قولهم : ـ

« لا تتزوج شهبره ولا نهبره ولا هندره ولا هبزره » والشهبره هى الزرقاء البديئـة والنهبرة الطويلة المهزولة والهنـدرة العجـــوز المدبرة والهبزرة القصيرة الدميمة ٠

٨ ـ وأخيرا فان رسول الله يصف للمسلم المؤمن الزوجة المثالية فيقول صلى الله عليه وسلم :

« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته وان نظر اليها سرته وان أقسم عليها أبرته وان غاب عنها حفظته في نفسها وماله » . (متفق عليه) .

٨ ـ النكاح الصحى فى الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

« نسـاؤكم حـرث لكم

فاتوا حرثكم انى شـئتم »

(البقرة ـ ٢٢٣)

النكاح الصحى فى الاسلام

فى مطلع هذا الفصـــل من الكتاب بينا كيف اهتم الاسلام بتثقيف أبنائه ثقافة جنسية سليمة وكاملة ٠٠ ثم تناولنا القواعد العامة التى وضعها الاسلام لاختيار الزوجة وبنـاء الأسرة ٠ وهنا نبحث كيف وضع الاسلام للعلاقة الجنسية منهجا ونظاما دقيقـا يسبق به أحدث النظريات والدراسات العلمية فى القرن العشرين ٠

ولا شك أن اهتمام الاسلام بالعلاقة الجنسية يرجع الى دورها الخطير فى استقرار الأسرة وسعادتها وفى تجنيبها المشاكل والعقد والأمراض اذا أحسن استخدامها ٠٠ **وهذه هى بعض تعاليم الاسلام فى هذا الباب :**

١ ــ فالمذاهب السابقة للاسلام كانت تنظر الى هذه العلاقة على انها نجس وخبث وشر لابد منه مهما كانت فى الحلال ٠ فجاء الاسلام بعكس ذلك ورفع من شأن العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته واعتبرها حسنة تكتب له فى الآخرة وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسـلم :

« ما من رجل يأخذ بيد زوجته يراودها الا كتب الله تعالى له حسنة فان عانقها فعشر حسنات فان أتاها كان خيرا من الدنيـا وما فيها » ٠

ــ وسمع رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« وفى بضع أحدكم صدقة » فقال يا رسول الله ياتى أحدنا

شهوته ثم تكون له صدقة » قال الرسول : نعم : أرأيتم لو وضعها في حرام لكان عليه بها وزر · فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجـر » · (رواه مسلم والنسائي) ·

٢ ـ ومن أول تعاليم الاسلام في هذا المجال مراعاة المحبـة والوفاق العاطفي بين الشريكين كشرط لاقامة علاقة جنسية سليمة ودائمة ·· فبغير هذا التعاطف والمحبة تنقلب نعمـة الجنس الى نقمة ·· **وقد استنكر رسول الله على الذي يسيء معاملة زوجته ثم بعد ذلك يدعوها الى فراشه فيقول :**

« يظل أحدكم يضرب زوجته ضرب العبيد ثم يدعوها الى فراشه فيقبلها ويعانقها ولا يستحي » · (أخرجه ابن ماجة) ·

٣ ـ ويأمر الاسلام الرجل أن يتجمل لزوجته كما يحب منها أن تتجمل له ·· وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اغسلوا ثيابكم · وخذوا من شعوركم واستاكوا ، وتنظفوا فان بني اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » ·

ومن أقوال فقهاء المسلمين في ذلك :

« هيئة الرجل للمرأة مما يزيد في عفتها » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب التجمل في منظره وملبسه في غير خيلاء ولا اسراف ·

ويوصي أصحابه بقوله : « أحسنوا ركابكم حتى تكونوا شامة في الناس » ·

٤ ـ وفي نفس الوقت فان الاســلام يوصي الرجـل المسلم بالاهتمام بزينة زوجته ومظهرها وان يأتي لها بخير ما يستطيع من

الملبس حتى تبدو جميلة فى عينه فلا ينصرف عنها الى غيرها ، وقد روت السيدة عائشة عن رسول الله قوله :

« النساء لعب الرجال فليزين الرجل لعبته ما استطاع فان ذلك أدعى لشهوته وأملؤ لعينه » ٠

٥ ـ وحرصا من الاسلام على بقاء الجاذبية بين الرجل والمرأة فقد نهى كلا من الجنسين عن التشبه بالجنس الآخر سواء فى ملبسه أو فى أخلاقه وتصرفاته ٠٠ وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » ٠ (رواه البخارى) ٠

والقصد من ذلك أن تظل لكل من الجنسين شخصيته المستقلة وجاذبيته نحو الجنس الآخر ٠٠ هذا علاوة على مكافحة التخنث واللواطة فى الرجال ومكافحة الاسترجال فى النساء ٠

٥ ـ ومعظم كتب التربية الجنسية الحديثة تنهى بأن يباشر الرجل زوجته دون أن يسبق ذلك ملاطفة عاطفية وتمهيد جنسى ٠٠ وتقرر أن الكثير من الزوجات تصاب بالبرود الجنسى والأمراض النفسية والعصبية لأن الزوج لا يفهم هذه الحقيقة او يعطيها حقها ٠ وقد سبق الاسلام الى تقرير هذه القاعدة العلمية ٠

فالاسلام يعتبر الرجل الذى يغفل هذه الحقيقة كأنه بهيمة لا يحس ولا يدرك مشاعر غيره وفى هذا يقول رسول الله :

« لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول » ٠

قيل وما الرسول يا رسول الله ٠ قال : « القبلة والكلام » ٠

وعن جابر « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة

قبل المداعبة » ولم يكن رسول الله يقصر ملاطفته لزوجاته قبل المباشرة فحسب ولكنه كان دائم الملاطفة والملاعبة لهن فى كل وقت حتى وهو ذاهب الى الصلاة وكان يقبلهن ويداعبهن وهو صائم وفى ذلك تقول السيدة عائشة :

(كان رسول الله ينال منى القبلة بعد الوضوء ثم لا يعيد وضوءه) .

٦ ـ وتذكر كتب التربية الجنسية أن الزوجين عليهما أن ينوعا من الأوضاع الجنسية حتى تأخذ العملية الجنسية طابع التغيير والتجديد وحتى لا يمل أحد الزوجين من الآخر . وقد جاء بعض الصحابة يسألون رسول الله فى الأوضاع المختلفة التى تتبعها الشعوب الأخرى كاليهود والفرس فنزلت آيات القرآن تبيح لهم اختيار الوضع الذى يشاءونه بغير قيود أو حدود فيقول تعالى :

« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ..

٧ ـ وبفضل الصراحة والروح العلمية التى واجه بها الاسلام المسائل الجنسية فقد كان الصحابة يأتون الى رسول الله يسألونه فى أحرج أمور الجنس وهو يجيبهم بغير استنكار ولا استخفاف .. فكانوا يسألونه عن تقبيل الفرج وعن الاستمتاع بالنظر اليه .

عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله انى لأحب أن أنظر الى عورة امرأتى ولا ترى منى (أى احب ان انظر اليها ولا تنظر الى) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ولم ذلك .. ان الله جعلك لباسا لها وجعلها لباسا لك .. وأنا أرى ذلك من أهلى ويرونه منى) (المطالب الغالية جـ ٢ ص ٢٩) . (رواه الطبرانى والترمذى) .

٨ ـ ويحرم الأسلام الشذوذ الجنسى مع المرأه أى اتيانها في الدبر بل تؤتى فى المكان الطبيعى الذى جعله الله للنسل والتناسل وفى هـذا تقول الآية : « فأتوهن من حيث أمـركم الله » ويقول الرسول : « استحيوا من الله ولا تأتوا النساء فى أدبارهن » (رواه ابن ماجه والترمذى) ولا يقتصر ضرر هذا الشذوذ على منع النسل فحسب بل انه يشمل جميع الأضرار التى من أجلها حرمت اللواطة فى الطب والعرف والدين فعلاوة على الأذى النفسى للمرأة فانه يحدث تشققا فى الشرج والتهابات شديدة . أما الرجل فقد يصاب فى مجرى البول بالتهابات وغالبا يصعد الميكروب الى البروستاتا وقد يسبب له العقم وذلك لأن الشرج ملىء بالميكروبات التى لا يوجد مثلها فى باب الرحم (المهبل) كما وان الرجل قد يأخذ هـذه الميكروبات لكي ينقلهـا بدوره الى رحم المـرأة وقد يصـيبها هى بالعقم .

٩ ـ ويامر الاسلام الرجل أن يتلطف بالزوجة أثناء المجامعة وأن يعمل على اشباعها جنسيا .. وأن يجتهد ألا يقضى حاجته قبل حاجتها واذا سبقها فليحاول الصـبر حتى تأخذ دورها .. وفى هذا يقول الرسول :

« اذا جامع أحدكم أهله فليصدقها .. ثم اذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها » .

(رواه أنس بن مالك ـ المطالب العالية ج ٢ ص ٣٠)

١٠ ـ ويحرم الاسـلام على الزوجة تحريمـا قاطعا أن تماطل زوجها أو أن تتهرب منه بأى عذر غير شرعى اذا دعاها الى فراشه .. وذلك لان حرمان الزوج من الحياة الجنسية المنتظمة لابد أن يدفعه

دفعا الى الكبت أو الشعور بالحرمان وقد يدفعه ذلك الى الزنا والتطلع الى سواها فالزوجة فى هذه الأحوال مسئولة عن انحراف زوجها ٠٠ ولذلك كان الاسلام حاسما كل الحسم فى هذا الموقف اذ يقول رسول الله :

« والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو زوجته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » (البخارى ومسلم) ٠

١١ ــ وكما أمر الاسلام الزوجة أن لا تماطل زوجها أو تهجر فراشه فقد أمر الزوج أيضا أن لا يهجر فراش زوجته ما لم يكن هذا الهجر عقابا مقصودا ولفترة محدودة ٠٠ وفيما عدا ذلك فلا يحق له هجرانها بحجة الانشغال بأمور الدنيا وبأمور الدين ٠٠ فان ذلك يدفع المرأة الى اهمال نفسها وحياتها وقد يدفعها الى الانحراف ان كانت صغيرة السن ٠

أنظر الى هذه القصة الرائعة وحكم الاسلام دين الفطرة فيها : عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها (أى عدوها قليلة) فقالوا أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ٠ وقال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبدا ٠٠ وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا ٠ وقال آخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ٠٠ فجاء رسول الله اليهم وقال ٠٠ أنتم الذين تقولون كذا وكذا ٠٠ ؟ أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » ٠ (رواه البخارى ومسلم) ٠

وعن عائشة أن (الحولاء) زوجة الصحابي عثمان بن مظعون جاءت تزورها وقد تغيرت أحوالها فقالت لها عائشة :

« مالك يا حولاء متغيرة اللون لا تتمشطين ولا تتطيبين » ..

فقالت الحولاء : « وكيف أتطيب وأتمشط وما وقع على زوجي ولا رفع عني ثوبا منذ أمد بعيد » فتضاحك نساء النبي من كلامها .. فلما عاد رسول الله قالت عائشة :

يا رسول الله سألت الحولاء عن أمرها فقالت ما رفع عني زوجي ثوبا منذ مدة .. فغضب رسول الله من ذلك وأرسل اليه وقال له : ما بالك يا عثمان .. قال عثمان : اني تركته كي أتخلى للعبادة حتى فكرت في أن أتبتل ما بقي من عمري ولو اذنت لي يا رسـول الله لاختصيت .. ؟ **قال الرسول** : أقسمت عليك ألا رجعت فواقعت أهلك ..

قال : يا رسول الله اني صائم ..

قال : اذا أفطر ..

فقام عثمان طائعا واتى اهله ثم وقف رسول الله وخطب في الناس في مسجده قائلا :

« ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم .. اني أنام وأقوم وأفطـر وأصـوم وأنكح النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » (متفق عليه) .

وفي اليـوم التالي رجعت الحولاء الى عائشه وقد اغتسلت

وامتشطت وتطيبت فضحكت عائشة وقالت : ما بالك يا حولاء ·

فقالت : ان زوجي أتاني بالأمس ··

وهذا مثل حي على حكمة الاسلام وواقعيته في المسائل الجنسية وما يعطيها من اهتمام وتقييم ·

١٢ ـ ويرى فقهاء الاسلام ان الرجل لا يجب أن يغيب عن زوجته فوق أربعة أشهر وهذه القصة تبين لنا العقلية المتفتحة التى ينظر بها المشرعون المسلمون الى مسألة الجنس : فبينما كان الخليفة عمر بن الخطاب يمر فى احدى جولاته بالليل اذ سمع امرأة تنشد قائلة :

تطاول هذا الليل وازور جانبه

وليس الى جنبى خليل أداعبه

فوالله لولا الله لا رب غيره

لزلزل من هذا السرير جوانبه

مخافة ربى والحياة تكفنى

واكرم زوجي ان تنال ركائبه

وذهب عمر يسأل عن شأنها وقد همه أمرها ·· فعلم أن زوجها غائب مع جنود المسلمين في الحرب ·· فذهب عمر الى ابنته حفصة يسألها :

يا حفصه كم تصبر الزوجة على بعد زوجها ··

فخجلت ولم ترد ·· فقال عمر :

« يا بنية ·· أجيبى وانقذى أباك من عذاب اليم » ··

فقالت : « تصبر شهرين يا أمير المؤمنين ·· وتجالد نفسها بعد الثالث وتفقد صبرها بعد الشهر الرابع » ·

فجمع عمر الصحابة وتشاوروا وأصدروا قرارا أن لا يغيب محارب عن أهله أكثر من اربعة أشهر ·· فانظر كيف كان لتعاليم الاسلام والصراحة التي واجه بها مسائل الجنس المعقدة الأثر في هذه الحلول المتفتحة للمشاكل وانظر الى حكمة عمر في أنه لم يسأل زوجته في هذا الشأن بل ذهب الى ابنته الشابة الحديثة العهد بالزواج لكي يسألها ··

ومن تعاليم الاسلام الى الرجل المسلم انه اذا رأى امرأة ووقع في نفسه الاعجاب بها والرغبة بها فعليه أن يذهب الى امرأته فيواقعها فان ذلك يصرف عنه التعلق بالأخرى وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد الى امرأته فليواقعها فان ذلك يرد ما في نفسه » (رواه مسلم) ·

وفي هذا ما يبين لنا مدي واقعية الاسلام في معالجته لمشاكل الجنس ·

العادة السرية فى رأى الدين والعلم

لابد لنا هنا من وقفة صريحة فى قضية العادة السرية حيث اختلفت فيها الآراء الى الحد الذى يحدث البلبلة والاضطراب النفسى والذهنى لدى المراهقين والشباب ٠

فبعض المربين والآباء اذا سئلوا من قبل المراهق يقولون انها شديدة الضرر بالصحة وتؤدى الى الجنون وفقدان الحيوية وضعف النظر والارتخاء الجنسى ٠

وبعضهم يبالغ فى العكس فيهون الأمر ويجعله فى صـــورة مرغوبة ومحببة وكلا الاتجاهين غير سليم وضار ٠

ومن هنا كان الواجب على الآباء والمربين معرفة رأى الدين والعلم فى هذا المجال حتى لا يخرجوا عنه ٠

اما رأى الدين : فان العادة السرية لم يرد شىء عنها فى القرآن الكريم وكذلك لم يرد عنها شىء فى الحديث النبوى : والله تعالى يقول فى سورة الأنعام : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » فالحرام هو ما حرم فى الكتاب والسنة وحدوده واضحة ومعروفة ولا ينبغى الزيادة عليها اجتهادا من البشر ، والملاحظ أن بعض الناس يلجأ الى الأحاديث الموضوعة والمكذوبة فى هذا المجال لتأييد رأيه ٠٠ ومن ذلك قولهم « ناكح يده ملعون ويأتى يوم القيامة ويده حبلى » ٠٠ وهو كلام موضوع ولا يوجد فى أى مرجع صحيح من مراجع الحديث٠

والخلاصة .. أنه لا يوجد في القرآن والسنة ذكر للعادة السرية لا بالتحريم أو الاباحة .

أما رأى العلم : فتقرر الأبحاث الطبية أن العادة السرية منتشرة فى أنحاء العالم بين أكثر من ٩٠٪ من الذكور و٧٠٪ من الاناث .

وأنها تحدث ابتداء من مرحلة المراهقة حتى سن الزواج .

الرأى الطبى انها ليست ضارة اذا حدثت بصورة معتدلة ودون أن يسبقها تهيج جنسى مفتعل وهى بذلك تصبح نوعا من تفريغ الشحنة الجنسية واراحة الأعصاب من التوتر وهى بلا شك أهون من أضرار الزنى ..

أما اضرارها فتنحصر فى الآتى :

١ ـ المبالغة والاكثار دون مبرر .

٢ ـ افتعال التهييج الجنسى عن طريق غير طبيعى كالصور والمشاهد الجنسية .

٣ ـ الشعور بالذنب وتانيب الضمير الذى ينجم عن سوء التوجيه والارهاب المبالغ فيه .

٩ ـ البرود الجنسي عند المرأة المسلمة

حـديث شريف

« والذى نفسى بيده .. ما من رجل يدعو زوجته الى فراشه فتابى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى »

(رواه مسلم والبخارى)

« خير النسـاء الغلمة على زوجها العفيفة بفرجها »

(البخارى)

البرود الجنسي عند المرأة المسلمة

من خلال عملي منذ زمن بعيد كطبيب للأسرة المسلمة كانت تعرض على الكثير من حالات الخلاف وسوء التفاهم التي تهدد كيان الأسرة ٠

والكثير من هذه المشاكل اذا أهمل أو عولج بجهالة يؤدي الى الطلاق وخاصة بين الشباب الحديث عهد بالزواج ٠

ومما يزيد المشكلة تعقيدا أن كلا الزوجين لا يستطيع البوح صراحة بالأسباب الكامنة وراء هذا الخلاف أمام الأهل والأقارب الذين يرغبون في الاصـــلاح والوفاق مما يجعلهم يتخبطون في الظنـــون والحلول ٠٠ وربما كان طبيب الأسرة أقرب النـــاس الى تفهم هذا الوضع وأقدرهم على التصدي للحل وخلاصة المشكلة في شكوى الزوج أن زوجته مصابة بالبرود الجنسي والعاطفي فهي لا تظهر له من عواطفها وأنوثتها ودلالها ما يشعره بأنها تبادله حبا بحب ٠٠ وشوقا بشوق ٠٠ أو أنه موضع محبة واعزاز ٠٠ثم تأتي المسألة الأهم ٠٠ فهو يشكو من أن زوجته لا تتجاوب معه جنسيا ٠٠ فاذا طلبها الى فراشه تكاسلت أو ماطلت حتى يغلبه النوم ٠٠ وقد تختلق الأعذار الواهية مثل الكسل عن الغسل وبلل الشعر في اليوم التالي أو التعب والارهاق عن أعمال النهار ٠٠ وقد تكون الحجة أوهى من ذلك ٠٠ مثل التعلل بحراة الجو صيفا أو برودة الطقس شتاء ٠ وحتى لو بادلته الفراش خوفا من اغضابه فانما تفعل ذلك بطريقة باردة فاترة وكأنما تؤدي واجبا مفروضا ٠

ويضيف الكثير من الأزواج الى ذلك عدم اهتمام الزوجة بأنوثتها وزينتها وملابسها سواء داخل البيت أو خارجه ‥ مما يجعله يزهد من الرغبة فيها والتطلع اليها ‥

وهذه الأمور كلها لها رد فعل قاس على نفس الزوج ومعنوياته وخاصـــة اذا كان فى مرحلة الشباب ولابد ان يشعر بجرح فى كبريائه ورجولته ‥

وتزداد هذه الحالة شدة اذا كان الزوج متـديناً لا يريد أن يشعر بالفراغ الجنسى الذى يدفع غيره من الأزواج الى التطلع الى الحرام ‥ والنتيجة الحتمية أنه يفقد حبه لزوجته بالتدريج ‥

وقد يقسو عليها أو يسبب لها المشاكل فى كل صغيرة وكبيرة وتصبح الحياة بينهما مستحيلة دون أن يكون هناك سبب ظاهر أو محدد ‥

وقبل أن نبدأ فى ذكر الحل والعلاج يجب أن نسأل أنفسنا أولا : لماذا تصاب المرأة المسلمة بالذات بالبرود ؟

تكثر هذه الحالة فى الأسر المسلمة المتدينة والمحافظة ‥ حيث تربى الفتاة منذ الصغر تربية فيها التخويف من الجنس الآخر ‥ وتمنع من الاختلاط بالشباب فى كل مراحل العمر ‥ هذا علاوة على التعتيم على القضية الجنسية ومما يزيد الأمر سوءاً اذا كانت الأسرة تمارس عادة طهور البنات ‥ فكل هذه الظروف تجعل البنت منذ الطفــولة تخاف الجنس وتتحاشى مجرد التفــكير فيه مما يصيبها فى النهاية بالبرود العاطفى والجنسى ٠

علاج هذه الحالة :

كبداية نقول ان كل زوجين مسلمين يجب أن يعرفا جيداً أن

هذه المشكلة حالة مؤقتة وليست عاهة مستديمة ولا مرضا مزمنا ..
وان علاجها يكمن فى أمرين هامين :

اولهما : التوعية الجنسية .. **وثانيهما** : العلاج بالزمن ..
ولو كان العلاج بالبتر والطلاق لهدمت جميع بيوت المسلمين لأن هذه المشكلة موجودة فى أكثر الأسر المسلمة وتمثل العنصر الرئيسى وراء كل خلاف بين الأزواج .

وكثير من الأزواج الشباب يتصور أنه لو طلق زوجته وتزوج باخرى فقد يتغير حظه وتكون الزوجة الجديدة أكثر استجابة لرغباته الجنسية وأكثر حرارة فى الفراش ولكنه سرعان ما يكتشف أنها قضية عامة فى أكثر النساء وأنها ليست حالة خاصة بزوجته دون غيرها من النساء وفى أغلب الأحيان ياتى هذا الاكتشاف بعد فوات الاوان وبعد أن يكون قد دمر زواجه الأول وحبه الأول وجرح مشاعر الزوجة الأولى وما اصدق قول الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الأول

يجب على كل شاب مسلم وفتاة مسلمة أن يقرأ كتب التربية الجنسية بعناية ويدرسها دراسة جدية .. وبديهى أن تبدأ هذه الدراسة قبل الزواج بوقت كاف ولكن هذا لا يمنع أن تبدأ هذه الدراسة بعد الزواج أيضا فلا يزال فى العمر متسع للدراسة مع التطبيق العلمى على الحياة الزوجية ..

وبعد هذه المقدمة نقول ان الحلول تتوقف على ثلاثة أطراف شركاء فى هذه القضية : الأهل .. الزوج .. الزوجة .

أولا ـ الأهل وتربيتهم للبنت والولد :

لقد شرحنا فى هذا الكتاب موقف الاسلام من قضية التربية الجنسية للفتى والفتاة ·· وبينا خطر التعتيم والتجاهل وواجب البيت والمدرسة فى شرح قضايا الجنس بالتدريج بحيث تكتمل كل المعلومات قبل مرحلة المراهقة ·· كذلك شرحنا موقف الاسلام من قضية الاختلاط وبينا الفرق بينه وبين الخلوة وشرحنا أهمية الاختلاط النظيف الهادىء منذ الطفولة فى تهيئة الفتى والفتاة لحياة زوجية سليمة خالية من العقد وفى اتاحة الفرص لكل منهما لاختيار الزوج المناسب له ·

أيضا بينا خطر عادة طهور البنات وان كانت هذه العادة والحمد لله قد اختفت تقريبا فى الأسر المتعلمة والمثقفة وبقيت فى بعض الأسر القليلة الحظ من الثقافة والتعليم ·· هذا من ناحية التربية والتعليم ·· وبقى واجب الأهل وخاصة الأبوين اذا ووجهوا بمشكلة مثل هذه لابنهم أو ابنتهم ·· يجب أن تهتم الأم بالذات بمشكلة ابنتها والأب بمشكلة ابنه ·· ويتكلمان بصراحة عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء خلافاتهما وعليهما أن يغوصا فى أعماق المشكلة ولا يكتفيا بالمسائل السطحية التى لا يغنى حلها عن الحل الجذرى للسبب الأساسى وبديهى أن الحل سوف يكون بالتوعية أساسا · ومن هنا يجب أن يكون لدى الأبوين أيضا وعى بمشاكل الشباب والا فان فاقد الشيء لا يعطيه ·

ثانيا ـ واجب الزوج :

كثير من الشباب فى عصرنا هذا يتأثر بالأفلام السينمائية ويتصور أن الزوجة المثالية ما يراه فى ممثلات السينما من حيث الأنوثة الرقيقة والعواطف الجياشة والاهتمام بزينتها وملبسها ·· وهذا فى الواقع تمثيل فى تمثيل ·· ولا يوجد الا قلة من النساء التى

تجمع بين مسئولية البيت وتربية الأولاد الى جانب الوظيفة اذا كانت موظفة ٠٠ ثم تستطيع بعد ذلك أن تعطى زوجها كل ما يتمناه أو يتصوره من نفسها ٠٠ فيجب على الزوج أولا ان يضع جميع هذه الاعتبارات فى ذهنه حتى يعذر زوجته بعض العذر ٠٠ ولا يتصور أنها لا تحبه اذا قصرت فى بعض حقوقه ٠

ـ وعليه أيضا أن يفهم ان هنـــاك فارقا كبيرا بين الفتـــاة المتدينة التى تربت فى ظل الدين والعبادة منذ نعومة أظفارها وبين المرأة اللعوب التى جربت الرجال وتعرف كيف ترضى أى رجل ٠

ـ والشاب المسلم مطـــالب أكثر من الفتـــاة المسلمة بالقراءة والاطلاع على كتب التربية الجنسية باعتبار أن الفتاة أكثر حياء وأقل جرأة على تداول هذه الموضوعات واذا كان جاهلا بهذه الأمور فعليه أن لا يلوم زوجته على جهلها أو تقصيرها فالتقصير مشترك وان كان اللوم على الرجل أكبر ٠

ـ وقد ذكرنا فى هذا الكتاب واجبات الزوج المسلم نحـــو زوجته حتى يهيىء لها حياة جنسية سليمة ٠٠ وقلنا أن عليه أن يتزين لها كما يحب أن تتزين له وأن يلتزم بالتمهيد والمداعبة قبل المباضعة ٠

بل عليه أن يهيىء الجو الشاعرى الهادىء كأن يخرج معها فى نزهة جميلة وجلسة شاعرية لأن هذا مما يهيىء لها الرغبة فى مبادلته العواطف والمودة ٠ ويجب أن يساعدها فى عمل البيت أو يعفيها من بعض مسئولياتها الأخرى حتى ترتاح نفسيا وجسديا ٠٠ أما اذا كانت الزوجة موظفة فهذا وضع خاص يحتاج الى معاملة خاصة ٠٠ فهى تعمل مثله ٠٠ وتتعب مثله ٠٠ وتشاركه فى التعاون على أعباء الحياة ٠٠ من هنا فعليه أن يكون شريكها أيضا فى أعباء البيت ٠٠ وأن يدبر لها خادمة تساعدها ٠٠ المهم أن يعرف الزوج الشاب

ان الاجهاد البدنى والذهنى من اهم أسباب ضعف غريزة الجنس عنـد المرأة ·

ثالثا ـ واجب الزوجـة :

يجب أن تفهم المرأة المسـلمة جيدا ان التدين لا يعنى القبح ·· وان الاحتشام لا يعنى الاسترجال ·· وان حسن العبادة لا تعنى فقدان الأنوثة ·· لقد سمعت فتاة مسلمة تقول لزميلاتها انها لا تحب أن تبدو جميلة حتى لا ينظر اليها الرجال ·

وسمعت اخـرى تفخر امـام زميلاتها بانها مثل الرجـل فى الخشونة وجفاء الطبع لانها تحب أن تكون جادة دائما ·· وأعرف كثـيرات من النسـاء اللاتى اشتهرن بالتأنق والعنـاية بملبسهن وزينتهن ثم اقتنعن بالحجاب فاذا بهن يتحولن الى الاهمـال فى المظهر والملبس حتى أصبحت السـيدة منهن لا تتميز عن الخـدم والسوقة ·

ومن العبارات التى اصبحت شكوى عامة على لسان الكثير من الأزواج المسلمين قولهم (أنا متزوج عسكرى) وهذا التعبير الغريب يدل على أن الكثير من نساء المسلمين قد فهمن التدين فهما خاطئا والتبست عليهن معانى الفضيلة والعفة والاحتشام بمعانى القبح والخشونة والاسترجال ·

فهل يا ترى نسين وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الميدان حيث يقول :

« ان الله جميل يحب الجمال » ·

ويصـف الزوجة المثـالية بأنهـا التى تسره اذا نظر ويوصى المسلمين بالتزوج بالمرأة « الودود » اى التى تظهر المودة والملاطفة

والأنوثة لزوجها بل يوصيهم بالمرأة (الغلمة) أى التى تشتهى الرجل وتحب المجامعة والعناق . وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « خير نسائكم العلمة على زوجها العفيفة بفرجها » . (رواه البخـــارى) .

والاسلام ينزل لعنته على المرأة المسترجلة فيقول صلى الله عليه وسلم : « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (متفق عليه) . وليس التشبه هنا قاصرا على الزى وحده .. ولكنه أهم من هذا يتناول طبيعة المرأة وأنوثتها .

ــ يجب على المرأة المسلمة أن تعتنى بمظهرها وملبسها سواء فى البيت أو خارجه واذا اختارت الحجاب فلتضع همها فى التأنق به والعناية بلبسه ولها أن تضع الزينة فى وجهها ويديها .. دون تبرج ولا اسراف .. ولكن أيضا دون تقصير ولا اهمال ..

وأنوثة المرأة من أهم عناصر نجاح الحياة الزوجية . فالزوج لا يريد أن يتزوج امرأة مسترجلة بل يريد أن يشعر دائما بأنه موضع اهتمام زوجته ودلالها عليه ولهفتها على لقائه . فعلماء النفس يقولون ان الرجل طفل كبير .. يحب التدليل والملاطفة والاهتمام من شريكة حياته واذا حرم من ذلك انقلب الى طفل مشاغب مخرب .

أما المرأة الموظفة فعليها أن تختار الوظيفة التى لا ترهقها كثيرا لان الاجهاد البـدنى والذهنى من أهم أسـباب فقدان المرأة لأنوثتها وشهوتها ويضـعف رغبتها فى الجنس .. والحـذر كل الحذر من الوظائف التى تستغرق معظم ساعات النهـار مهما زاد راتبها لأن هذا يحطم الحياة الزوجية ويبعد الهوة بين الزوجين . وقضية عمل المرأة وساعات دوامها ليست قاصرة على المرأة المسلمة .. بل هى مشكلة عامة .. وفى أوروبا اليوم دعوة تطالب بتقليل ساعات العمل للمرأة ولو كان يتبع ذلك نقص فى أجرها وذلك

حتى يتوفر لها الجهد والطاقة لزوجها وأولادها ، وكم نتمنى لو تتبنى الحكومات الاسلامية تشريعات بجعل ساعات العمل للمرأة المسلمة لا تزيد عن ٤ ساعات بدلا من ٦ كل يوم وفى يقينى ان هذا لن يؤثر على سير العمل أو يقلل من الانتاج ٠

كان هذا هو الجانب الأول من جوانب القضية ٠

بقى الجانب الأهم وهو **البرود فى فراش** الزوجية ٠٠

وسوف اكتفى هنا برأى الاسلام وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم :

فالاسلام يحرم على الزوجة تحريما قاطعا أن تماطل زوجها أو أن تتهرب منه بأى عذر غير شرعى اذا دعاها الى فراشه ٠٠ وذلك لأن حرمان الزوج من الحياة الجنسية المنتظمة لابد أن يدفعه دفعا الى الكبت أو الشعور بالحرمان ٠ وقد يدفعه ذلك الى الزنا والتطلع الى سواها فالزوجة فى هذه الأحوال مسئولة عن انحراف زوجها ٠٠ ولذلك كان الاسلام حاسما كل الحسم فى هذا الموقف اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو زوجته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنهـا » ٠ (البخارى ومسلم) ٠

ويقول أيضـا : « لعن الله المسوفات » قيل وما المسوفات يا رسول الله ٠ قال : « التى اذا دعاها زوجها الى فراشه تقول سوف أحضر سوف أفعل حتى يغلبه النوم فتبيت والملائكة تلعنها » ٠ (رواه الطبرانى) ٠

ويقول أيضا : « اذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وان كانت على التنور » ٠ (رواه الترمذى وابن حيان والطبرانى) ٠

وقوله أيضا : « ثلاثة لا تقبل منهم صــلاة ولا تصــعد الى السماء ولا تجاوز رؤوسهم : امرأة دعاها زوجها من الليل فأبت عليه الحدث » (رواه ابن خزيمة) .

وعن ابى عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة أن تنام حتى تعرض نفسها على زوجها » : قالوا : « وكيف تعرض نفسها على زوجها » .

قال : « تخلع ثيابها وتدخل معه فى لحافه فتلزق جلدها بجلده فاذا فعلت فقد عرضت » (اسناده لأحمد بن منيع ـ المطالب العالية جـ ٢) .

هذه هى تعاليم الاسلام الى المرأة المسلمة حفاظا على حياتها الزوجية وعلى محبة زوجها لها .

ختان المرأة عـادة خطيرة على المجتمع الاسـلامى والاسـلام بـرىء منها

يتصـور كثير من الجهلة والعوام ان الاسلام قد أمر بختان المرأة ·· وهذا خطأ كبير فختان المرأة عادة قديمة جدا قبل ظهور الاسـلام ·· وقد كانت شعوب أفريقيا وآسيا يختنون النسـاء وبدرجـات متفاوتة ·· وقد وجـد الختان فى موميـات الفراعنة والفينيقيين ·· كما أنه كان مشهورا عند عرب الجاهلية · وعندما دخلت تلك الشعوب الاسلام ظل الكثير منهم يحتفظ بعاداته القديمة ومنها الختان ·· بحيث أصبحت الأجيال المتعاقبة تتصور أن هـذه من تعاليم الاسلام ·

ونظرا لخطر هذه العادة على المجتمع الاسلامى وعواقبها الوخيمة فسوف نشرح هنا رأى الدين ورأى الطب وعلم الاجتماع ·

رأى الدين فى ختان المرأة : من المقطوع به أن الاسلام لم يأمر بختان المرأة ··

١ ــ ويقول فضيلة الشيخ سيد سابق فى كتابه فقه السنة : « ان أحاديث الختان للمرأة ضعيفة لم يثبت عنها شيء » (١) ·

٢ ــ ويقول السيد محمد رشيد رضا فى مجلة المنار : « ليس فى الختان خبر يرجع اليه ولا سنة تتبع واحتج القائلون بأنه سنة

---

(١) فقه السنة جـ ٦ ·

بحديث ورد عن أحمد والبيهقى « الختان سنة فى الرجال مكرمة فى النساء » • وراويه الحجاج بن أرطاة « مدلس » (٢) •

وفى رواية عن الدارمى أن وفدا من النساء جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم ان حيهن امرأة صنعتها ختان البنات فقال لها ينهاها عن المبالغة : « لا تنهكى فانه أحظى للمرأة وأحب للبعل » (الدارمى أدب ١٦٧) وقد ضعفه الدارمى •

فهذه الأحاديث النبوية بفرض صحتها لا تأمر بالختان بل تجعله مكروها وتجعل الحف والمبالغة منهيا عنها شرعيا وسوف نشرح المغزى العلمى لقول الرسول : «أحظى للمرأة وأحب للبعل» •

ـ راى الطب والعلم فى الختان :

من المعروف طبيا أن الأعصاب الجنسية فى المرأة تكون مركزة فى البظر Clitoris كما ان الأعصاب الجنسية للرجل تكون مركزة فى راس الذكر فالختان كما تمارسه القابلة يعنى قطع البظر •• وفى بعض الأحيان قطع جزء من الشفرة •

وهذا يعنى علميا حرمان المرأة من معظم اعصاب الحس الجنسى فهو فى تأثيره على أنوثة المرأة وعلى رغبتها فى الجنس واستجابتها له (orgasm) يشبه الى حد كبير تأثير الخصى على الرجل •• فهو نوع من اهدار آدميتها والقضاء على مشاعرها وأحاسيسها •• ويصيبها بالبرود الجنسى •• وكما ذكرنا فى باب البرود الجنسى عند المرأة المسلمة فان هذه احدى أسباب الطلاق وتفكك الأسر فى الاسلام •

ـ بقى أن نضيف الى هذه ظاهرة خطيرة منتشرة فى البلاد التى

---

(٢) مجلة المنار ٢٥ اكتوبر ١٩٠٤ • وقد أعيد نشره عدة مرات واستشهد به الأطباء •

تمارس عادة ختان البنـــات ·· وهى اضطرار الرجال الى تعاطى المخدرات كالأفيون والحشيش بقصد اطالة الجماع حتى يستطيع اشباع زوجته جنسيا ·

وقد أجمع علماء الاجتماع على أنه لا أمل فى القضاء على ظاهرة المخدرات فى العالم الاسلامى الا بعد القضاء نهائيا على ظاهرة ختان البنـــات ·

ـ ولا ننسى أن طهارة البنات لها مضاعفات صحية وطبية أخرى غير التأثير الجنسى · فالذى يمارسها قابلات جاهلات وقد يلتهب الجرح ويتلوث ·· ويصل التلوث الى الرحم وقنوات المبيض وقد يسبب عقما دائما للبنت ·· وكثير من القابلات بعد قطع الشفرة يأمر الفتاة بضم رجليها بشدة مما ينجم عنه التصاقا وضيق فى باب المهبل ، وهذا بدوره يسبب عسر الولادة بحيث تحتاج الفتاة الى عملية شق المهبل حتى لا يختنق الجنين أثناء الولادة ·

وهذا قليل من كثير من أضرار هذه العادة البغيضة ·· واذا كانت مصر قد خطت خطـوة قانونية بعـــدم الترخيص للقـابلات بالطهارة فالأجدر أن يمتد هذا التشريع الى عقوبة الأبوين أو الأسرة التى تطاهر ابنتها ·· وحتى لو لم يطبق هذا القانون فان وجود القانون سوف ينبه الناس الى خطر هذه الجريمة فى حق بناتهم ·

١٠ ـ النظافة الجنسية في الاسلام

« ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين »
(البقرة ـ ٢٢٢)

النظافة الجنسية في الاسلام

لقد اهتم الاسلام بنظافة الجسم عامة وأعطى كل عضو حقه من الاهتمام ابتداء من شعر الراس حتى أظافر القدمين ثم أعطى الأعضاء التناسلية اهتماما خاصا باعتبارها أكثر الأعضاء تعرضا للتلوث والمرض فمن تعاليم الاسلام في هذا المجال ما يأتي :

١ ـ الاستنجاء :

أي غسيل السبيلين بالماء بعد التبول والتغوط وعدم الاكتفاء باستعمال الورق الجاف كما هو الحال في أوروبا وكثير من البلاد غير الاسلامية .. وتقضي السنة باستعمال الماء أولا لازالة النجاسة ثم يجفف البلل من الماء بشيء طاهر جاف ولو كان ورقة (وقبل أن يعرف الورق كان الناس يستعملون حجرا جافا اذا كانوا في الفلاة) .

وفي هذا يقول رسول الله : « تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه » . (متفق عليه) . ومعنى التنزه هو التطهر والاستنجاء .

ولهذه العادة الكثير من الفوائد الصحية وخصوصا في حالة المرض : ففي مرض السكر أو البول السكري يحتوي بول المريض على كمية كبيرة من السكر ، فاذا تركت آثار البول على العضو بعد التبول يجعله عرضة للالتهابات والتقيح ثم تنتقل الميكروبات الى

مجرى البول فتسبب التهابه وكثيرا ما تنتقل هذه الميكروبات الى الزوجة عند الجماع فتسبب لها التهاب الفرج والرحم وقد يؤدى الى العقم ٠

ويشمل الاستنجاء غسل الشرج أيضا بالماء ثم تجفيفه بالورق وتظهر أهمية هـذه العادة أيضـا عند اصابة الشخص بالطفيليات والديدان فهناك مثلا ديدان (الاكسورس) وهي ديدان صغيرة تخرج بكميات كبيرة مع البراز ، فاذا لم تنظف الشرج جيدا فان هـذه الديدان تستطيع أن تعيش حـول فتحة الشرج على بقـايا البراز وتتكاثر فى هذه المنطقة محدثة التهابا شديدا فى الجلد ثم تنتقل بويضات الديدان الى السراويل والملابس والأيدى فتعدى الشخص السليم أثناء الأكل ٠٠ وهذه الديدان وكثير غيرها لا يجدى معهـا المسح بالورق وحده بل لابد من استعمال الماء ثم المسح بالورق ٠

ومن حكم الاسلام الرائعة في هذا المجال ان المسلم لا يستنجى (أى يغسل دبره أو قبله) بيده اليمنى بل يجب أن يكون ذلك بيده اليسرى لأن اليد اليمنى لتناول الطعام والسلام على الناس فيجب أن لا تكون عرضة للميكروبات ٠ وفى هذا تقول السيدة عائشـة : « ان الرســول كان يأكل بيمينه ويسـلم بيمينه أما الاستنجاء فبيساره » ٠ وفي عصرنا الحاضر أصبحت الشطافة التى يندفع منها الماء بقوة تغنى عن استعمال اليد فى الاستنجاء وهى لازمة فى كل بيت مسلم ٠

٢ ـ الختـــان للرجـال :

وذلك لقول رسول الله :

« اربع من الفطرة الختان وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الابط » ٠ (أخرجه الستة) ٠

وقد شرع الختان في اليهودية والاســـلام وللختان كثير من الفوائد الصحية والجنسية :

١ ـ فهو يمنع الأقذار عن الذكر ٠٠ لان هذه الأقذار تتجمع تحت القلفة وتصبح بيئة لتوالد الميكروبات والروائح الكريهة ٠

٢ ـ ويقلل الختان من احتمالات اصابة الذكر بمرض الزهرى حيث ثبت أن ميكروب هذا المرض يتخير القلفة بالذات للنمو بها ٠

٣ ـ كما أن القلفة نفسها كثيرا ما تتعرض أثناء الاحتكاك والمجامعة للتسلخ والجروح ثم تصبح عرضة للالتهاب ٠

٤ ـ كذلك ثبت أن الختـــان يقلل من امكانية اصابة الذكر بالأورام الحميدة والسرطان بأنواعه ٠

٥ ـ ومن أهم فوائد الختان للرجل هو مساعدته على الاطالة أثناء المجامعة وتعليل ذلك أن المنطقة الأكثر حساسية فى العضـــو الذكر هى الرأس ففيها تتركز خلايا الجنس والأعصاب وعند وجود القلفة حول الرأس فانها تمنع عنه الاحتكاك الخارجى مما يجعل الذكر شديد الحساسية عنـــد أى تلامس ٠ أما اذا قصت القلفة وأزيلت من حـــول الرأس فان هـــذا الجزء الحساس يصـــبح أقل حساسية بسبب احتكاكه الدائم بالملابس مما يفقد الخلايا العصبية جزءا كبيرا من حساسيتها ، ولهذا فان الختان يجعل الرجل أكثر قدرة على الاطالة فى المجامعة ٠

ومرة أخرى نؤكد على أن أمر الاسلام بالختان قاصر على الرجال فقط ولا يتناول النساء (اقرأ موضوع ختان المرأة) ٠

٤ ـ ويحرم الاسلام المباضعة أثناء الحيض :

وفى ذلك يقول تعالى :

« ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله · ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ·· (البقرة ـ ٢٢٢) ولهذا الأمر أكثر من حكمة طبية وجنسية :

(أ) ففى فترة الحيض يفرز جسم المرأة هرمونا يختلف عن الذى يفرزه فى الفترة العادية ·· وهذا الهرمون يجعل المرأة فى حالة نفسية ومعنوية غير عادية وبعض النساء يصاب فى هذه الفترة باضطرابات عصبية وتكون كارهة للمجامعة ففى تركها فى هذه الفترة احترام لمشاعرها وظروفها ·

(ب) وفى هذه المرحلة أيضا تكون أعضاء المرأة التناسلية كالرحم والمبيض والبظر فى حالة احتقان شديد وهذا يجعلها عرضة للجراح الصغيرة والتسلخات غير المرئية أثناء المجامعة وقد يسبب ذلك دخول الميكروبات التى تسبب التهابات ينجم عنها العقم ·

(ج) أما بالنسبة للرجل فانه قد يصاب بالالتهابات لأن الدم النازل من الرحم يعتبر فاسدا وهو مزرعة للميكروبات التى قد تصيب مجرى البول ·

ولكن الاسلام رغم نهيه القاطع عن الجماع فى فترة الحيض فهو ينهى الرجل عن مقاطعة المرأة واهمالها ·· **وعندما نزلت الآية فى قوله تعالى :**

« ولا تقربوهن حتى يطهرن » ··

ظن بعض الصحابة أن معناها مقاطعة الزوجات وعدم لمسهن

أو مشاركتهن الفراش ٠٠ وقد نهاهم الرسول عن ذلك فقد كان الرسول يقبل زوجاته ويلاطفهن ويداعبهن وينام معهن فى نفس الفراش ونفس الثوب أثناء الحيض ٠

جاء الصحابى الجليل (مسروق) الى عائشة رضى الله عنها فى منزل النبى فقال : السلام على النبى وأهل بيته ٠٠ فقالت عائشة ٠٠٠ أبو عائشة ؟ مرحبا ٠ قال : أريد أن أسألك عن شىء وأنا أستحى قالت : انما أنا أمك وأنت ابنى ٠٠ قال ما للرجل من امرأته وهى حائض ٠٠ قالت : كل شىء الا فرجها ٠٠ والاسلام فى ذلك يسبق أحدث أساليب التربيــة الجنسية الحديثة ٠٠ ففى فتــرة الحيض تكون المرأة شديدة الحســاسية ٠٠ ورغم كراهيتها للمجامعة فهى تكون أشد حاجة لملاطفة الزوج وتعاطفه معها ٠٠ **فان هذا يرفع معنوياتها ويسرى عنها فما أحكم الاسلام وتعاليمه ٠**

٥ ـ الطهارة بعد المباشرة :

والقصد بالطهارة غسيل جميع أعضاء الجسم أى الاستحمام وليس القصد من الاستحمام هنا هو النظافة وحدها ٠ فقد يكون الانسان نظيفا قبل المجامعة ولكن من المعروف طبيا أن الانسان بعد المجامعة يفرز جسمه كمية كبيرة من مادة الادرينالين ٠٠ وهذه المادة تفتح مسام الجلد وتنشط غدد العرق للافراز فتظهر للانسان رائحة خاصة تكون عادة كريهة ٠٠ وأكثر الناس لا يحسون برائحة عرقهم ولكن غيرهم يحس بها فى الحال خاصة اذا تلامس الجسمان كمــا فى العلاقة الجنسية ٠

ولهذا السبب فقد سن الاسلام الطهارة قبل المعاودة الجنسية ايضا وفى ذلك يقول الرسول :

اذا جامع أحدكم وأراد أن يعاود فعليه بالطهــارة فان ذلك أنشط ٠ (صحيح مسلم) ٠

ومعنى هذا الحديث أن الرجل اذا أراد أن يعاود المجامعة مرة أخرى بعد الأولى مباشرة فيحسن به أن يستحم قبل الثانية · فهذا الاستحمام يعيد له نشاطه ويزيل عنه رائحة عرقه ويجعله فى أحسن حالاته النفسية والجنسية ·

٦ ـ والى جانب الاستحمام بعد المباشرة فان الاسلام يأمر بغسيل الأعضاء الجنسية أى (الاستنجاء) بعد المباشرة لمن يريد النوم بدون طهارة ويحسن أن يكون ذلك بعد العملية الجنسية مباشرة ·· ولهذا الأمر فائدة طبية كبيرة ·· فمعظم الميكروبات التى تعيش فى الأجهزة التناسلية والتى يمكن أن تنتقل من أحد الزوجين الى الآخر هى من النوع الضعيف (Delicate) الذى يمكن القضاء عليه بمجرد الغسيل بالماء قبل أن يتمكن من اختراق الجلد والأغشية المخاطية ·

وقد جاء فى البخارى عن ابن عمر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيرقد أحدنا وهو جنب ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم : « توضأ واغسل ذكرك ثم نم » ·

٧ ـ ويامر الاسلام المرأة بالغسل بعد المحيض :

وذلك لقوله تعالى :

« ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله » وقد سألت بعض النسوة رسول الله عن غسل المحيض فشرحه قائلا : « تتخذ احداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب الماء أعلى رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى يبلغ شئون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها » فسألت احداهن وكيف تطهر بها ؟ قال : « سبحان الله

تطهرى بها » ٠٠ فقالت عائشة تزيدها شرحا : « تتبعى أثر الدم » ٠
(رواه مسلم)

ومعنى هذا الحديث غسل الجسم كله غسلا جيدا ثم غسل الفرج والمهبل أيضا من الداخل لازالة ما بقى فيه من آثار الدم حتى لا يكون مرتعا للميكروبات ثم تطيب المهبل بوضع قطن معقم له رائحة طيبة فيه حتى يزول كل أثر لدم الحيض ٠

٨ ـ ويحرم الاسلام الزنا تحريما قاطعا :

وحقيقة أن جميع الشرائع والقوانين تحرمه ٠٠ ولكن الاسلام ينفرد بأنه جاء بأشد العقوبات وأكثرها ردعا فى هذا المجال الى جانب أنه قد هيأ للمسلم كل السبل ليعيش حياة جنسية سليمة وكاملة فلا يحتاج الى الانحراف أو الزنا ٠ فسمح له بتعدد الزوجات وسمح له بالطلاق وسوف نأتى الى فائدة الطلاق والتعدد وأثرهما فى منع الزنا ٠ ومن الناحية العلمية فان أضرار الزنا نوعان : أضرار اجتماعية وأخرى صحية فهو يؤدى الى تحطيم الأسر وموت الإخلاص والثقة والترابط العائلى ٠٠كما يؤدى الى جرائم العرض والشرف والى ظهور الاتجار بالجنس والرقيق الأبيض وأخيرا يؤدى الى اختلاط الأنساب والأطفال غير الشرعيين وكثيرا ما يحدث فى أوروبا أن يتزوج الرجل امرأة ثم يكتشف بعد الزواج أنها أخته من أبيه وأمه عن طريق الزنا ولم يكن يعلم ذلك ٠

أما الأضرار الطبية : فهى انتشار الأمراض التناسلية عامة كالزهرى الحاد والزهرى الوراثى ومرض السيلان والعقم الجنسى٠ وأخيرا مرض الايدز القاتل الذى انتشر هذه الأيام ٠

٩ ـ ويحرم الاسلام الشذوذ الجنسى واللواطة : وقد ذكرنا اضرارهما الصحية ٠ وقد لوحظ أن مرض الايدز ظهر أول أمره بين الشواذ ٠

١١ ـ الحكمة الطبية فى تشريع الطلاق وتعدد الزوجات

حـديث شريف

« أبغض الحلال عند الله الطلاق »

(متفق عليه)

الحكمة الطبية فى تشريع الطلاق وتعدد الزوجات

لقد تحدث علماء المسلمين كثيرا عن حكمة الاسلام فى السماح بالطلاق وتعدد الزوجات وكان تركيز أكثر الباحثين على النواحى الأخلاقية والاجتماعية التى أوجبت هذه التشريعات • وفى هذا البحث نركز على الأسباب الطبية والجنسية التى تحتم اباحة الطلاق أو التعدد كحل صحى لكثير من المشاكل التى قد تنشأ فى الحياة الزوجية •

أولا ــ اختلاف الطبيعة الجنسية للرجل والمرأة :

فالمعروف أن الرغبة الجنسية والقدرة عليها تختلف من انسان الى آخر اختلافا بينا ، ويتوقف هذا الاختلاف على كمية الهرمونات التى تفرزها الغدد الجنسية • فمن الناس من يحب المعاشرة الجنسية مرة أو مرتين فى اليوم الواحد واذا حرم من هذه الرغبة أصيب بالضغط العصبى والشعور بالحرمان •

ومن الناس من لا يستطيع بطبيعته المعاشرة الجنسية أكثر من مرة أو مرتين فى الشهر كله •

ومن الجنسين أيضا من يستجيب جهازه العصبى
منذ اللحظات الأولى للمباشرة ومنهم من لا يستجيب الا بعد فترة تغييب طويلة ومنهم العاطفى الذى يحتاج بشدة الى العواطف والتقبيل

والتمهيد قبل المباشرة ومنهم البهيمي الذى لا يحس بالعاطفة أو يرغب فيها حتى أثناء المباشرة ٠

ولسنا نقول هنا ان هذه الأسباب والتناقضات فى طبيعة أى من الزوجين تبرر الطلاق أو تبرر تعدد الزوجات ٠ فكثيرا ما نعالج بعض هذه الحالات بالتثقيف الجنسى حتى يتلاءم كل من الزوجين مع طبيعـة الآخر ٠ وقد تعالج بالأدوية المهدئة أو المنبهة اذا لم تكن الحالة مزمنة أو مستعصية ولكن هناك بعض الحالات تفشل فيها كل هذه العلاجات ويصبح من المحال على أحد الزوجين الاستمرار على هذا الوضع بل يصبح اجباره على الاستمرار فيه ضد طبيعته باعثا له على الانحراف والزنا أو يحدث له اضطرابات عصبية وعقد عصبية وكثيرا ما تعرض على الأطباء حالات متناقضة وشديدة التباين ٠ زوجة شديدة الشبق والشهوة ، وزوج ضعيف الانتصاب أو سريع الانزال أو زوج شديد الشهوة ، وزوجة شديدة البرود وكثير من هـذه الزيجات المتناقضة تستطيع التوفيق والتوائم سـواء بالأدوية والعلاج أو بتقديم بعض التنازلات ٠

ولكن يجب أن نعرف أن الكثير منها ينتهى بأحد أمرين : اما الطلاق أو الانحراف والزنا ٠

ثانيا ـ العقم فى المرأة أو الرجل :

والعقم الذى نتحدث عنه هنا ليس العقم المؤقت أو العقم الذى يمكن علاجه بالأدوية أو العمليات الجراحية أو بأى وسيلة طبية ٠ ولكن هناك حالات يعجز الطب والعلم أمامها ٠ واغلب حالات العقم (٧٠ ٪) تكون فى النساء فى حين انها فى الرجال (٣٠ ٪) فقط ٠ وفى هذه الحالات يصبح الخيار أمام الزوجين ان شاءا أن يعيشا بغير أطفال عن رضى ، وان شاءا أن يتزوج الرجل بامرأة

ثانية (اذا كان العقم من الزوجة فقط) لتنجب له الأطفال • وكثيرا ما يتم ذلك عن تراض ووفاق بين الزوجين ودون أن يكون سببا في المشاكل والضغائن بل غالبا ما يكون باختيار الزوجة نفسها وتشجيعها • وهذا بلا شك حل انسانى ومنطقى لمشكلة لا مفر من مواجهتها بأسلوب واقعى ، أما اذا كان العقم من الزوج فان طلاق الزوجة عن تراض ووفاق (اذا أرادت) وزواجها من آخر قد يكون حلا مرضيا •

ثالثا ـ حالات المرض المزمن :

الذى يعوق أحد الزوجين عن أداء وظيفته الزوجية ومن هذا الارتخاء الجنسى المزمن عند الرجل وقد ينشأ الارتخاء عن اصابة أو مرض فى العمود الفقرى وقد ينشأ عن تلف أو مرض فى الغدة النخامية وقد يحدث فى مرض السكر المتقدم والالتهابات المزمنة فى الجهاز التناسلى كالسيلان والسل والزهرى المتقدم وبعض الأورام الخبيثة والأمراض التى تصيب الأعصاب ، ومن هذه الأمراض المزمنة أيضا الجنون والسل الذى لا يشفى والجذام والشلل والسرطان • وجميع الأديان متفقة على أن الارتخاء الجنسى يبيح الطلاق ولكن الاسلام هو الوحيد الذى يبيح الطلاق للأمراض الأخرى كالجنون والجذام والبرص وبديهى أن هذه الحالات تسرى على الرجل كما تسرى على المرأة •

ولسنا نقصد من هذه الأمثلة ان أى الزوجين اذا أصابه مرض ميئوس منه بعد زواجه كان معنى ذلك أن يتخلى عنه شريك حياته ويتركه بغير رعاية ولكن الله قد شرع تعدد الزوجات لمثل هذه الحالات بحيث تبقى الزوجة المريضة فى كنف زوجها يرعاها • وفى نفس الوقت لا تحرم الزوج الحياة الطبيعية كأى انسان سليم • فهذا خير من أن نترك المشكلة بدون حل •

وهنا قد يقول قائل : ماذا يكون الحل الاسلامي اذا أصاب المرض الزوج وكانت الزوجة شابة سليمة ، وكثيرا ما يتساءل بعض الاوروبيين لماذا لا تكون هناك مساواة فتعطى المرأة نفس الحق الذى تعطيه للرجل أى تعطيها الحق فى تعدد الأزواج ونرد على ذلك فنقول : ان تعدد الأزواج ما هو الا زنا والزنا قد حرمته جميع الشرائع وليس الاسلام وحده ، ولكن الشرع قد أباح للزوجة فى هذه الأحوال أن تطلب الطلاق اذا أرادت لكى تبدأ حياة زوجيه جديدة • كما أحل لها أن تصبر على حظها فى الدنيا اذا أرادت • ولكنه لا يحل لها بأى حال من الأحوال الانحراف أو الزنا كحل ثالث كما هو متبع فى المجتمعات الأوروبية •

ثالثا ـ الأمراض الموروثة فى الدم :

وهى الأمراض التى ينقلها أحد الزوجين الى أولادهما ، فهذه حالات يكون كل من الزوجين سليما وخاليا من الأمراض ولكنه يحمل فى نطفته أحد العوامل الوراثية التى تنتقل الى أبنائه فتقتلهم وهم أجنة فى الرحم أو اذا ولدوا ظهرت عليهم هذه العاهة المستديمة مدى حياتهم وقد تقتلهم • وبعض هذه الأمراض الوراثية لا تظهر فى الطفل الا اذا كان الخلل موجودا فى نطفة الأب وبويضة الأم كليهما معا • واذا ما تزوج كل منهما شخصا آخر بعيدا عن الأسرة أمكن أن ينجب أطفالا أصحاء وهذه الظاهرة العلمية هى ما يسمى بالصفات الوراثية المتنحية •

ونستعرض هنا بعض الأمراض الوراثية على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) مرض أنيميا البحر المتوسط Thalassemia وفى هذا المرض يكون الأب والأم سليمين ولكن جميع أطفالهما يصابون بتكسر سريع فى كرات الدم الحمراء مما يسبب لهم فقر دم شديد

بحيث يحتاجون الى عملية نقل دم كامل على فترات منتظمة مدى الحياة وهو مرض خطير وقاتل فى كثير من الأحيان ·

(ب) **مرض نزيف الدم الوراثى** Hemophillia **وفى هذا المرض** فان جميع الأطفال الذكور المولودين يصابون بحالة نزيف دم لأقل جرح يصابون به ، وغالبا يستمر هذا النزيف دون توقف حتى الوفاة ، واذا عاش الطفل فان حياته تظل مهددة عند أقل خدش وهذا المرض الوراثى ينتقل فى النساء فقط ولكنه يصيب أطفالهم الذكور دون الاناث · وهو قاتل ولا علاج له ·

(ج) **مرض روسوس** RH وهو المسمى بمرض تكسر الدم الوراثى وينتج هذا المرض اذا كان دم الأم سلبيا لعامل روسوس وكان الزوج ايجابيا · ففى هذه الحالة ينتج دم الأم مواد مضادة لدم الجنين بحيث يتكسر دمه وهو فى الرحم ويموت · واذا نجا الطفل وولد فانه يصاب بتكسر دمه بعد الولادة وبعض هؤلاء الأطفال يحتاج الى عملية نقل دم كاملة مرة كل شهر على الأقل · وقد أصبح بالامكان فى العصر الحاضر تجنب أضرار هذا المرض بنوع من التطعيم للأم بعد الولادة مباشرة ·

(د) وهناك مجموعة كبيرة من الأمراض التى ثبت انتقالها بالوراثة أيضا مثل مرض السكر وارتفاع الضغط وتصلب الشرايين وبعض الأمراض النفسية والعصبية كالصرع والجنون ففى هذه الحالات قد يرث الطفل الاستعداد للمرض من أبويه أو من أخواله أو أعمامه وقد تصل اليه العاهة من أجداده ·

١٢ ـ الاسلام وتحديد النسل

حـديث شريف

« اعوذ بالله من جهد البلاء .. كثرة العيال مع قلة الشيء »

(رواه النسائي)

الاسلام وتحديد النسل

قضية تحديد النسل هى احدى المشاكل الاجتماعية التى برزت فى عصر الحضارة الحديثة مع زيادة التعداد وتغير أساليب التربية وتكاليف الحياة وأعبائها • ففى المجتمع الزراعى أو البدوى القديم حيث كان الناس يعيشون على الفطرة كانت زيادة النسل معناها يد « جديدة » تعمل فى الحقل أو فى رعى الغنم • ومعناها زيادة فى الخير وفى دخل الأسرة دون زيادة فى المسئوليات والواجبات • وكان معدل الأسرة فى تلك العصور بين ستة الى عشرة أطفال •

اما فى عصرنا الحاضر • عصر التوتر الحضارى والعمل الذهنى • والدراسات الطويلة المعقدة ، فان الطفل يظل عالة على أهله منذ مولده حتى تخرجه من الجامعة ، ثم مقدرته على العمل وكسب عيشه ، وهو بحاجة دائمة الى رعاية خاصة ومكثفة من أبويه •

ولا تقتصر رعاية النشء فى عصرنا الحاضر على الانفاق المادى وحده ، بحيث يقال ان الأغنياء معفون من مشكلة تحديد النسل ولكن الطفل المعاصر فى هذا المجتمع المعقد المتطور يحتاج الى رعاية نفسية ومعنوية وأخلاقية وتربوية الى جانب الرعاية المادية •

ومع ذلك ، فمن الحقائق المعروفة أن الطبقة الفقيرة والقليلة الحظ من العلم هى أكثر طبقات المجتمع نسلا ، وأن الأغنياء والمتعلمين أقل انجابا •

ولعل السبب في ذلك تلك الفكرة الساذجة المنتشرة بين عوام النساء بأن أفضل وسيلة لاحتفاظ المرأة بزوجها أن (تلخمه بكثرة الأولاد) وهى تظن أن هذا سوف يزيده ارتباطا بها أو يزيده فقرا فلا يفكر فى زواج جديد ، والواقع أن العكس هو الذى يحدث ، فكلما ترهلت المرأة وتشوه جسمها من كثرة الحمل ازداد اتجاه الرجل الى التفكير فى الزواج بامرأة أصغر سنا وأفضل صحة ولياقة بدنية واذا عجز ماليا عن اعالة زوجتين فى وقت واحد فقد يطلق زوجته الأولى ويتركها هى وأولادها تحت رحمة الأقدار ٠

وقد أثبتت الأبحاث الاجتماعية الحديثة أن الكثير من الأطفال والشباب المنحرفين والذين يرتكبون أبشع الجرائم الأخلاقية هم ضحية الحرمان من اهتمام الأبوين وعطفهم وتربيتهم منذ الصغر ٠ وأن احد الأسباب الرئيسية فى ذلك هو كثرة الأطفال ومن هنا يرى الأخصائيون الاجتماعيون أن المعدل المعقول للأطفال فى الأسرة الحديثة من اثنين الى أربعة ٠

الاسلام وتنظيم النسل :

والاسلام الذى اهتم بكل قضايا الأسرة المسلمة قد جاء بالتشريعات التى تصلح لكل زمان ومكان ، ولكل بيئة ومجتمع ، وهذا هو رأى الدين فى قضية تحديد النسل : لقد حبب الاسلام فى النسل وبارك الأولاد ذكورا واناثا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تزاوجوا تناسلوا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » وجاءه رجل يسأله فى تزوج امرأة لا تنجب الأطفال فقال له الرسول « تزوجوا الودود الولود » اى أن الزوجة المنجبة خير من العقيم ٠ (رواه بن ماجة) ٠

ويقول أيضا : « لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فانى مكاثر بكم الأمم » (رواه الطبرانى) ٠ ولكن هذه الأحاديث تتعلق بالتشجيع

على النسل عامة ولا تتعلق بعددهم ولا بكثرتهم وهى لا تتعارض مع تحديد النسل بعدد معين ·

فقضية تحديد النسل قد حسمها الاسلام منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث سمح بالعزل (والعزل) معناه العلمى منع نطفة الرجل من الوصول الى بويضة الأنثى لاخصابها ، وهذا أمر قد سمح به الاسـلام وأجازه فقهاء الشرع لأنه لا يدخل فيه قتل ولا وأد ولا اضرار بروح ·

وقد كان الصحابة يلجأون الى العزل والقرآن ينزل فلا يمنعهم· وقد جاء فى الصحيحين عن جابر « كنا نعزل على عهد رسول الله فبلغه ذلك فلم ينهنا عنه » وفى صحيح مسلم « كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل » ·

ـ وكانت طريقة العزل الوحيدة المعروفة فى ذلك العصر أن ينزل الرجل ماءه خارج الرحم وهى طريقة غير مضمونة ولا أكيدة فى منع الحمل اذ قد تفلت من الرجل قطرة تؤدى الى الحمل خطأ · وقد جاء فى (أصحاب السنن) فى هذا المجال أن رجلا أتى الرسول وقال : « يا رسول الله ·· ان لى جارية وأنا أعزل عنها ، وأنى أكره أن تحمل وأنا أريد ما يريد الرجل ·· وان اليهود تحدث أن العزل هو الموءودة الصغرى » فقال صلى الله عليه وسلم : « كذبت اليهود، لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه » ومغزى هذا الحديث أن العزل لا يعتبر وأدا وأن الشرع يبيحه كوسيلة لتحديد النسل ، علما بأنه طريقة غير أكيدة ·

ومن أهم مبررات تحديد النسل فى الاسلام الخوف من كثرة الأطفال وعدم مقدرة الأم على رعايتهم · فقد جاء فى صحيح مسلم : أن رجلا قال للرسول صلى الله عليه وسلم : « يارسول الله انى أعزل عن امرأتى » فقال صلى الله عليه وسلم : « ولم تفعل ذلك ؟ »

قال « أشفق على أولادها » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لو كان ضارا لضر فارس والروم » ٠

ومن الأمور المكروهة في الاسلام أن تحمل المرأة أثناء فترة الرضاعة وقد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم (الغيلة) ومعناها اللغوى الهلاك والفساد لأنه يهلك صحة الطفل الرضيع بانقطاع حليب الأم وانشغالها عنه بالحمل الجديد ٠ وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « لا تقتلوا أولادكم سرا فان الغيل يدرك الفارس فيدعثره » ٠ (رواه أبو داود) ٠

ومعروف أن مدة الرضاعة فى الشرع حوالى (عامين كاملين) ٠ ومعنى ذلك أن الاسلام يحث على عدم الحمل قبل فوات عامين بعد الولادة السابقة ٠

وقد تحدث فقهاء المسلمين عن العزل وتحديد النسل فالامام الغزالى يبين لنا منذ عدة قرون مبررات العزل فى الاسلام فجعلها خمسة مبررات وجعل أولها الخوف على جمال المرأة أن يتشوه من كثرة الحمل والولادة ، فانظر الى أى مدى هذا التفتح والواقعية ٠

وسائل العزل فى العلم الحديث :

لقد توصل العلم الحديث الى عدة طرق فعالة للعزل ، فمن ذلك اللولب الذى يوضع داخل الرحم فى مكان تعلق البويضة بالجدار فيؤدى بطريقة ميكانيكية الى منع الحمل وهذه الطريقة الميكانيكية كانت أيضا معروفة على عهد الرسول حيث كانت القبائل تضع نواة أو حجرا صغيرا فى أرحام نوقها لمنعها من الحمل أثناء السفر الطويل ، هناك أيضا الحجاب الحاجز الذى يوضع على مدخل الرحم ٠

ولكن احدث الطرق وأسلمها هى حبوب منع الحمل التى وظيفتها الرئيسية منع تكون البويضة وهناك نوع جديد من هذه

الحبوب تزرع الحبة الواحدة منه تحت الجلد فتؤدى الى منع الحمل خمس سنوات متوالية ٠

وفى بعض الدول الفقيرة التى تضخمت فيها مشكلة التفجر السكانى مثل الهند والصين يلجئون الى اجراء عملية جراحية بسيطة للرجال وذلك بربط القنوات التى تمر بها نطفة الرجل ٠ وتحدث هذه العملية عقما مؤقتا للرجل ولكنها لا تؤثر على حياته الزوجية الطبيعية ٠

وفى تلك البلاد لا تحتاج العملية الى طبيب مختص ولا الى مستشفى معين ، بل يجريها حلاق الصحة فى دكانه بعد أن يدرب من قبل المختصين وهى لا تكلف كثيرا ، وقد يضطر الرجل الى هذه الوسيلة اذا كانت المرأة لا تحتمل صحيا وسائل منع الحمل الأخرى أو اذا كانت موارد الأسرة لا تسمح لشراء حبوب منع الحمل ٠ ويجب أن يفهم جيدا ان جميع هذه الوسائل تدخل فى باب العزل المباح شرعا ٠

المبررات الطبية لتحديد النسل :

بعد أن ذكرنا المبررات الاجتماعية والاقتصادية التى تدعو الى تحديد النسل فهناك مبررات طبية تحتم على كل أسرة مسلمة أخذ هذا الموضوع الخطير مأخذ الجد والاهتمام مهما أتيح لها من رخاء ويسر ، وهذه بعضها :

اولا ـ الخوف من تشوه النسل :

فقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن فترة الاخصاب السليم للمرأة هى بين سن العشرين والثلاثين ٠

وأن المرأة التى تنجب الأطفال وهى صغيرة جدا وأيضا التى تنجب وهى كبيرة السن يكون أطفالها عرضة للعيوب الخلقية

والوراثية ، أو عيوب في الشخصية والعقلية وقد لوحظت هذه الظاهرة في الأسر الكثيرة الانجاب حيث يكون (آخر العنقود) أقل من مستوى أخوته صحيا أو ذهنيا وقد يكون متخلفا عقليا ، ومن العاهات المنتشرة في هؤلاء الأطفال وجود ثقب في القلب أو انشقاق في الشفة والحلق أو عدم نزول الخصية ، وفي الدول المتقدمة اذا تزوجت المرأة بعد سن الخامسة والثلاثين لأى ظرف كان ، يوضع حملها تحت الملاحظة الطبية الدقيقة وتعمل لها فحوصات مستمرة خوفا من ظهور عاهة في الجنين ٠

ثانيا ـ تشوه جسم المرأة واصابتها بالأمراض :

فالحمل المتكرر يستهلك صحة الأم ويسبب ترهل جسمها ويعرضها للكثير من الأمراض مثل هبوط القلب والسكر والتهاب المرارة وتضخم الكبد والدوالي ، كما أنها حتما تصاب بالسمنة والترهل وسقوط الرحم أو انقلابه ، وكل هذه العوامل تؤدى بالتالي الى تأثير غير مباشر على صحة الجنين ٠

ثالثا ـ وهناك أمراض في الأم توجب تحديد النسل منذ البداية :

فمن ذلك اذا كانت مريضة بمرض مزمن مثل السكر ، أو مرض القلب مثل روماتزم القلب أو اضطراب النبض ، أو ارتفاع الضغط أو مرض السل ، فمثل هؤلاء النساء يحسن أن تكتفي بطفل أو اثنين على الأكثر ، ومن هذه الأسباب ضيق الحوض بحيث لا تلد الا بعملية القيصرية ٠

كما أن هناك حالات يكون الحمل فيها خطيرا على حياة الام مثل تسمم الحمل المتكرر الذى قد تكون نتيجته اما التضحية بحياة الأم أو حياة الجنين لانقاذ حياة الأم ٠

هل تحديد النسل فى صالح الاسلام والمسلمين :

لقد فشلت جميع محاولات تحديد النسل فى العالم الاسلامى رغم ما أنفق عليها من أموال باهظة لسبب رئيسى واحد : وهو اعتقاد الكثيرين من العوام ان تحديد النسل حرام !! وللأسف ان بعض الناس يصدر الفتاوى بغير علم ولا دراسة ·

وكثيرا ما نسمع فى أيامنا هذه من يقول أن الدعوة الى تحديد النسل هى دعوة مغرضة ودخيلة على المسلمين ، وأن الأعداء يصدرونها الينا لكى يقل نسل المسلمين ويتغلبوا علينا · وهذا كلام بدائى وساذج ويرفضه العقل والمنطق السليم ·

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه قائلا : « أعوذ بالله من جهد البلاء » قالوا : وما جهد البلاء يا رسول الله ·· قال : « كثرة العيال وقلة الشيء » (رواه النسائى) · وهذا ينطبق على أحوال كثير من الأسر المسلمة اليوم ·

وعندما ظهر الاسلام كان تعداد المسلمين قلة بين سكان العالم، ولكن كان الفرد منهم بألف من غيرهم من الشعوب والديانات وذلك بفضل ما توفر لهم من التربية المحمدية والتعاليم القرآنية · وبهذا وحده ، وليس بالكثرة والعدد سادوا الدنيا وهزموا أعتى جيوش العالم ووصلت فتوحهم من الصين حتى الأندلس ·

واليوم ، وقد أصبح تعداد المسلمين قرابة الألف مليون مسلم أى قرابة ربع سكان الكرة الأرضية ، ولكنهم فى حال من الضعف والتفكك بحيث أصبحت بلادهم محتلة وجيوشهم مقهورة وخيرات بلادهم منهوبة وأصبح ينطبق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها » قالوا : « أو من قلة فينا يومئذ يارسول الله ؟!! » قال :

« كلا بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » ٠ (رواه أبو داود وأحمد) ٠

وختاما نقول : ان القوة التى يتطلبها الاسلام لأبنائه لا تكون بالكم والعدد وانما بالكيف والنوعية ، وان الاسلام لا يريد لأبنائه أن يكونوا غثاء كغثاء السيل ٠ والشريعة الاسلامية اذ تتطلب الكثرة انما تطلبها قوية لا هزيلة ٠ وعندما تصبح الكثرة على حساب الجودة فان الجودة تصبح أصلح للمسلمين من الكثرة واذا قلنا أن كل اصلاح يبدأ بالأسرة أولا ، كان لنا أن نقول ان أحد واجبات الأسرة المسلمة فى العصر الحديث هو تحديد النسل بما أذن الله ورسوله به من وسائل لكى تتوفر للأبوين المسلمين الطاقة للعناية بأولادهم ولانجاب جيل جديد يربونه على نهج رسول الله وهدى القرآن ٠

جيل يكون الواحد فيه بألف من أعدائهم ٠٠

ولا يكون فيه الألف بواحد ٠٠

الاجهاض ورأى الشرع فيه

لقد نهى الاسلام عن قتل الأبناء فالله تعالى يقول :

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم » ويشمل هذا الأمر الجنين الحي في بطن أمه أو الطفل المولود الكامل الولادة. ولكن هناك أسبابا طبية وعلمية قاهرة قد تقتضي اسقاط الحمل في أي مرحلة من مراحله .

فمن ذلك أن تتعرض حياة الأم للخطر اذا ترك الحمل مستمرا كما في حالة تسمم الحمل ومنها اذا ثبت أن الجنين سوف يولد مشوها بعد تعرضه لمرض معد وهو في بطن أمه مثل الحصبة الألمانية أو الزهري الوراثي ، ففي هذه الأحوال وبناء على رأى الطبيب المختص فان الشريعة تأمر بارتكاب أخف الضررين والضرورات تبيح المحظورات ويؤذن للطبيب بانهاء الحمل بعد اقرار الوالدين .

متى تبعث الروح في الجنين :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك . ثم يكون مضغة مثل ذلك . ثم ينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد » (رواه البخاري ومسلم) .

فمعنى هذا الحديث الشريف أن الروح لا تدب في الجنين الا بعد الأربعين يوما الثالثة أي بعد ١٢٠ يوما (مائة وعشرين) أما قبل هذا التاريخ فلا يعتبر انسانا حيا ، وبناء على ذلك فقد أجاز

بعض فقهاء الاسلام اسقاط الجنين (للضرورة) اذا لم يكتمل مائة وعشرين يوما من الحمـــل . وهذا الرأى يتلاقى مع رأى الطب فالجنين لا يكتمل خلقه طبيا الا بعد تمام الشهر الثالث أى بعد تسعين يوما اما قبل هذا التاريخ فانه يكون نطفة فى دور التشكيل وتكون حياته حياة فسيولوجية فقط كأى خلية من خلايا الجسم ، أو مثل الحيوان المنوى الحى والبويضة الحيه .

وقد فصل الامام (*) على هذا الرأى بوضوح لا يجعل مجالا للشك .. ففى مجلس عمر تذاكر الحاضرون العزل .. فقال رجل : يزعمون أنه الموءودة الصغرى . فقال الامام على : لا تكون موءودة حتى تمر عليها الأطوار السبعة حتى تكون سلالة من طين . ثم تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تكسى لحمـــا ثم تكون خلقا آخر .. فقال عمر : صدقت أطال الله بقاءك .

(*) فقه السنة (باب الزواج) .

١٣ ـ الاسلام وطفل الأنابيب

الاسلام وطفل الانابيب

مع تقــدم العلم الحديث ·· والتطور المذهل الذى ادخله الانسان على الأجهزة والمختبرات العلمية ·· فقد أصبح طفل الأنابيب حقيقة شائعة · وسوف تلعب فى المستقبل القــريب دورا خطيرا وحاسما فى حياة الكثير من الأسر ·· وسوف يأتى وقت ليس ببعيد حين يسأل الطفل زميله فى المدرسة فى براءة : « هل أنت صناعى أم طبيعى ·· أو هل انت طفل انابيب ؟ » · وحتما سيكون بين كل مائة طفل فى المدارس عشرة أطفال من هذا النوع اذ دلت الاحصاءات على أن نسبة العقم ١٠ ٪ بين الأسر ··

ولما كانت هذه القضية ذات علاقة مباشرة وهامة جدا بالدين والشرع وذلك لارتباطها بالأبوة والبنـــوة ·· وعـلاقات الأسرة وتماسكها ·· وقواعد الزواج والأنساب والمواريث ·· فلابد أن يكون لنا نحن المسلمين رأى واضــح فى كل صغيرة وكبيرة منهـــا يكون مبنيا على مبــادىء الشريعة الاســـلامية ·· وتعاليم ديننا السمحاء ·

العقم فى الرجل والمرأة :

العقم أنواع عديدة ·· وليست كل حالة عقم تحتاج الى العلاج بطفل الانابيب ·· فقبل اكتشاف هذه الطريقة كانت نسبة كبيرة من حالات العقم تعالج بنجاح بوسائل طبية أو بعمليات جراحيـــة

بسيطة · ولكن العقم الذى نتحدث عنه هنا هو الذى تفشل فيه جميع الطرق العلاجية الأخرى .ليس له حل سوى طفل الأنابيب·· ويمثـل العقم فى الرجال ٤٠ ٪ من أسـباب العقم كما يمثـل فى النساء ٦٠٪ ·

وأسبابه فى الرجال وجود علة فى نطفة الرجل · فقد تكون الحيوانات المنوية معدومة وغير موجودة وهو أمر نادر جدا ·· وقد تكون هناك نسبة كبيرة من هذه الحيوانات ميتة أو مشوهة ·· فاذا زادت هذه النسبة عن ٤٠ ٪ كان احتمال العقم واردا ·· وهـذه الحالات أمكن التغلب عليها حديثا بواسطة طفل الأنابيب ·· اذ يؤخذ منى الرجل وتفصل عنه الحيوانات السليمة وتوضـع فى الأنبوب على بويضة الزوجة لضمان حدوث التلقيح · فاذا تكون الجنين يمكن نقله الى رحم الأم مباشرة ·

اما العقم فى المرأة فاهم أسبابه أحد أمرين : اما وجـود انسداد فى قناة المهبل · مما يمنع البويضة من النزول للاخصاب · واما لعلة أو ضعف فى الرحم نفسـه بحيث لا يتمكن الجنين من التعلق بجداره لكى يتغذى وينمو ·

كيف يصنع طفل الأنابيب :

تؤخذ بويضة الأم عند تكوينها بواسطة حقنة تدخل من جدار البطن مباشرة الى قناة المهبل · فتشفط البويضة من خلال الحقنة ثم توضع فى أنبوب (حضانة) ويطلب من الزوج اعداد عينة من السائل المنوى التى توضع على البويضة مبـاشرة · ويمكن مراقبة التحام الحيوان المنوى بالبويضة ثم انقسام الجنين الى خلايا متعددة تحت الميكروسكوب وبعد ٤٨ ساعة يمكن نقل هذا الجنين الى الرحم مباشرة وزرعه داخله ·

وهذه هي المرحلة الحساسة جـــدا والتي تحتـــاج الى الدقة والمهارة ٠

الرحم الظئر : اذا وجـــدنا بالتجربة أن رحم الأم لا يقبل تعلق الجنين به ونموه بداخله فقد تغلب العلم الحديث على هذه بأن يزرع الجنين في رحم امرأة أخرى تتبرع لحمل هذا الجنين (سواء بأجر أو بغـــير أجر) ويظل الجنـــين في رحمهـــا طوال مدة الحمل الطبيعية وتحدث لها جميع أعراض الحمل من وهم وادرار الحليب وكبر الثديين وخلافه ٠٠ وفي الموعد المحدد تلد ولادة طبيعية ٠ وقد اصطلح على تسمية هذه الحالة بالرحم الظئر ٠٠

حكم الاسلام في طفل الأنابيب :

ــ بديهي أن تكوين الجنين من نطفة الأب الشرعي وبويضة الأم الشرعية أمر مقبول شرعا باجمـــاع آراء المشرعين والعـــلماء المختصين المسلمين ٠٠ وهذه قضية مسلم بها ولا جدال حولها ٠٠

ــ وفي نفس الوقت فان تكوين الجنين من نطفة أب آخر أو بويضة أم أخرى أمر مرفوض شرعا ٠ وقد ظهرت في أوروبا الآن بنوك تحتفظ بأنواع من النطف والبويضات لعمل أجنة تحت الطلب نظير أجر معين ٠٠ وقد عارضتها الكنيســـــة واعتبرت الابن غير شرعي ٠

ــ ولكن القضـــية التي يدور حولها الخـــــلاف بين المشرعين والأطباء هي الرحم الظئر ٠٠ فقد أفتى بعضهم أن الجنين حتى يكون شرعيا لابد أن يخرج من رحم أمه وليس من رحم امرأة أخرى ٠ وحجتهم في ذلك قوله تعالى : « ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم » ٠

ويقول أصحاب هذا الرأي ان الجنين ســـوف يتغذى من دم امرأة أخرى ٠٠ وسوف ينمو ويتكون جسمه من عصارات جسمها ٠

وهذا الرأى فى نظرى خطأ ··

وأول هــذا الخطأ أن استعمال الآية القرآنية جـاء فى غير موضعه ·· فالقصــد منهــا هو منع انتساب أحـد الى غير أبويه الشرعيين ·· ومنع اختلاط الأنساب فى حين أننا فى هذه الحالة نعرف عن يقين نطفة الأب وبويضة الأم الأصليين فلا اختلاط فى الأنســاب ·

واذا كان الجنين قد زرع فى رحم امرأة أخرى غير أمه فان دور الرحم الظئر هنا هو نفس دور الحاضنة التى تغذى الطفل من لبنها أو دور الأنبوبة التى ينمو الطفل فيها ويعيش فترة هامة من حياته ويتغذى تغذية صناعية ·

والرحم الظئر ليس حالة نادرة فى قضية طفل الأنابيب بل ان نصف حالات العقم التى ذكرناها ليس لها ســوى هــذا الحل فكيف نحرم هذه الأسر من هذه النعمة التى تقدمها الحضارة للانسان ولا تتعارض مع نص شرعى ··

ان الفتوى بالتحريم والاباحة أمر خطير جدا ولا يجب أن تلقى الفتاوى بغير علم ولا دراسة ·· ويجب أن يكون الرأى الاول فى مثل هذه الأمور لرجل العلم المختص المسلم حتى لا نضيق على الناس فى حياتهم وييأسوا من دينهم ·· وتضطرهم حاجة الحيــاة العصرية وضروراتها الملحة الى اعتبار الدين بعيدا عن الواقع ·· فيتركون دينهم لأهله ويصبح هذا الدين مهجورا ··

زرع المبايض آخر صيحة فى علاج العقم :

بعد التطور الهائل فى ميدان الجراحة المجهرية ·· وبعد ما توصل اليه الانسان من زرع أعضاء كاملة من انسان متبرع أو من انسان حديث الوفاة الى انسان آخر فنقلوا القلب والرئة والكبــد ··

وبعد أن قطع طفل الأنابيب شوطا كبيرا من النجاح ٠٠ بعد هذا كله ظهرت آخر صيحة فى علاج العقم وهى زرع المبيض وأنبوب فالوب حيث نجحت أول عملية من نوعها سنة ١٩٨٥ فى مستشفى سانت لوك بأمريكا على يد الجراح المجهرى الدكتور شيرمان سيلبر٠ ومن المنتظر أن تعمم هـذه العملية بعـد نجاحها وتأخذ مكان طفل الأنابيب فى علاج الكثير من أسباب العقم ٠٠

والنقطة الحساسة فى هذه القضية هى كيف ننظر الى هذه القضية ٠٠

لقـد قبل المشرعون عملية نقل القلب والرئة وأى عضـو فى الجسم للضرورة وانقاذا للحياة ٠ ولكن نقل المبيض قضية أخرى٠٠ لأن البويضة التى تنشأ لن تكون بويضة الأم الأصلية ٠٠ والجنين الذى ينشـأ فى رحمها سيكون جنين المرأة المعطيـة صاحبة المبيض وليس جنينها ٠٠ فاذا زرعنا مبيض امرأة شقراء فى امرأة سـوداء مصابة بالعقم فان الجنين سيكون أشقر مثل أمه ٠٠

فما هو حكم الشرع فى هذه الحالة ٠٠ أعتقد أننا يجب أن نتريث طويلا قبل أن نصدر حكما فى هذه القضية أيضا ٠

سابعا ..

الاسلام وتنظيم مهنة الطب العلاجى

اولا : الاسلام اول دين سماوى يحرر العلم والطب من نفوذ رجال الدين وينفى عنهم الحق المقدس فى علاج المرض بالطقوس والصلاة .. وهو أول دين يعترف بالعلم والطب والدواء ..

وقد تبدو لنا هذه مسالة بسيطة فى عصرنا الحاضر . ولكن لو درسنا ظروفها الحقيقية والتاريخية لعلمنا انها من أعظم فضائل الاسلام على الطب الحديث .. فقد كانت الأديان السابقة للاسلام لا تعترف بالطب والدواء .. وتجعل العلاج فى أيدى رجال الدين وحدهم ولا يسمح لأحد غيرهم بممارسة العلاج .. وكانت النظرية السائدة أن صلاة الايمان لها تأثير مادى على جسم المريض فتطرد من جسمه شيطان المرض .. وأن الله قد أعطى رجال الدين المقدرة على الشفاء .

وقد جاء فى انجيل متى ١٠ : وفى لوقا ٢٠ : ٩

يقول بولس : « ومن مزيته التى لا يفاضله فيها نبى ولا رسول انه أفضى بالقدرة على اتيان المعجزات والشفاء الى تلاميذه ثم جدد منحها لهم بعد قيامه من الموت وصعوده الى السماء وأورث كنيسته تلك القدرة أيضا » .

وجاء في رسالة جيمس اصحاح ٥ رقم ١٤ :

ــ « أيوجد بينكم شخص مريض ؟ فليدع اذن شيوخ الكنيسة وليصلوا عليه وليدهنوه بالزيت باسم الرب » ·

وفي رقم ١٥ :

ــ ثم ان صلاة الايمان سوف تبرىء المريض ولسوف يرفعه الرب الى أعلا واذا كان ارتكب أوزارا فسوف تغفر له ·

لقد كتب الكثير عن فترة الحكم الثيوقراطى فى أوروبا فى العصور الوسطى وما قبلها وذكر كتاب « تاريخ الطب » ان العلاج كان فى أيدى رجال الدين وحدهم ولا يسمح لأحد غيرهم بممارسة علاج المرضى والا اتهموا بالدجل والشعوذة والسحر وكانت الكنيسة تأمر بحرق الأطباء والعلماء أحياء أو وضعهم على الخوازيق حتى الموت · وفى نفس الوقت فقد كان العلاج الوحيد الذى يقدمونه للمريض يتلخص فى ثلاثة أمور هى :

اضاءة الشموع حوله لطرد شيطان المرض واقامة صلاة الغفران حتى يتخلص من ذنوبه ودهن جسده بالزيت ·

وذلك لأن الاعتقاد السائد عن المرض هو ان المريض قد ارتكب ذنبا فدخله شيطان المرض وأنه اذا قوى ايمانه وتاب عن ذنوبه خرج الشيطان من جسده ·

ومن العجيب حقا أن هذه التقاليد والعقائد قد ظلت سائدة فى أوروبا حتى عهد قريب جدا أى فى القرن التاسع عشر · وفى هذا يقول الفيلسوف البريطانى برنارد شو فى كتابه « حيرة الأطباء » The Doctor's Dilemma « وأبنـــاء الطـائفة الانجيلية المسيحية يطيعون هذه التعاليم طاعة عمياء ، فكانوا يستغنون عن الأطبـــاء ويوكلون العلاج الى العناية الالهية لأنهم يأخذون الكتاب المقدس

ماخذ جد تام · ولم يمكن التخلص من هذا الاعتقاد الذى كان سائدا فى المسيحية فى بريطانيا حتى القرن التاسع عشر الا بسن قانون يقضى بحبس الأب الذى يموت ولده دون أن يعرضــــه على الطبيب بالحبس مدة ستة أشهر » ·

وتذكر الدكتورة سيجريد هونكة فى كتاب « فضل العرب على العالم » : « كانت العناية بالصحة والمرض فى العصور الوسطى منوطة برجال الكنيسة والأديرة · فكان الرجال المثخنون بالجراح المدماة يضــــطرون الى الانتظــار طويلا استعدادا للتقرب من سر الاعتراف وللاقرار بخطاياهم وذنوبهم جميعا وتناول الخبز الذى يسمونه جسد الرب قبل أن ينالوا اسعافا أوليا ويكتنفهم مأوى أو ملجأ ، وكان الكهنة يمرون على المرضى يرشونهم جميعا بالماء المقدس ويصلون عليهم ·· ويأمرونهم بتصفية أمورهم الدينية والدنيوية بالاعتراف بآثامهم التى أدت الى مرضهم فاذا شفى أى من هؤلاء (لأى سبب كان) جاء الى الكاهن الذى يقول له : (ها ·· انك قد عوفيت فلا تخطىء مرة أخرى لئلا يصيبك ما هو أعظم) ·

ثم جاء الاســـلام بمفاهيم جديدة للمرض والعـــلاج والطب والدواء ··

١ ــ فاعتبر أن المرض من قضاء الله وقدره يصيب المؤمن كما يصيب الكافر ولكن المؤمن له على الصبر على البلاء وتحمله ثواب وحسنة عند الله ·

٢ ــ ونفى أن يكون للايمان والصلاة تأثير مادى وأساسى مع عدم انكاره أثرهما فى رفع معنويات المريض ·

٣ ــ ونفى عن رجال الدين بل عن الرسول نفسه المقدرة على الشفاء ·

٤ ــ وحث على احترام الطب والعلم والأطباء والاستعانة بهم وبكل دواء جيد ومتطور فى الشفاء ·

٥ ـ وأعلن أن محاولة الوقاية من المرض لا تعتبر هربا من قدر الله بل ان الشفاء بأى وسيلة هى من قدر الله ٠

وعندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأقام دولته ابتدأ المرضى يطلبونه لزيارتهم حتى يتباركوا به ويشفيهم بدعائه ولكنهم فوجئوا بالرسول بعد أن دعا لهم يقول لأهل المريض: استدعوا له الطبيب ٠

فقالوا متعجبين : وأنت تقول يا رسول الله ؟!

فقال : نعم تداووا عباد الله فان الله لم ينزل داء الا أنزل له دواء الا داء واحدا ٠

قالوا : ما هو قال الهرم (أى كبر السن) ٠ (رواه البخارى) ٠

وجاء جماعة من الصحابة يسألون الرسول : يارسول الله هل فى دواء نتعاطاه وقاية نتخذها هل تمنع هذه من قدر الله فقال صلى الله عليه وسلم : بل هى من قدر الله ٠ (الترمذي وابن ماجة وأحمد والحاكم) ٠

من هنا نرى ان الاسلام كان أول دين سماوى يحرر الطب والعلم من سيطرة السلطة الدينية ويكسر عنه قيود التقاليد والخرافات والأفكار التى تعوق البحث العلمى وتقيده ٠٠ وهو أول دين يحفظ للأطباء مكانهم من الاحترام والتقدير ٠

ثانيا ـ الاسلام اول من نظم مهنة الطب العلاجى وشرع للرخص الطبية :

رأينا كيف حرر الاسلام مهنة الطب العلاجى من نفوذ رجال الدين ووضح العلاقة بين رجل العلم ورجل الدين فجعل لكل منهما مكانه واختصاصه ٠٠ والآن لننظر كيف نظم الاسلام مهنة الطب العلاجى :

١ ـ فقد أمر الاسلام أنه لا يزاول مهنة الطب الا من كان له علم بها ودراية وأمر بعقوبة أى نصاب أو محتال يمتهن الطب دون شهادة واعتباره مسئولا عن أى ضرر يصيب المريض نتيجة للعلاج الخطأ وفي ذلك يقول رسول الله : « من تطبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن » (أخرجه أبو دواد والنسائى) . فهذا الحديث نص صريح ع لما يمكن أن نسميه في عصرنا بالاجازة الطبية فمعناه أن من يعالج الناس (ولم يعلم منه طب قبل ذلك) فهو مسئول عن نتيجة عمله أمام القانون .

وبفضل هـذا التشريع كان المسلمون أول من سـن قانون الرخص الطبية فى التاريخ .

٢ ـ وهذا الحديث النبوى يشتمل ايضا على قاعدة أخرى لا تقل خطرا عن القاعدة الأولى وهي (مسئولية الخطأ المهنى) .

فالقوانين فى عصرنا الحديث تحمى الطبيب المختص من مسئولية الخطأ المهنى طالما لم يكن هناك عنصر الاهمال أو سوء القصد . وهذا هو ما يقرره نص الحديث . اذ يحدد الرسول المسئولية على من لم يعلم من الطب قبل ذلك أى من ليست لديه شهادة طبية .

٣ ـ ومن اهم القواعد العلمية الخطيرة التى يقررها الاسلام : أنه لا يأس أبدا من شفاء المريض .. وأنه لا يوجد فى الدنيا كلها مرض ميئوس من علاجه .. واذا كانت هنـاك أمراض لم يستطع العلم علاجها حتى اليوم فذلك راجع الى قصور فى علمنا وأن علينا أن نجتهد ونبحث حتى نجد لها دواء شافيا .. وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم ينزل داء الا أنزل له دواء .. فاذا أصاب دواء الداء برأ باذن الله » . (البخـــارى) .

٤ ـ والاسلام يشجع التخصص فى مهنة الطب حتى يتقن كل طبيب فرع تخصصه فقد كان رســول الله اذا رأى أكثر من

طبيب يزورون مريضا يسألهم : « أيكم أطب بهذا » أى أيكم أكثر تخصصا وعلما بهذا النوع من المرض وكان اذا علم أن أحدهم أكثر دراية بالمرض قدمه على الآخرين ٠

٥ ــ ومن القواعد العلمية التى يتعلمها الأطباء ألا يبدءوا فى علاج المريض قبل التحقق من تشخيص المرض ومعرفة أسبابه لأن العلاج فى هذه الحالات هو مجرد ازالة الأسباب ٠ وقد نص الاسلام على هذه القاعدة أيضا ٠ جاء الشمردل طبيب بنى نجران الى رسول الله وقال له :

« بأبى أنت وأمى ، يا رسول الله ٠٠ انى كنت الطبيب والكاهن لقومى فى الجاهلية فما يحل لى » فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تداو أحدا حتى تعرف داءه » ٠

ثالثا ــ الاسلام لم يتعرض لتفاصيل العلاج :

الطب العلاجى هو فن تشخيص المرض وتقرير العلاج اللازم له سواء كان ذلك بالأدوية أى الطب الباطنى أو بالعملية أى الجراحة ٠

ورغم أن الاسلام كما رأينا قد وضع قواعد عريضة ووافية فى مجال الطب الوقائى فهو لم يتحدث عن العلاج ولم يأت فى القرآن أى نصيحة بتناول دواء معين لأى مرض معروف ٠٠ فالاسلام لم ينزل لعلاج المرضى ٠ والقرآن ليس كتاب طب أو صيدلة وليست هذه مهمة الأديان ٠٠ والملاحظ للأسف الشديد أن الكثير من كتاب المسلمين بدافع الحماس للاسلام وللرسول يحاول نسبة كل شيء اليه ولو كان شيئا لم يقره الرسول لنفسه كالمقدرة على شفاء المرضى أو حتى وصف الدواء لهم ٠٠ ومن الحقائق المقررة أن لكل رسول معجزته الخاصة فكما كان للمسيح عليه السلام معجزة احياء الموتى وشفاء المرضى فان معجزة محمد رسول الله عليه السلام هى المعجزة التشريعية التى ما زالت خالدة حتى يومنا هذا ٠

وقد حث الاسلام على احترام الطب والأطباء ٠٠ وعلى البحث عن الطبيب الفاهم واتباع تعاليمه والحرص على دوائه ٠

وكثيرا ما كان يسأل الرسول : « هل في الطب خير يا رسول الله » فيقول : « نعم أنزل الدواء الذى أنزل الداء » ٠

وكان رسول الله نفسه لا يداوى نفسه اذا مرض بل كان يستدعى الأطباء لعلاجه وفى هذا تقول السيدة عائشة : « ان رسول الله كان يسقم لله آخر عمره فكانت تفد عليه أطباء العرب والعجم فتنعت له الانعات وكنت أعالجه بها » (رواه عروة) من هذه الحقائق نرى أن الاسلام قد وضع جميع التشريعات الوافية لتنظيم مهنة الطب واهتم بالجانب الوقائى ووضع له دستورا كاملا لأن الطب الوقائى يتناول صحة المجتمع والجماهير العريضة فهو يدخل فى رسالة الأديان باعتبار أن صحة الأديان من صحة الأبدان ٠٠ أما الطب العلاجى فقد اكتفى الاسلام بتنظيمه وتحريره من القيود التى كانت تعوق البحث الطبى ٠٠ أما العلاج بالوصفات الطبية أو العمليات الجراحية فليست من عمل الدين ولا رسالته ٠

والواقع أن الاسلام قد أدى بهذا للطب الحديث أعظم خدمة ٠ فالطب العلاجى يتغير دائما باكتشاف الأدوية الجديدة والأجهزة العلمية وما كان الله ورسوله ليرضى أن يقيد أمة الاسلام والانسانية كلها بعلاج معين يلتزمون به فى كل العصور فلا يتطورون ولا يجتهدون فى الدراسة والبحث ولا يستفيدون من الاختراعات الحديثة ٠٠ أما الطب الوقائى فانه حقائق ثابتة وقواعد دائمة تصلح لكل زمان ومكان ومن هنا كان اهتمام الاسلام بها ٠

والآن قد يقول قائل ان الرسول قد وصف بعض الأدوية للمرضى مثل العسل والحجامة والحمية وهذه قد تعتبر من أبواب العلاج ٠ والواقع أن الرسول فى هذه الأمور كان يعبر عن لغة

عصره فهـو لم يأت فى هذا بشيء جـديد بل كان يعبر عن أدوية معروفة وموجودة واقتصر على النهى عن ما يضر الناس منها مثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« الشفاء فى ثلاثة شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهى أمتى عن الكى » وينصح الرسول بعدم الحجامة لضعاف الجسم وكبار السن لأن ذلك يزيدهم ضعفا فيقول صلى الله عليه وسلم : (اذا بلغ الرجل من أمتى الخمسين فليكل الحجامه) أى فليتركها كما أوصى بعدم التوسع فى الكى وعدم استعماله الا للضرورة القصوى اذ يقول « آخر الدواء الكى » ويقول « ولا أحب أن أكوى » ومعروف أن الحجامة والكى كانا العلاجين الرئيسيين المعروفين للانسانية على مدى ألف عام وحتى عهد قريب لعدد كبير من الأمراض .

ومن الأوامر القاطعة التى جاء بها الاسلام فى الطب العلاجى نهيه عن العلاج بالمحرمات كالخمر لقول الرسول : « ما جعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليهم » .

ومن الطرائف التى تحضرنا فى هـذا المجال ان الأطبـاء فى أوروبا كانوا على مدى مئات من السنين يصفون الكحول كعلاج وحيد لحالات الذبحة الصدرية (Angina) باعتبـار انه موسع للشريان التاجى للقلب وذلك قبل أن يعرف أى دواء آخر .. ثم اتضح فى السنوات الأخيرة فقط أن الكحول لا يوسع شرايين القلب وليس له تأثير عليها وأن الشعور بزوال الألم هو شعور وهمى وقد يكون قاتلا وهو ناتج عن تخدير مراكز الألم فى المخ وهكذا يصدق حديث رسول الله : « ما جعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها » ..

ثامنـــا ..

الاسلام أول من جاء بالأسلوب العقائدى لخلق المجتمع الصحى

وهو أسلوب انفرد به الاسلام وحده وكان أول من جاء به فى صلب تعاليمه .. ولم يطبقه الا الاسلام فى دولة الرسول بالمدينة ثم فى عهود الخلافة الاسلامية من بعده .. ثم نقلته الصين وبعض البلاد الشيوعية فى عصرنا هذا بنجاح مذهل وحاولت أن تنسبه الى نفسها .

ويتلخص هذا الأسلوب فى الاستفادة من تأثير العقيدة (أى عقيدة) فى نفوس الناس لاقناعهم باتباع التعاليم الطبية والارشادات الصحية والزامهم بطاعتها طاعة مطلقة وذلك بجعلها جزءا لا يتجزأ من تعاليم هذه العقيدة .

الأسلوب العقائدى

فى مكافحة الأمراض

لقـد نجحت العقائد على مـر العصور فى تغيير حياة الانسان تغييرا جذريا ، فكان لها فعل السحر وأتت بما يشبه المعجزات فى فترات قياسية : بالعقائد توحدت شعوب متنافرة متفرقة وبالعقائد

بعثت النهضـــة واليقظة والقوة فى شـــعوب كانت خاملة متخلفة
وانواع العقائد المعروفة اربعة :

أولها العقيدة الدينية كاليهودية والمسيحية والاسلام ..
ثم العقيدة العنصرية كالنازية والفاشية والتتارية والصهيونية..
ثم العقيدة الاقتصادية كالشيوعية والراسمالية ..
ثم أخيرا العقيدة الوطنية ..

ولا شك أن أقوى العقائد جميعا كانت دائما العقيدة الدينية لأنها لا ترتبط بالحياة الدنيا وحدها .. ولكن أيضا بالحياة الأخرى .. مما يجعل معتنقيها أشـــد تقبلا لأوامرها وتضحية فى سبيلها وتقيدا بها ..

ويعتبر الاسلام أصدق وأقوى مثل على التأثير العقائدى فى حياة الشعوب والأفراد لأنه العقيدة الوحيدة التى نزلت منذ اللحظة الأولى فكرا وتطبيقا وتشريعا وتنفيذا ودينا ودولة فى وقت واحد .

وقد استطاعت تعاليم الاسلام فى سنوات قليلة أن تغير كل شىء فى حياة عرب الجزيرة البدو الرحل .. وأن تجعل هؤلاء الجهلة الجياع المتنافرين أعظم أمة عرفها التاريخ فى شتى نواحى الحياة :

اجتماعيا : أصبحوا مثلا على الوحدة والتعاون والتراحم وحسن الخلق .

وعسكريا : أصبحوا مثلا على الشجاعة والانضباط العسكرى وعبقرية التخطيط الحربى .

واقتصاديا : أصبحوا من أغنى الأمم وأكثـرها عـدالة فى التوزيع حتى كانت أموال الزكاة والصدقة لا تجد من يحتاج اليها من فقراء المسلمين فترد الى بيت مال المسلمين .

وفي مجالات العلوم أيضا : لقد بلغ المسلمون شأوا عظيما فى العلوم الانسانية كعلوم التشريع والسياسة والحكم وعلم الاجتماع وعلوم النفس وفى علوم الدنيا كالفلك والهندسة والكيمياء .

واذا كانت العقيدة الاسلامية قد فعلت بالناس كل هذه المعجزات فجعلتهم يبذلون أرواحهم ودماءهم وأموالهم رخيصة فى سبيل نصرتها .. فكيف تفعل بهم لو طبقت أوامرها فى مجال الصحة ونظافة البيئة ؟ .

لقد بينا فى هذا الكتاب أن تعاليم الاسلام لم تترك بابا واحدا من أبواب الطب الوقائى الا ووضعت فيه قواعد واضحة وصريحة ومحددة . وما علينا الا أن نشرح للناس تلك الأوامر والحكمة الطبية من ورائها .. وأن نذكرهم بوجوب اتباعها وبحرمة مخالفتها .. ويومئذ سنحصل على نتائج مذهلة فى مكافحة الأمراض التى تفشت فى بلادنا .

فلو علم المسلم أن اهمال نظافة جسمه وملابسه حرام ومخالف للدين .

وأن القاء الزبالة فى الشوارع والبيوت حرام ومخالفة لنص صريح ..

وان عرض الطعام فى المتاجر أو البيوت دون وقاية من الذباب حرام ..

وأن تلويث الطريق بالنجاسة كالبول والبراز أو الزبالة أو حتى بالقاء شوك أو عظم فى طريق الناس حرام .

وأن التبول والتغوط والقاء النجاسة فى الماء الذى يستعمله الناس يجلب لعنة الله والملائكة .

وأن المسلم المؤمن بالله اذا مرض بمرض معد ولو كان الانفلونزا فعليه أن يعتزل مجالس الناس حتى لا ينقل العدوى الى المسلمين رحمة بهم .

واذا ظهر الوباء بأرض وكان فيها فلا يفر منها حتى لا يكون حامل ميكروب فينقل العدوى الى البلد الآخر .

وأن المسلم المؤمن لا يزنى ولا يتعاطى الخمر ولا المغيبات حفاظا على صحته ودينه .

كل هذا الى جانب عشرات التعاليم الوقائية والصحية التى يأمر بها الاسلام فلو أن هذه التعاليم العقائدية الصحية نقلت الى الناس بفهم وأمانة عن طريق مدرسى الدين فى المدارس وأئمة المساجد فسوف يكون لها فعل السحر فى مكافحة عشرات الأمراض التى تفتك بأمتنا العربية والاسلامية وسوف نصبح فى مقدمة الأمم فى الصحة العامة .

اثر العقائد فى السلوك الصحى

اوامر الدين اقوى من اوامر الطبيب :

فلنجعل النظافة عقيدة وسلوكا لا مجرد اوامر طبية :

من طبيعة النفس البشرية أنها تستجيب للأوامر الدينية أكثر مما تستجيب للأوامر المدنية .. وتلتزم بتعاليم السماء أكثر مما تلتزم بتعاليم البشر . فالعقيدة الدينية لها فى النفس مكانة مقدسة تجعل الناس تطيع اوامر الدين لا خوفا من النار والعقاب فحسب ولكن عن محبة وتطوع وبنفس راضية ثم تقبل على تنفيذ

هذه التعاليم باخلاص واتقان ٠٠ ومهما كانت أوامر وزارة الصحة وارشادات التثقيف الصحي فلن يكون لها في نفوس الناس نفس الاستجابة والحماس للتنفيذ كما لو جاءتهم في قالب عقائدى ٠

وقد يقول قائل أن الشعوب المتخلفة وحدها هى التى تحتاج الى الاقنـاع عن طريق الدين والتخويف بالنـار لكى تنفـذ قواعد النظافة الصحية العامة ٠٠ أما الشعوب المتعلمة وذات الوعى الصحى فان أوامر الأطبـاء ومفتشى الصحة تغنى عن تعاليم الدين فى هذا المجال ٠

وهـذا خطأ كبير ٠٠ فشتان بين أن تكون الصحة والنظـافة عقيدة وسلوكا اجتماعيا ودينيا لشعب من الشعوب وبين أن تأتى عن طاعة لأوامر الطبيب أو حتى اقتناع بفائدتها ٠٠ ولا يتوقف هذا التأثير على الشعوب المتخلفة وحدها ٠٠ ولا على الجاهل الأمى فقط ولكن النظرة الحديثة فى جميع دول العالم قد أصبحت اليوم تعطى للتربية العقائدية دورها وأهميتها فى توجيه الجماهير ٠٠ وهذا هو برنارد شو فى كتابه القيم حيرة الطبيب يقول عن تأثير الدين فى انجلترا وايرلندا :

« لو استطاع أحد اقناع قساوسة بلادنا أن يلقنوا رعاياهم ومريديهم أن من أكبر الكبائر وأشد الاهانات المهلكة التى يمكن أن يرتكبوها فى حق العـذراء المباركة أن يضعوا صـورتها فى بيت لا يكون دائما فى المستوى الرفيع من النظـافة ٠ أقول لو استطاع أحـد أن يقنع قساوستنا بهـذا فربما صنعوا فى عـام واحد أكثر مما يمكن أن يصنعه جميع مفتشى الصحة فى ايرلندا فى عشرين عاما » ٠٠

ولا يقتصر تأثير العقيدة على البلاد التى تؤمن بالأديان وحدها بل على البلاد اللادينية أيضا كالصين وروسيا والبلاد الشيوعية ٠٠

فقد أصبحوا أيضا يربطون بين عقيدتهم والتعاليم الصحية ٠٠ ويعتبرون الشيوعي المخلص لعقيدته هو الذى يراعي صحته والذى يعمل على نظافة بيئته وعلى منع انتشار العدوى بين مواطنيه حتى لا يقل الانتاج وبهذه الطريقة وحدها استطاعت الصين أن تقضى على الذباب وعلى جميع الأوبئة وتمنع المخدرات وكل هذا بالعقيدة وحدها ودون انفاق أموال أو ميزانية على الدعاية والارشاد الطبى ٠

وقد سبق الاسلام كل المبادىء المعروفة ٠٠ وكل الديانات فى الربط بين النظافة والعقيدة ٠٠ ولكنه ينفرد عن كل دين بجعل تعاليمه الصحية جزءا لا يتجزأ من العبادات ٠٠ فمن ذلك أنه لا صلاة بغير وضوء ٠٠ ولا اسلام بغير غسل ٠٠ ولا ملبس الا الطاهر ٠٠ الى جانب مئات من التعاليم الصحية التى فصلناها ٠٠ ومعنى ذلك بلغة العصر أن المسلم لا يدخل الجنة ولا يقبل منه اسلامه ٠٠ أو تقبل منه صلاة ما لم يكن نظيفا يطبق قواعد الصحة ٠

دور النظافة والوعى الصحى فى مكافحة الأمراض :

الطب الوقائى يعتمد أساسا فى منع الأمراض على عاملين :

الأول : هو التوعية الصحية أى النظافة والسلوك الصحى ٠

الثانى : حملات التطعيم الشاملة ٠

وبرغم تطور الطب الحديث ٠٠ ورغم الاكتشافات الهائلة التى توصلت اليها الانسانية فى التطعيم الواقى من الأمراض وما انفقته من ملايين الجنيهات فى هذا المجال فما زال الوعى الصحى والنظافة فى المقام الأول من حيث الفاعلية فى الوقاية من معظم الأوبئة ، بل انها فى معظم الأمراض تغنى عن التطعيم ٠

وترجع اهمية النظافة فى عصرنا الى عدة اسباب :

اولا : ان النظافة وحدها تغنى عن التطعيم فى منع الأمراض الوافدة مثل الكوليرا والتيفود والحمى الصفراء ومنع انتشارها اذا دخلت ، وجميع البلاد المتطورة لا تلزم مواطنيها بالتطعيم العــام من هذه الأمراض الا عنــدما يسافرون الى بلد متخلف لا تتــوافر فيه النظافة وتتوطن فيه هذه الأمراض ٠

ثانيا : لأن التطعيم العام **باهظ التكاليف** ولا يخلو من الأخطار والمضاعفات فى بعض الأحيان كما أن كل طعم معين يؤثر على مرض معين أما النظافة فهى وقاية من كل الأوبئة مجتمعة ٠

ثالثا : ورغم التطورات العلمية الحديثة فهناك بعض الأوبئة والحميات والأمراض **لم يتوصل الطب** حتى الآن الى تطعيم معين ضدها مثل التهاب الكبد المعدى والدوسنتاريا والبلهارسيا وغيرها كثير كما أن بعض الطعوم المعروفة كطعم الكوليرا غير أكيدة الفعالية فى الوقاية من المرض مما جعل الهيئات الصحية تفكر فى الغائها ٠٠

من هذا كله نرى أن النظافة والوعى الصحى مازالت العامل الأول والرئيسى فى مكافحة المرض فى جميع بلاد العالم سواء منها المتطورة أم المتخلفة ٠

شروط نجاح الأسلوب العقائدى :

وبرغم كل هذه المزايا الظاهرة فان الحل العقائدى يعتبر من أصعب الحلول بل يعتبر مستحيلا اذا لم تتوفر له ثلاثة عــوامل رئيسية :

اولا : وجود عقيــدة قوية متأصلة فى نفوس النــاس بحيث يستجيبون لأى أمر من تعاليمها ٠٠ فلا يصلح هذا العلاج فى دولة

غير عقائدية ولا تدين بعقيـدة معينـة تسير بها حياتها ‥ لأن الدعوة لا يمكن أن تبدأ من فراغ ‥

ويجب أن تشتمل هـذه العقيـدة على تعاليم صحية واضحة وصريحة وسليمة ‥ دون الحاجة الى حشر هذه التعاليم الصحية حشرا فى مبادىء هذه العقيدة ‥ وقد سبق أن عقدنا مقارنة بين تعاليم العقيـدة الاسـلامية وغيرها من العقـائد فى المجال الصحى بما يظهر تفوق العقيدة الاسلامية فى هذا المجال ٠

ثانيا : وجود قيادة عقائدية : بحيث تجمع بين الفكر العلمى الحديث وبين الروح العقائدية الأصيلة وبحيث تكون مقتنعة تماما ومؤمنة بما تنادى به وبأهمية الارتباط بين العلم والدين ‥ ويجب أن تتمثل هذه القيادة فى أشخاص الساسة والمسئولين ‥ وان يكونوا هم أنفسهم القدوة الصالحة والمثل الأعلى فى المشاركة فى هذه الحملة ٠ فلا يكفى أن يجلسوا على المكاتب الوثيرة الفـاخرة ويصدروا الأوامر والنشرات للناس للتوجه الى القرية والتطوع للعمل فيها ‥ وقد كان رسول الله يحرص اذا أمر الناس بشيء أن يبدأ بنفسه أولا ‥ فعندما أراد أن يبنى مسجده بالمدينة كان أول من حمل الحجارة على كتفه مثله مثل الآخرين ‥ وعندما أمرهم ببناء الخندق حول المدينة كان أول من ضرب بمعوله فى الأرض ‥ وفى الجهاد كان سباقا الى القتال ‥ وعندما كانوا يقولون له « نحن نكفيك يا رسول الله » كان يرد عليهم قائلا « ان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين الناس » ‥

هذا هو أسلوب القيادة العقائدية ‥ ولو اكتفى الرسول بالجلوس فى مكانه واصدار الأوامر الى الآخرين لما نجحت دعوته ولما أطاعه الناس بمثل هذا الحماس ٠

ثالثا : تضافر جميع أجهزة الدولة فى حمـلة مشتركة مع

القـادة العقائديين فيجب أن تشترك في هـذه الحملة جميع طاقات الأمة ووزاراتها ٠

١ ـ فوزارة الاعلام تقدم كل وسائلها من اذاعـة وتليفزيون وسينما ومسرح ٠

٢ ـ ووزارة التربية تقـدم الطلبـة أثنـاء العطلات وتقـدم المدرسين ٠

٣ ـ ووزارة الأوقاف تجنـد رجال الدين وأئمة المساجد لهذه الحملة الطبية ٠

٤ ـ ووزارة الصحة تجند الأطباء ومفتشي الصحة وتبين لهم العلاقة بين الدين والصحة وأهمية الربط بينهما ٠

هذه هي عناصر النجاح في الحملة العقائدية وبغير هذا التركيز والاخلاص والتعاون لا يمـكن لهذا الطريق أن ينجح أو يؤتى ثمرته بالسرعة المطلوبة ٠

وفي نفس الوقت اذا توافرت هـذه العـوامل الثـلاثة فان الأسـلوب العقـائدى كفيـل بالقضـاء على جميع الأمراض السارية والوبائية في العالم العربي والاسلامي في عام واحد فحسب ٠

العقيـدة الاسـلامية

لم تفقد فعاليتها في عصرنا الحاضر

كثير من الناس قد يعترض على الأسلوب العقائدى في العلاج ٠٠ ويقول هؤلاء ان الاسلام قد فقد تأثيره في عصرنا الحاضر على الناس ٠٠ وأن العقيدة الدينية لم يعد لها نفس السحر الذى كان لها في صدر الاسلام عندما كانت تدفع بالناس الى الموت في سبيلها راضين سعداء ٠٠

ويرى أصحاب هذا الرأى أن أى دعوة الى الاصلاح الطبى فى عصرنا الحاضر تقوم على العقيدة الدينية مصيرها المحتوم الى الفشل الذريع للأسباب الآتية :

١ ـ **انتشار الأمية** : فى العالم العربى والاسلامى فلا تتوقع من الجاهل الذى لا يقرأ رسالة أن يتفقه فى شئون العقيدة والدين وهذا يفقد الاسلام جزءا كبيرا من تأثيره على الناس ٠

٢ ـ **انتشار الخرافات والعادات الضارة بالصحة** : ونسبتها الى الاسلام وهو منها براء وهذه نتيجة حتمية للجهل والأمية ٠

٣ ـ **الاتجاه الى الثقافة الأوروبية** : واهمال التعليم الدينى فى دور العلم والجامعات فقد أصبح الطبيب والمهندس والعالم لا علاقة لهم بالدين الا ما حفظوه فى المدارس الابتدائية والثانوية ٠

٤ ـ طغيان المادية الأوروبية على حياة الناس وأسلوب معيشتهم ٠٠

ونرد على هؤلاء بأن عقيدة الاسلام رغم كل ما تحيط بها ويعوقها من مظاهر الجهل والمادية والتقاليد الباطلة ٠٠ فهذه العقيدة ما تزال حية فى قلوب الناس ولا يمكن أن يمحوها أى عامل من هذه العوامل السطحية المؤقتة ٠٠ لقد رأيت بنفسى شعوبا اسلامية مثل الشعب التركى حيث يمنعون تدريس الاسلام فى المدارس ويعتبرون الدولة رسميا بلا دين ٠٠ وتقابلت مع مسلمين من بلاد شيوعية ملحدة مثل يوغوسلافيا وروسيا والصين ٠ وبعض هؤلاء المسلمين شباب الجيل الجديد قد ولد ونشأ فى ظل الالحاد فلا يعرف من الاسلام الا اسمه وأصبح الاسلام بالنسبة اليه وراثة أكثر منه دراسة ٠٠ وشاهدت أيضا الفلاح فى البلاد الاسلامية ذلك الفلاح الذى لم يمسك كتابا فى حياته كلها ٠٠ ولا يعرف عن القرآن الا أنه

حجاب يضعه في البيت أو يعلقه على صدر طفله .. ومع ذلك .. وبرغم ذلك كله ..

فما أن يصاب أحد من هؤلاء بمحنة أو أزمة .. أو يدعى الى موقف مروءة أو نجدة .. أو يشاهد مسلما آخر يتعرض لكارثة أو ظلم .. أو يدعى الى الحرب والقتال فى سبيل وطنه .. الا وكان تصرفه اسلاميا بفطرته وسليقته ..

لقد رأيت الأتراك واليوغسلاف المسلمين يبكون الدمع عندما حلت النكسة والهزيمة بالعرب في حرب ١٩٦٧ .. ورأيت فرحتهم وشعورهم بالعزة والكرامة عندما انتصر العرب فى حرب سنة ١٩٧٣ .

وهذا الجندى الفلاح العربى المسلم الذى لا يعرف القراءة .. ما أن سمع صرخة الله أكبر تدوى فى حرب رمضان حتى أثارت فى نفسه كل معانى التضحية والفداء للاسلام فانطلق يعبر الجولان والقنال غير عابىء بالرصاص فى سبيل عقيدته ..

واذا كان الاسلام والعقيدة الاسلامية قد فعلت ذلك بهم رغم هذه العوائق كلها فهل تعجز عن دفعهم الى اتباع قواعدها الصحية..

لقد ذكرنا شروط نجاح الأسلوب العقائدى وقلنا أنه يتوقف أولا وقبل كل شىء على عامل رئيسى هو وجود عقيدة قوية تشتمل ضمن تعاليمها على برنامج سليم متكامل للطب الوقائى .. وهذه هى عقيدتنا الاسلامية بيننا منذ عشرات القرون فلسنا بحاجة الى عقيدة أخرى نستوردها أو نجربها كما استوردت الصين وكوريا العقيدة الشيوعية . وكل ما تحتاج اليه هذه العقيدة لكى تستعيد فعاليتها وتأثيرها فى الناس هو القيادة العقائدية التى تؤمن بها وتدعو الناس اليها وتضع فى خدمتها أجهزة الاعلام وتحشد طاقات

الأمة لها ·· ويومئذ سيكون لهذه العقيدة فعل المعجزات فى هذه الأمة ولن يقتصر تأثيرها على مجال الطب وحده بل فى شتى مجالات الحياة الأخرى ·

بالأسلوب العقائدى وحده تخلصت الصين من الذباب والأفيون والأمراض

تعتبر الصين الشعبية أصدق مثل فى العصر الحديث على النجاح السريع الذى يمكن أن تحققه التربية العقائدية فى مجال الطب الوقائى ونظافة البيئة ··

وقد جاء فى مجلة (الموجز الطبى) التى تصدر فى لندن (Medecine digest Febr 1975) أنه عندما تسلمت الثورة الشيوعية الحكم فى الصين سنة ١٩٤٩ كانت تلك البلاد مرتعا خصبا للمخدرات والزبالة والذباب والأمراض ·· وكانت الأوبئة تفتك بالملايين فى مقدمتها الطاعون والكوليرا والجدرى ثم الجذام وشلل الأطفال والسل والملاريا والقرحة الشرقية وديدان الانكلستوما والبلهارسيا والفيلاريا ·

وقد ركزت الثورة همها الأول على الوقاية قبل العلاج ·· وعملت على استئصال الأمراض عن طريق حملة النظافة الصارمة ··

وكونوا لذلك جيشا من المثقفين الصحيين العقائديين يتألف من الأطباء الحمر ·· ومما يسمونهم الأطباء الحفاة وهم أشبه بحلاقى الصحة فى العالم العربى ·· الى جانب طلبة المدارس والشباب المثقف وربات البيوت ··

ولم يكتف المسئولون فى الدولة باصدار الأوامر من مكاتبهم ·· بل نزلوا معهم على رأسهم الزعيم ماو بنفسه ومعه الوزراء ورجال

الحزب وأهل الفكر والفن والمسرح ونجوم السينما ·· وانتشر هؤلاء جميعا فى المصانع والحقول والشوارع والبيوت ومعهم (سطول) الماء والفرشاة والصابون يكنسون ويمسحون ويزورون كل مواطن فى موقع عمله لكى يعلموه طرق النظافة والمحافظة على صحة البيئة ·

ويتلقى هؤلاء المثقفون العقائديون دورات تدريبية بين ثلاثة أسابيع وستة أشهر لتعليمهم أسلوب مخاطبة الجماهير ووسائل اقناعهم بدور النظافة فى الوقاية من المرض وفى زيادة الانتاج وفى قوة الدولة ··

وخـلال سنة واحـدة من هذه الحملة المركزة قضت الدولة على ثلاثة أمراض رئيسية فتاكة هى : الطاعون والجدرى والكوليرا ··

وقد جاء فى التقرير الطبى أن اصابة البلهارسيا كانت فى القرى ٨٠٪ وفى المدن ٦٠٪ عند بداية الثورة · وفى سنة ١٩٦٥ أى بعد ١٦ عاما فقط من الثورة كانت البلهارسيا قد اختفت نهائيا من المدينة وهبطت الاصابة فى القرية الى ٤٪ ·· وفى سنة ١٩٧٥ عند نشر هـذا التقرير لم يعـد فى الصـين ملاريا ولا فيلاريا ولا بلهارسيا ·

وقد سبقت الصين جميع دول العالم المتطورة ومنها أمريكا فى التخلص من مرض شلل الأطفال اذ لم تظهـر فيها حالة واحدة منذ عشر سنوات ··

وقد نشرت البعثة الطبية الدولية التى أصدرت هذا التقرير انهـا لم تجـد فى الصين كلها ذبابة واحـدة ولم تجد فيها ناموسة ولا فئرانا كما لم تجد فى الشـوارع كلبا واحـدا من الكلاب الضالة ·· فكيف حدثت هذه المعجزة ··

لقد زرت الصين فى صيف سنة ١٩٧٠ ·· وكان اهتمامى

الأول مركزا على الأسلوب العقائدى الذى قضت به الصين على الأمراض .. ولم يذهلنى مستوى النظافة فقد قرأت عنه الكثير قبل الزيارة .

ولكن لفت نظرى أن فى أيدى العمال والفلاحين نسخا من كتاب أحمر صغير يحملونه أينما ذهبوا ويحفظون تعاليمه عن ظهر قلب .. ويعملون به فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتهم .. فهو بالنسبة اليهم بمنزلة القرآن لدى المسلمين ويشتمل هذا الكتاب على تعاليم ماو الزعيم الصينى العقائدية .. وسألتهم عما جاء فى هذه التعاليم عن الطب الوقائى .. فترجموا لى فقرة صغيرة من سطر واحد تقول « ان الشيوعى المؤمن حقا هو الذى يتبع تعاليم النظافة » .

بهذه الفقرة العقائدية الصغيرة قفزت الصين هذه القفزة الهائلة فى مجال الطب الوقائى ..

وقد لاحظت فى الحال أن هذه الفقرة من تعاليم ماو مأخوذة بلفظها ومعناها من تعاليم رسول الله .. الذى قال صلى الله عليه وسلم منذ ١٤ قرنا من الزمان « النظافة من الايمان » .. ومعنى هذا الحديث ان المسلم الصادق الايمان هو الذى يتبع تعاليم النظافة .

ومن المعروف ان ماوتسى تونج قد قرأ الكثير من تعاليم الاسلام عندما كان يؤلف كتابه الأحمر .

وقد ذكر أحد كبار المسئولين العرب أنه عندما زار ماوتسى تونج فى بكين أخذ يسأله بحكم خبرته وتجاربه عن نصيحته الى الأمة العربية فى صراعهم ضد اسرائيل والاستعمار .. فقال له ماو :

أتسألنى عن الطريق وقد تعلمنا منكم . فقال له : كيف ذلك ؟ .. قال : ان فى تاريخكم الاسلامى من الأمثلة والكفاح

العقائدي ما كان خير هاد لنا في ثورتنا ضد كل عوامل التخلف في الداخل وضد أعدائنا في الخارج ·· ولو عدتم الى تاريخكم لوجدتم فيه كل الحلول دون الحاجة الى حلول من عندنا ·

كيف نتخلص من البلهارسيا والانكلستوما بالأسلوب العقائدي

تعتبر البلهارسيا والانكلستوما من أخطر الأمراض المستوطنة في العالم العربي والاسلامي · فحيث يوجد ماء وزرع يوجد هذا المرض بكثرة ·

وقد قدرت نسبة الاصابة بهذه الديدان في بعض القرى في مصر والسعودية والعراق والسودان وأندونيسيا بخمسة وتسعين في كل مائة من سكان هذه القرى ·

ويستطيع الطبيب أن يكتشف البلهارسيا والانكلستوما منذ لحظة دخول المريض عليه ·· فمريض البلهارسيا يدخل صارخا متألما من شدة المغص الكلوي والتهابات مجرى البول ·· هذا علاوة على الضعف العام ومظاهر الاجهاد أما مريض الانكلستوما فيعرف من وجهه الشديد الصفرة مثل وجوه الموتى بسبب فقر الدم وما يصاحب ذلك من هزال وضعف الذاكرة وتبلد الذهن ·

ولكي تأخذ فكرة عن جسامة الأضرار التي تسببها هذه الديدان للاقتصاد العربي والاسلامي فلتنظر الى آخر تقرير أذاعته احدى الهيئات الصحية العالمية المشتركة مع وزارة الصحة المصرية عن أثر البلهارسيا في مصر · فقد قدرت هذه الأبحاث ما يصرف سنويا في مصر أو يضيع عليها في شراء أدوية علاجية وفي رواتب أطباء لهذا المرض وفي شغل الأسرة في مستشفيات المدن والقرى وفي تعطيل المرضى من فلاحين وعمال وموظفين عن العمل

وفى تأخر صحة الجندى الحديث التجنيد وعدم الاستفادة من طاقته قبل سنة كاملة من العلاج ٠٠ قدرت الخسارة السنوية فى كل هذه المجالات مجتمعة بحوالى ٥٠٠ مليون أى نصف بليون جنيه مصرى تضيع على مصر سنويا بسبب البلهارسيا وحدها ٠٠

وقد نشر الدكتــور فتحى الشريف عميــد معهــد الصحة بالاسكندرية احصائية عن تفاصيل اقتصاديات البلهارسيا فى مصر سنة ١٩٦٩ ٠٠ فبين أن ثمن الأدوية المستوردة وحدها ٢٠ مليون جنيه بالعملة الصعبه سنويا ٠٠ وأن البلهارسيا تحدث عجزا فى مجمل الطاقة الانتاجية للشعب المصرى يعادل ٣٣ ٪ وقبل السد العالى كانت البلهارسيا فى الوجه البحرى وحده ثم انتشرت الى الوجه القبلى بعد السد العالى ٠ وتقول الاحصائية أن ربع الشباب المصرى فى سن الخـــدمة العسكرية لا يصلحون فى الجيش بسبب البلهارسيا وحدها وتشطب أسماؤهم من التجنيد بسبب عدم اللياقة البدنية ٠

فاذا كانت هذه هى خسائر البلهارسيا فى بلد اسلامى واحد فكيف بالخسارة فى بلاد العالم الاسلامى كله ٠

ومن المعروف علميــا ان السبب الرئيسى فى انتشار هذه الديدان وانتقالها من المريض الى السليم يرجع الى عادة التبرز أو التبــول فى الماء ٠٠ فالفلاحون فى العالم الاسلامى يفضلون دائما التغوط على حافة الترعة لكى يسهل عليهم بعــد ذلك الاستنجاء والوضــوء من مائها ٠٠ ومع الغائط أو البول تنزل بويضة الدودة بكميات كبيرة وتسبح فى المــاء وتعيش فيه مدة معينــة وتتطور الى مراحل مختلفة من حياتها حتى تصبح جاهزة للعدوى ٠ فاذا استحم الانســان السليم فى هــذا الماء أو شرب منه انتقلت اليه العدوى فى الحال ٠

وقد يأخذك أيهــا القارىء المسلم أشد العجب اذا علمت أن

القضاء على هذه الديدان قضاء نهائيا هو من أبسط الأمور وأيسرها .. بل انه لا يكلف ميزانية الدول أى زيادة فى الأعباء والانفاق .. هذا العلاج يتلخص فى كلمة صغيرة هى :

اقناع الفلاح بعدم التبرز والتبول فى الماء .

ويمكنه فى هذه الحالة أن يفعل ذلك فى مكان بعيد ويواريه بالتراب .. واذا أراد الاستنجاء أو الوضوء فمن اناء صغير يحمل فيه الماء معه ..

أقول لو توصلنا الى اقناع الفلاح بعدم التغوط فى الماء لانتهت مشكلة البلهارسيا والانكلستوما الى الأبد ولن نحتاج الى المزيد من الأدوية والمستشفيات والأطباء أو الى التوسع فى ميزانية العلاج .

لقد جربت الهيئات الصحية فى مصر التوسع فى العلاج ففشلت لأن المرضى كانوا بعد شفائهم مباشرة يعودون الى القرى ويتعرضون لعدوى جديدة .

وجربت القضاء على القواقع التى تعيش فيها يرقات البلهارسيا فى الترع ففشلت لأن القواقع تأتى من أعالى النيل فى السودان وسرعان ما تعود الى الظهور والتكاثر فى مصر بعد بضع سنوات علاوة على التكاليف الباهظة .

ولسنا نقول اننا يجب أن نوقف هذه المحاولات العلميه .. ولكن الأسلوب الأجدى والحل الجذرى هو مخاطبة الفلاح مباشرة واقناعه بعدم التبول أو التغوط فى الماء .. وفى تعاليم الاسلام وأحاديث رسول الله ما يمكن أن يحقق ذلك لو نبهنا الناس اليه ..

فالاسلام يعتبر من يتبرز فى الماء قد ارتكب اثما وعملا محرما .

ويصل الأمر بالاسلام فى التشدد فى ذلك الى حد اعتباره موجبا لعنة الله فرسول الله يقول :

« اتقوا الملاعن الثلاث •• التبرز فى الماء وفى الظل وفى طريق الناس » • **ويقول أيضا :**

« من غسل سخيمته فى طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » • ويقول أيضا : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يتوضأ منه » •

ان الفلاح المسلم شديد التدين •• شديد الحرص على اطاعة تعاليم الدين •• ولو علم أن تبرزه فى الماء وفى طريق المسلمين سوف ينزل عليه لعنة الله وملائكته وسائر المسلمين لما أقدم على ذلك أبدا ••

ولا ننسى أنه انما يفعل ذلك بدافع دينى لكى يكون قريبا من الماء فيستنجى ثم يتوضأ منه •• ولو علم أن فعله هذا يضيع ثوابه ويفسد صلاته فليس بمستغرب أن تكون استجابته لهـذه التعاليم الدينية أشد من استجابته لأوامر مفتشى الصحة ••

وقد يقول قائل أننا بالأسلوب العقـائدى وبتعاليم الاسلام انما نخاطب الفئة المتدينة وحدها فى القرية وهم لا يزيدون عن نصف السكان فماذا عن الباقين وكيف تقنعهم •

ونقول ردا على ذلك أن الأسـلوب العقائدى يجعل الانسان ايجابيا لا يرضى بالضرر لنفسه أو لغيره واذا اقتنع بعض الفلاحين بأن التبول أو التغوط فى الماء يجعله نجسا فلا يصلح للوضوء أو الشرب أو الاستحمام فسوف يجعلون من انفسهم حارسا على المـاء يمنعون اخوانهم الآخرين من التبول فيه •

ويوم يصـل الاقتناع الى نصف أو حتى ثلث سكان القرية تكون قد نجحنا فى القضاء على المرض •

تاسعا ..

حكمة التحريم والاباحة فى الاسلام

بحوث بين الطب والدين :

فى هذا الباب نتناول بالبحث العلمى الموسع حكمة الاسلام فى تحريم :

١ ـ الخمر .

٢ ـ المخدرات .

٣ ـ لحم الخنزير .

ثم نتناول موضوع التدخين وأسباب كراهيته فى الاسلام .. وأخيرا نتحدث عن العسل وفوائده وحكمة قوله تعالى : « **فيه شفاء للناس** » ..

اولا ـ الخمر :

نعرف الخمر من ناحية مكوناتها (أو من الناحية الطبية) بانها كل سائل يحتوى على نسبة معينة من الكحول وتتراوح المشروبات الروحية فى هذه النسبة . فهى فى البيرة لا تزيد على ٣ ٪ ويزداد الكحول الى ٢٥ ٪ فى المشروبات الأقوى ويصل التركيز الى ٥٠ ٪ فى المشروبات الروحية المركزة .

ومن المعروف طبيا أن بعض الأدوية والأملاح الضرورية لصحة الانسان كأدوية السعال تذاب في مادة الكحول .. وكذلك بعض أنواع المياه الغازية مثل الكولا .. وتسمى المادة المذابة المستخلص الكحولي ..

ولا تدخل هـذه الأدوية والسوائل علميـا ولا شرعيا في باب الخمور لأن مادة الكحول فيها غير حرة لا تؤدى الى السكر .

وتعريف الخمر في الاسلام :

انها كل مادة مسكرة . وذلك لقول رسول الله : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » وهذا يوسع المعنى لكى يشمل أى مادة تؤدى الى السكر أو الادمان ولو لم تكن خمرا .

كيف تؤثر الخمر في الانسان :

يتوقف تأثير الخمر على عاملين : **العامل الأول** : كمية الكحول وتركيزه في الدم . فاذا شرب الانسان كاسين من البيرة فان نسبة الكحول تصـل في دمه الى ٥ مجم في كل ١٠٠ سم من الدم وهى نسبة كافية لاحداث التأثير المطلوب عند المبتدئين . ويزيد تأثير الكحول بالتدريج كلما زاد تركيزه في الدم . فاذا وصل التركيز الى ٥٠ مجم كحول في ١٠٠ سم دم فان الانسان يفقد قوة التركيز الذهنى .. ويفقـد السيطرة على عواطفه أو التحـكم فيها .. وقد ينخرط في الضحك في مواقف الجـد والحزن . وقد ينخرط في البكاء دون مبرر .. ولكنه غالبـا يستطيع السيطرة على عضـلاته وأطرافه أثناء المشى في هذه المرحلة فلا يترنح .

فاذا زاد تركيز الكحول في الدم الى ١٥٠ مجم في كل ١٠٠ سم فان الانسان يتمايل في الهواء من السكر ويفقد السيطرة على عضلاته

وأطراف جسمه ، وبديهي أن كل مراكز الفكر العليا تتعطل في هذه الدرجة عن العمل .

العامل الثاني : هو استجابة الجهاز العصبي للانسان .

فقد لوحظ أن الناس يتأثرون بالجرعة الأولى بدرجات متفاوتة .. فمنهم من يعتريه انفعال شديد وهياج ومنهم من يخلد الى السكون أو النوم من نفس الجرعة ..

ويرجع الخطر الأكبر من الخمر في أن الجهاز العصبي يسود على الكحول بالتدريج .. بحيث أن الكمية التي تؤدى بالانسان في المرات الأولى الى الشعور بالراحة بعد تعب أو باللذة أو نسيان الهموم ، فانه لا يكفيه في المرات التالية أن يتناول ضعفا أو ثلاثة أضعافها ليحصل على نفس التأثير .. وهذا هو ما يؤدى به الى الادمان .

ولذلك فان العلم الحديث يكذب كل من يدعى القدرة على الاعتدال في الشرب بصفة دائمة .

أثر الكحول على الجهاز العصبي للانسان :

يقرر العلم الحديث أن مخ الانسان يتكون من مراكز مختلفة ، فالوظائف الراقية توجد في المراكز العليا من المخ .. والوظائف الأقل رقيا توجد في المراكز الأسفل منها .

وأعلى المراكز في مخ الانسان هي التي تختص بالارادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعي .. ثم تأتي أسفل منها مراكز العقل والتفكير..ثم مراكز الحكم على الأشياء ثم مراكز الذاكرة..وأسفل من هذه تأتي المراكز المسيطرة على العواطف والأحاسيس .

ويسرى مفعول الخمر من أعلى الى اسفل ٠٠ أى أنها تؤثر على الوظائف الأرقى فى المخ أولا ٠٠ ولذلك فان أول شيء يتـأثر فى الانسان بالكميات القليلة جدا من الخمر هو الارادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعى فاذا زادت الكمية تأثرت مقدرته على التركيز الذهنى وهكذا ٠

اثر الخمر على الشخصية :

لقد جاء فى تقرير المجلس الوطنى لمكافحة الخمور فى بريطانيا ان شرب الخمر مدة طويلة يؤدى الى تحلل الشخصية ٠٠ ويسبب ضعف الارادة وشرود الذهن ٠٠ ومدمن الخمر لا يمكن الثقة بأقواله ولا بوعوده ولو فى صحوته ٠٠ كما لا يمكن الاعتماد عليه فى المسائل المالية أو القيادية ٠

فهـو سريع التـأثر سريع الغضب ، كثير الهواجس والأوهام وأغلب هؤلاء المدمنين يصبح فاشلا فى عمله مشاغبا وعنيفا فى بيته عديم الثقة فى زوجته وأولاده ٠٠ !!

اثر الخمر على اعضاء الجسم الأخرى :

لكى نعرف الضرر الصحى للخمر يمكنك احضار خليـة حية نشيطة الحركة مثل الأميبا والنظر اليها تحت الميكروسكوب وهى تتحرك وتأكل فاذا وضع فى الماء كحول بنسبة ١٪ فان هذه الخلية يقل نشاطها وتمتنع عن الطعام ٠٠ واذا زيدت الكمية فانها تصاب بالتسمم وتموت وهذا هو ما يحدث فى خلايا أجسامنا عند شرب الكحول ٠

١ ـ تأثير الكحول على القلب والأوعية الدموية :

يسبب الكحول بنسبة ١٪ في زيادة عدد نبضات القلب ١٠ نبضات في الدقيقة عن المعتاد مما يجهد عضلات القلب · ومنذ قديم الزمان كان هناك اعتقاد شائع بين الأطباء والمرضى أن الكحول يوسع الشريان التاجي للقلب وكان الأطباء حتى عهدقريب ينصحون المرضى بضيق أوعية القلب والذبحة القلبية (Angina) بأن يتناولوا كمية قليلة من الكحول فيزول الألم ويستأنف المريض حركته ·· وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة خطأ هذه النظرية وضررها ·

(ا) فقد ثبت أن الكحول ليس له تأثير مباشر على الشريان التاجي للقلب ·

(ب) وأن ألم الذبحة القلبية يخف نتيجة لتأثير الكحول المخدر على مراكز الألم في المخ ·

(جـ) وأن كمية الكحول اذا زادت أحدثت تسمما في عضلا القلب واجهادا · من هذه العوامل مجتمعة فقد يشعر المريض بزوال الألم وبالراحة الوهمية فلا يلزم الفراش فيتعرض للموت ·

وهكذا جاءت البحوث العلمية لتؤكد حكمة الرسول في قوله : « لم يجعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها » ·

وهكذا أصبح الأطباء ينصحون أي انسان معرض للذبحة القلبية بالاقلاع عن السجائر والخمر ·

٢ ـ تأثير الكحول على خلايا الدم :

للدم وظيفتان رئيسيتان : فبواسطة الكرات الحمراء يمتص الدم الأوكسجين من الرئة ويتخلص من ثاني اكسيد الكربون ·· وبواسطة الكرات البيضاء يقاوم البكتريا والميكروبات التي تصل الى

الجسم • واذا وضعت قطرة كحول فى ماء بنسبة ١ ٪ على نقطة دم فان الكرات الحمراء تتحول الى صفراء ويقل نشاط الكرات البيضاء ، ومعنى ذلك فى جسم الانسان الحى أن يقل امتصاص الدم للأوكسجين فتصاب خلايا الجسم بما يشبه الاختناق وتتعب العضلات بسرعة كما تقل مقاومة الجسم لشتى أنواع الأمراض والميكروبات •

وقد أجرت احدى الهيئات الطبية فى بريطانيا بحثا على فريقين من عمال (السكة الحديد) **احدهما** : تناول قليلا من الكحول قبل العمل ، **والآخر** : لم يشرب الكحول فوجدت : أن الفريق الأول تعب بسرعة وكان انتاجه أقل •

٣ ـ تأثير الكحول على الكبد :

يتسبب الكحول فى المرض المعروف ب (تليف الكبد الكحولى) وهو مرض منتشر فى أوروبا ونادر جدا فى البلاد الاسلامية وفيه يموت عدد كبير من خلايا الكبد الحية وتتحول الى نسيج ليفى ، واذا كانت نسبة التلف كبيرة أدى ذلك الى الوفاة المبكرة • وقد أجرى عالم تمساوى كبير بحثا على نسبة الوفيات فى أوروبا وأمريكا من حالات تليف الكبد ، فوجد أن هذه النسبة قد قلت الى النصف خلال سنوات الحرب العظمى الثانية عندما كانت الخمور شحيحة ولا يحصل الانسان عليها الا مع بطاقة التموين ، وكذلك كانت الحالة فى أمريكا عندما كانت الخمور ممنوعة •

٤ ـ الخمر ونقص الفيتامينات :

ويصاحب شرب الخمر نقص شديد فى الفيتامينات فى الجسم خصوصا فيتامين (ب) بأنواعه وفيتامين (س) مما يؤدى الى ظهور مرض (البلاجرا) و (البرى برى) و (الاسقربوط) • وتظهر هذه

الحالة بشـــكل رعشـــة فى اليدين وثقل فى اللسان وضعف فى العضلات واضطراب فى حساسية الجلد وقد يؤدى الأمر الى شلل الأطراف وتضخم فى القلب ٠

بعض المعتقدات الخاطئة عن الخمر :

يعتقد كثير من الناس أن القليل من الخمر يفيده ولا يضر ٠٠ فهناك اعتقاد سائد بأنها تفتح الشهية للطعام ٠٠ وانها مدرة للبول وأنها تبعث الدفء فى الجسم عند البرد الشديد ٠٠ وهناك من يعتقد أنها تزيد النشاط الجنسى كما يدعى بعض الناس أنها تخلق جوا اجتماعيا مرحا ٠

وقد رأينـا ان نبين هنا رأى البحث العلمى الغير متحيز فى كل واحدة من هذه المعتقدات :

١ ــ تأثير الخمور على شهية الطعام :

هناك اعتقاد سائد بأن الخمور بكميات قليلة وخصوصا البيرة تفتح الشهية للأكل ٠٠ وقد وجد العلم أن هذا الشعور مرجعه الى التأثير النفسى فقط بسبب تخدير المراكز العليا فى المخ ٠٠ وبدراسة التأثير الفسيولوجى للكحول على المـعدة وجد أنه يزيد الحموضة ٠٠ ويسبب الخمول فى حركة الهضم والامتصاص كما يؤدى الى الالتهابات المزمنة فى غشاء المعدة وهذه بدورها قد تؤدى الى القرحة ٠٠ وكثير من الناس يصابون بالقىء مهما قلت كمية الكحول التى يشربونها ٠

ومن المعروف أن الشعوب التى تكثر من شرب البيرة تصاب بالامساك المزمن وتربى كروشا كبيرة بسبب تمدد المعدة من الكميات الضخمة من السوائل التى يشربونها ٠

٣ ـ تأثير الخمر على الكلى والجهاز البولى :

من المعتقـدات الشائعـة أيضـا أن البيرة والخمور مدرة للبول وأنها تساعد على طرد الحصوة والرمل وغسيل مجرى البول ·· وحقيقة الأمر ان البيرة يدخل فى تركيبها بعض الأملاح والأحماض الكاوية مثل حامض السليسيليك الذى يحفظها من التعفن ·· وبذلك تصبح عملية ادرار البول نوعا من ارهاق الكلى واتلاف نسيجها ، وكثير من مدمنى الخمر يصابون باحتباس البول أو بعـدم السيطرة على التبول ·

٣ ـ الخمر والتأثير الجنسى :

هنـاك اعتقاد شائع بأن الخمور تنشط الغريزة الجنسية ·· وحقيقة تأثير الخمر على الجنس ينقسم الى قسمين :

الأول : عن طريق التأثير على المراكز العليا فى الجهاز العصبى بتخديرها مما يزيل الشعور بالخجل أو الخوف والتردد مؤقتا (فى حالة وجود الخوف والتردد فقط) ·

الثانى : عن طريق التأثير على المراكز السفلى فى المخ مما يضعف القدرة الجنسية ويؤدى الى الارتخاء والهبوط الجنسى ·

وهذان التأثيران متعارضان بصورة خطيرة ·· فالأول قد يزيد الرغبة الجنسية والثانى يضعف المقدرة وهذه الحالة تؤدى الى الكثير من العقد النفسية والجنسية عند شاربى الخمر وكثيرا ما تهدم الحياة الزوجية ·· فمعظم مدمنى الخمر مصابون بالارتخاء الجنسى وكثير منهم يضرب زوجته أو يطعن سمعتها وسلوكها تغطية لعجزه ·

٤ ـ هل تزيل الخمر البرد وتبعث الدفء :

هذا الاعتقاد الشائع أيضا غير صحيح ٠٠ والذى يحدث أن الأوعية الدموية فى الجلد والوجه تتمدد عند تناول كمية قليلة من الخمر ٠٠ ويتدفق فيها الدم فيسبب احمرار الجلد والوجه مما يسبب (التوهم) بأن الجسم قد ارتفعت حرارته ولكن الواقع أن هذا التمدد فى الأوعية يؤدى الى خروج الحرارة الداخلية من الجسم وهبوط حرارته هذا الى جانب أن الكحول يحدث تخديرا فى مراكز تنظيم الحرارة بالمخ وفى القطب الشمالى يحظر على أعضاء بعثات الاستكشاف تناول الخمر لانها قد تؤدى الى هبوط الحرارة الداخلية وتجمد الأعضـــاء والوفاة المفاجئة !!

٥ ـ الخمر والتأثير الاجتماعى

يرى كثير من الناس أن تناول الخمر يجعل الانسان اجتماعيا يحب الناس والجلوس مع الأصدقاء وأنه يصبح أكثر مرحا وودا ٠٠ وربما كان فى ذلك بعض الحقيقة للوهلة الأولى ٠٠ ولكننا لو تعمقنا فى دراسة الأسباب لوجدنا أن الخمر تسبب بعض التخدير فى العقل الواعى مما يقلل شعور الانسان بواقعه ويقلل من تحفظه فى الكلام فينطلق لسانه بغزارة ويبدو اجتماعيا ودودا ٠٠ وهذا نوع من الحلول السلبية لمشاكل الحياة٠٠ومن أخطر مظاهره أن هذه الروح الاجتماعية المرحة لا يعقبها أى تصرف ايجابى لخدمة الغير أو المروءة والنجدة ٠

واذا كان الهدف هو خلق روح اجتماعية وجعل الانسان ودودا يحب الناس فليكن ذلك بالأسلوب الايجابى (لا السلبى) وعن طريق الدين والعقيدة لا عن طريق تخدير الناس ونسيانهم لواقعهم ٠

٦ ــ هل هناك شارب خمر معتدل :

من الملاحظ أن جميع من يشربون الخمر يدعون دائمـــا أنهم معتدلون وأنهم يستطيعون المحافظة على هذا الاعتـــدال مدى حياتهم وكثيرا ما تجد انسانا يتطوح فى الهواء سكرا ثم يدعى ويقسم أنه غير سكران وأنه معتدل في الشرب ٠٠ وردا على هذه المغالطات :

فقد نشرت جمعية منع المسكرات فى نيويورك احصائية تقول ان بين كل عشرة أشخاص يشربون الخمر ثلاثة يصابون بالادمان وينقلبون الى مرضى صحيا واجتماعيا ٠

أما السبعة الباقون فهم عرضة للافراط فى الشرب أكثر من مرة الى حد فقدان أحدهم السيطرة على جسمه أو على أخلاقه ٠

وقد وجد أن ثلاثة من هؤلاء الســـبعة قد تعرضوا لحوادث سيارات بسبب الافراط فى الشرب فى بعض المرات ٠

وأن اثنين منهم تعرضوا لخلافات عائلية أو خسارة فى العمل بسبب الافراط فى الشرب مرة أو أكثر ٠

وبذلك يصبح مجموع من يتعرضون للتفريط فى الخمر وبكل ما يتبعه من مشاكل سبعة بين كل عشرة يشربون أى ٧٠ ٪ ٠

وهذا وحده يسقط حجة من يدعى الاعتدال فى الخمر ويجعل الحل العلمى الوحيد للمشكلة هو منعها منعـــا قاطعا وليس مجرد الاعتدال فى الشرب كما يدعى بعض فلاسفة الغرب ٠

الخمر كمشكلة اجتماعية واقتصادية فى اوروبا :

ولا تكاد الخمر أن تكون مشكلة ذات بال فى العالم الاسلامى ٠٠ وذلك بفضل الحسم القاطع الذى واجهها به الاسلام ٠٠ أما فى باقى العـــالم وخصوصا في أوروبا وأمريكا فهى تشـــكل مشكلة

اجتمــاعية واقتصــادية خطــيرة ٠٠ ففي كل بلد متطور نجد عشرات الهيئات المختصة في الدعوة ضد المسكرات وفي علاج المدمنين كما نجد الكثير من المستشفيات ودور النقاهة المختصة بهذه المشكلة ٠

وقد نشر المجلس الوطني للمسكرات في أمريكا سنة ١٩٦٦ احصائية يذكر فيها أن في أمريكا وحدها ٦ ملايين رجلا وامرأة يدمنون الخمر الى حد التسمم وأن الخمر يتسبب في :

١٠ ٪ من حالات الجنــون والاضطراب العقلي التي أدخلت المستشفيات ٠

٣٠ ٪ من حالات الطلاق وتشرد الأطفال ٠

٢٥ ٪ من حوادث السيارات

٦٥ ٪ من أسباب البطالة أو التهرب من العمل ٠

وبلغت خسائر أمريكا في هــذه السنة بسبب الخمر وحدها ٢٫٥ بليون دولار ٠

الاسلام والخمر :

يعتبر الاسلام الدين الوحيد الذي جاء بأمر قاطع في النهي عن الخمر ٠٠ وقد اتبع الاسلام في ذلك أسلوبا فريدا في نوعه سبق به أحــدث الطرق العلمية والنفسية بعدة قرون ٠٠ ويتلخص هذا الأسلوب في أمرين :

أولا : التدرج في المنع حتى لا يشق على الناس

ثانيا : ربط الأوامــر بالأحــداث الواقعية مستفيدا من التأثير النفسي والسيكولوجي فان أول آية نزلت عن الخمر كانت عنــدما قال عمر : « اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا » فنزل قوله تعالى

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » • (سورة البقرة ٢ آية ٢١٩) •

وهنا قال بعض الناس حرمت الخمر وانتهوا عنها •

وقال آخرون : يا رسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله وعز وجل • فسكت رسول الله عنهم •• وكان بعضهم يحضر الصلاة وهو سكران فلا يدرى ما يقول ، وعاد عمر يدعو ربه : « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » فنزلت الآية الثانية : **« يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »** • (النساء ٤ الآية ٤٣) •

فقال بعضهم حرمت الخمر ••

وقال بعضهم لا نشربها قرب الصلاة فسكت رسول الله عنهم•• ثم دعا عمر ربه « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » فنزلت الآية الثالثة الحاسمة :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون •• انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (سورة المائدة الآيتان ٩٠ ، ٩١) •

فلما نزلت هاتان الآيتان جاء الناس الى الرسول فقال لهم « حرمت الخمر » •

ومن أحاديث الرسول فى الخمر قوله « اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر » (الحاكم عن ابن عباس الترغيب جـ ٤ ص ٢٩٨) •

« من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد الوثن » (رواه ابن حبان عن ابن عباس ــ الترغيب جـ ٤ ص ٢٩٧)

وقوله : « من شرب الخمر سـقاه الله من حميم جهنم يوم القيـامة » ·

وعن عائشة : « كل مسكر حرام وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام » (فقه السنة جـ ٩ ص ٥٢ ط أولى) ·

الخمر فى الحدود الشرعية :

لم ينزل فى القرآن حد على الخمر ·· ذكر العينى فى شرح الكنز عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب فى الخمر بالجريد والنعال ·· نسبه الى الشافعي ·· وروى عن الامام أحمد عن أبى سعيد قال : جلد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر بنعلين ، فلما كان على عهد عمر جعل بدل كل نعل سوطا ، (شرح العينى على الكنز جـ ١ ص ٢٣٠) ·

واول من حد على الخمر أبو بكر الصديق رضى الله عنه ·· فقد ضرب بالجريدة وبأطراف النعال ··

وعندما فتح الله على المسلمين بلاد الشام ومصر وفارس كانت الخمر متوفرة فى تلك البلاد يشربها اهل الذمة ويبيعونها فى الأسواق والخمارات فلم يتعرض الخليفة لهم احتراما لشعائرهم ··

ولكن بعض الشباب والجنود المسلمين ابتدءوا على عهد عمر يشربون الخمر مستخفين بهـذا الحد الهين ·· وزاد الأمر على عمر حين ابتدأ بعضهم بتأويل كتاب الله لتعليل فعلتهم ··

فمنهم من قال ان الخمر لم تحرم علينا لأن الله قال فاجتنبوه ولم يقل حرم عليكم ··

---

(١) رواه مسلم عن ابن عمر وذكره العينى فى شرح الكنز جـ ٣٠ ص ٢١٨ ·

ومنهم من قال ان الله قد أنزل الحدود في كل معصية الا الخمر ولو كانت حراما لأنزل الله فيها حدا معروفا ·

وقال آخرون ان الله قال « **فهل أنتم منتهون** » ، فلم يعزم علينا أى لم يأمرنا أمرا ··

وقد كبر على عمر هذا التأويل لكتاب الله واعتبره معصية أكبر من شرب الخمر فجمع عمر الصحابة فرأوا :

أن من يحاول تأويل كتاب الله فى الخمر حكمه كحكم المرتد عن الاسلام يحل دمه على المسلمين ··

وأما من أقر بأن الخمر حرام وشربها فحكمه كمن يقذف المحصنات لأن شارب الخمر لا يعى ما يقول وقد يسب ويقذف وعقابه ثمانون جلدة ··

وبذلك انهى عمر فتنة كادت أن تطل على الاسلام فى أول عهده ··

وعندما تولى عثمان الحكم عاد الى حد أبى بكر ·· فكان يضرب على الخمر أربعين اذا كان لأول مرة ومن عاد يضربه ثمانين ·

علاج مشكلة الخمر :

ان الطريق الصحيح لعلاج مشكلة الخمر هو الجمع بين :

- التربية الدينية ·
- والتثقيف الصحى ·
- فالطب وحده لابد أن يفشل كعلاج ·
- كما أن الوعظ الدينى وحده لا يحقق النتائج المرجودة دون الاقناع العلمى والطبى ·

وأول قاعدة فى هذا العلاج هى « الوقاية خير من العلاج » ٠

ومعنى ذلك منع الخمر منعا قاطعا فى المجتمع الاسلامى وذلا يشمل منع بيعها والاتجار فيها ومنع صنعها أو استيرادها وما أصدق قول رسول الله : « لعن الله الخمر ، وشاربها وساقيها ، ومبتاعها ، وبائعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة اليه وآكل ثمنها » (رواه ابن ماجة عن ابن عمر ــ الترغيب جـ ٤ ص ٢٩٣) ٠

ان الانسان بطبيعته يكون فى أحسن حالاته الصحية اذا عاش على الفطرة التى خلقنا الله عليها ٠٠ وليس فى فطرة الله مخــدر ولا منبه ولا خمر ٠٠ ولو نشأ الشباب والجيل الجديد فى مجتمع لا يرى فيه الخمر ولا يسمع عنها فانه لن يحس بفقدان شىء ، وسوف ينشأ فى حياة صحية سليمة ٠

وقد أثبتت الأبحــاث العلمية أن مدمن الخمر يبدأ هذه العادة محاراة لاهله أو أصدقائه ٠٠ وقد لا يكون بين هؤلاء سكير ولا مدمن للخمر ولكن استجابة الناس لهذه المسكرات تختلف من جسم الى آخر ومن شخصية الى أخرى ، فمنهم من يكتفى بجرعات صغيرة ويتوقف عند حد معين ومنهم من يصاب بالادمان بعد أول تجربة ٠٠ وكثيرا جدا ما يتحول الشخص المعتدل الى مريض مدمن عندما تصادفه مشكلة كبيرة فى حياته أو صدمة نفسية ٠٠ وكل واحد من هؤلاء المدمنين يعتبر فى الطب مريضا بالجسم والعقل والروح فى وقت واحد ٠٠ ولذلك كان العلاج الأول هو العلاج الجذرى أى منع الخمور من المجتمع منعا قاطعا ٠

وقد لوحظ بالتقصى والبحث العلمى أن معظم حالات شرب الخمر ترجع الى أسباب ثلاثة :

السبب الأول : هو الاعتقاد الســـائد بين الناس بأن للخمر

فوائد جنسية أو اجتماعية أو أنها ضد البرد ‥ وقدسبق تفنيد هذه المعتقدات فعلاجها يكون بالتثقيف الصحى والتوعية العلمية ٠

السبب الثانى : التخلص من مشاكل الحياة والهروب من الواقع ٠

السبب الثالث : الفراغ والملل ٠ وخير علاج لهذين العاملين الأخيرين هو بعث العقيدة الدينية فى نفوس الشباب ، فالدين يعطى الانسان هدفا وغاية ويبعث فى النفس الشجاعة لمواجهة الحياة بدلا من الهروب من المشاكل بالمخدرات والمسكرات ٠

هل يشهد المؤمن مجلس الخمر ؟ :

لا يجوز للمسلم المؤمن أن يحضر مجلس الخمر الا اذا أراد بحضوره الاصلاح والتوجيه ٠

اما أن يجلس معهم من باب الرفقة والتسلية أو من باب المجاملة ولو لم يشرب فهذا حرام ‥ فالله تعالى يقول فى وصفه للمؤمنين : « **والذين لا يشهدون الزور** » وكلمة الزور هنا لا تقتصر على المعنى الدارج وهو شهادة الزور فهذه من أقصى درجات الباطل ٠ ولكن القصد منها أن المؤمن الحق لا يحضر مجلسا فيه زور أى باطل أو أمر حرمه الله ولو كان فى حضوره متفرجا ورسول الله يقول :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار فيها خمر » (رواه البزار عن ابن عمر ـ الترغيب جـ ٤ ص ٣٠١) ٠

والا فان المؤمن مطالب بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فاذا جلس فى مجلس خمر أو باطل فعليه أن لا يكون سلبيا يتفرج على الآخرين ٠ بل عليه تقديم النصح والارشاد بالحسنى ولو اقتضى

الأمر منه حضور مجلسهم لهذا الغرض وليس للمجاملة فهذا أمر لا بأس به بل هو جهاد فى سبيل الله يجزى عليه ٠

والمؤمن الحق المتمسك بدينه تكون له هيبة وحياء فى نفوس الناس فلا يقدمون على عمل الباطل فى حضوره ٠

أما اذا خاف المسلم من نفسه ضعفا حيال الخمر أو يئس من اصلاح الجماعة فعليه أن يعتزلهم ويتجنب مجالسهم

المخدرات .. فى العلم والطب والدين

« كل شىء اسكر فهو حرام وكل مغيبة حرام »

(حديث شريف)

مشكلة المخدرات هى احدى القضايا الهامة والخطيرة فى عالمنا العربى والاسلامى بحيث يجب أن يعلم المسلم كل شىء عن أخطارها ومساوئها وعواقبها كما يجب على كل داعية الى الاسلام أن يدرس كل شىء عنها ..

فيعرف أنواعها ومصادرها وتاريخها .. وتاثيرها على عقل الانسان وجسمه .. ويعرف أهم من ذلك طرق علاجها والوقاية منها .. فبغير هذه المعلومات الحيوية لن يكون للداعية الاسلامى تأثيره المقنع وحجته القوية حين يكتفى بالقول أن المخدرات حرام ..

ولن تكفى النصيحة والوعظ وحدهما لانقاذ المدمن الذى يطلب المعونة والتوبة من هذه الآفة طالما لم يصاحب ذلك فهم جيد بأسلوب العلاج ووسائل الوقاية ..

ومما يزيد المشكلة تعقيدا أن هذه المخدرات لم تكن معروفة على عهد الرسول وانها لم تصل الى المسلمين الا فى وقت لاحق .. ولذلك لم ينزل فيها تحريم قاطع يتناولها بالاسم كما هو الحال فى الخمر مما جعل بعض أعداء الاسلام ودعاة الفساد يذهبون الى اباحتها

او التشكيك في تحريمها .. بل ان بعض الجهلة من العوام يحرم شرب الخمر ويقبل على تعاطى المخدر فيهرب بذلك من شر الى أشر منه ومن حرام الى ما هو آكثر حرمة منه ..

وتكفى نظرة على تاريخ المخدرات ودخولها لأول مرة الى العالم الاسلامى لكى تدلك على أن من جاءوا بها الى بلادنا وديارنا كانوا يقصدون فعلا الى محاربة الاسلام وتحطيم الأمة المسلمة .

المخدرات فى تاريخ العرب والمسلمين :

لم يعرف العرب المخدرات فى الجاهلية .. ولم تدخل زراعتها الجزيرة العربية .. وكانت أول مرة تدخل فيها المخدرات على يد ملاحدة الفرس . فقد جاء فى كتاب (الخطط) للمؤرخ العربى « المقريزى » :

(وجاء الى القاهرة أشخاص من ملاحدة العجم صنعوا الحشيشة وخلطوها بالعسل وبعدة أجزاء مجففة كعرق اللقاح وسموها العقدة وباعوها خفية فشاع أكلها بين كثير من العوام . ثم زاد التجاهر بها فظهر أمرها واشتهر أكلها وارتفع الاحتشام عن الكلام بها حتى كادت تكون من تحف المترفين ولهذا غلبت السفالة على الأخلاق وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعايب وانحطوا عن كل شرف وفضيلة واتصفوا بكل ذميمة من الأخلاق ورذيلة) .

ويروى الطبيب العربى ابن البيطار فى كتابه (المفردات) :

(ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندى وهو يزرع بمصر ويقال له الحشيشة وهو يسكر جدا اذا تناول الانسان منه قدر درهمين .. يخرجه الى حد الرعونة . وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال الى الجنون وربما قتلهم) .

ثم يقول : (ولم تكن الحشيشة معروفة فى الشام الى أن قدمها سلطان بغداد فارا من تيمورلنك فتظاهر أصحابه بأكلها فتعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها) ·

وهكذا نجد أن أول من نشر المخدرات بين المسلمين هم الملاحدة العجم ثم سلطان فاشل مخلوع عاشر التتار ·

وفى سنة ١٠٢٤ م ظهرت طائفة الاسماعيلية التى كونها « حسن الصباح » · وهو فارسى ملحد ·· وكانوا يسمون (طائفة الحشاشين) لأنهم كانوا يؤمنون بأن اغتيال خصومهم واجب دينى · وكانوا يعطون أتباعهم الحشيش فى حفل دينى أشبه بطقوس المجوس ثم يطلقونهم فى حالة من فقدان الوعى والارادة لكى ينفذوا أوامر زعمائهم بالقتل والاغتيال ·· وقد قتلوا الكثير من أئمة المسلمين وحاولوا قتل صلاح الدين أكثر من مرة ·

وبعد هؤلاء يأتى دور الاستعمار البريطانى فى نشر تجارة المخدرات فى العالم فعندما احتلت بريطانيا الهند ابتدأت (شركة الهند التجارية الشرقية) وهى أول شركة استعمرت الهند ·· ابتدأت تزرع الشاى والأفيون فى مزارعها وتصدرها الى أنحاء العالم وخصوصا الصين ·· وعندما انتشر الأفيون فى الصين بفضل المهربين البريطانيين والبرتغاليين ونكب شعب تلك البلاد منه صحيا وماليا وتسربت أمواله الى بنوك بريطانيا ·· عند ذلك أصدر الامبراطور (لن تسى) ١٨٣٨ مرسوما بتحريم تجارة الأفيون أو دخوله الى البلاد فقامت بذلك حرب الأفيون بين بريطانيا والصين والتى استمرت عامين وانتهت بهزيمة الصين واضطرارها الى عقد معاهدة مع بريطانيا تسمح لتجار الأفيون الانجليز ببيعه فى بلادها ولا تتعرض لهم ·

وكانت المخدرات قد اختفت من مصر والعالم العربى بعد أن حاربها صلاح الدين وغيره من السلاطين ٠٠ فقد جاء فى كتاب المقريزى :

(ثم جاء الأمير سودون الشيخونى - رحمه الله - فتتبع الموضع الذى يعرف بالجنينة من أرض الطبالة بباب اللوق وعسكر ببولاق فأتلف ما هناك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يبتلعها من أطراف الناس ورذائلهم وعاقب على فعلها بقلع الأضراس فقلع أضراس كثير من العامة) ٠

وهكذا تخلصت مصر قلب العالم الاسلامى النابض من شرور هذه المخدرات قرونا طويلة الى أن جاء الاستعمار البريطانى ٠

وكان من سياسة الاستعمار البريطانى المرسومة اضعاف الشعوب العربية والاسلامية وافقارها عن طريق نشر المخدرات ، فكانت بريطانيا تزرع الحشيش والأفيون فى فلسطين ، والهند ، وتصدره الى العالم العربى ومصر ٠ ولم تستطع أى حكومة محلية عربية أن تمنع دخول المخدرات الى بلادها بطريقة حاسمة بسبب تدخل المندوب السامى البريطانى ٠٠ وعندما كونت مصر فرقة خاصة من حرس الحدود (الهجانة) لمكافحة المخدرات أصرت بريطانيا أن يكون رئيسها ضابطا بريطانيا فكان فى الواقع ينظم ويسهل وصول المخدرات الى طالبيها وتجارها تحت اسم مكافحة المخدرات ٠

ثم جاءت حكومة الثورة فى مصر سنة ١٩٥٢ م فأصدرت أول قانون حاسم يقضى بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة على من يتجر بالمخدرات ٠

وكان المأمول أن يقضى هذا القانون على تلك التجارة المخربة ٠٠ ولكن كانت اسرائيل قد حلت مكان بريطانيا فى فلسطين وأخذت

تتفنن وتتوسع فى زرع المخدرات وتصديرها الى البلاد العربية بشتى طرق التحايل سواء بالبر أم بالبحر أم بالجو ·· وكان لها من ذلك ثلاثة أهداف :

١ ـ تحطيم الأمة العربية صحيا ومعنويا باغراق أسواقها بمخدرات رخيصة ·

٢ ـ تحطيم الاقتصاد العربى اذ ذكرت بعض الاحصاءات الدولية أن دخل اسرائيل من تهريب المخدرات الى البلاد العربية يبلغ سنويا ٤٦ مليونا من الجنيهات ·

٣ ـ تمويل عمليات التجسس داخل العالم العربى من دخل المخدرات ·· فكانت تدفع لجواسيسها بدلا من المال شحنات من المخدرات ·

ومن كل هذا التاريخ الأسود للمخدرات نرى مدى خطرها على الاسلام والمسلمين وأهمية مكافحتها عن طريق الدين والتوعية فى المساجد واقناع الناس بمدى ما فيها من اثم وحرمة ··

المخدرات من الناحية العلمية :

اصطلحت الهيئات العلمية على اعتبار المخدر هو أى مادة تحتوى على عناصر تحدث تأثيرا فى عقل الانسان وعواطفه سواء كان هذا التأثير منبها أو مسكنا ·

فمن المخدرات المنبهة : الكوكايين والبنزدرين ·

ومن المخدرات المسكنة :

(أ) مشتقات الأفيون كالمورفين والهيروين والكوادين ·

(ب) مخدرات غير أفيونية : مثل الحشيش والكحول ·

وهناك تقسيم آخر للمخدرات الى :

(أ) مخدرات طبيعية : وهي عبـــارة عن نباتات وأعشاب مثل : القات . والأفيون ـ والحشيش .

(ب) مخدرات كيميائية : وهي عبارة عن مستخلصات تحضر بطريقة كيميائية ومنها : الكحول ـ الكوكايين والمورفين والهيروين والميرجوانا .

وهـكذا نجـد ان التقسيم العلمي يجعل الخمر كواحـد من المخدرات وتنطبق عليه جميع قوانين المواد المخدرة .. ولهذه الحقيقة العلمية أهميـة كبيرة وحيوية عنـدما نتحدث عن رأى الدين في المخـدرات .

مواطن زراعة واستهلاك المخدرات في العالم العربي والاسلامي :

يزرع الأفيون بكثرة في ايران وتركيا . ويزرع القات في اليمن .

وأكثر مستهلك للمخدرات في العالم العربي هو اليمن ويليه مصر وشمال آفريقيا والسودان ثم سوريا ولبنان .. وقد جاء في تقرير لهيئة الصحة العالمية أن ٨٠ ٪ من سكان احدى البلاد العربية يتعاطون المخدرات (القات) رجالا ونساء وفي بلاد أخرى تبلغ النسبة ٢٥ ٪ بين الرجال وهـذه الاحصائيات تبين لنا جسامة المشـكلة وأهمية دراستها وعلاجها .

أسباب انتشار المخدر في العالم العربي :

١ ـ الجنس : اذ يعتقد العوام أنها مغيبة ومقوية للجنس .

٢ ـ عادة ختان البنات : اذ أنها تؤدى الى البرود الجنسي عند المرأة .

٣ ـ المشاكل العائلية والفقر والحزن ٠

٤ ـ الكبت الجنسى وعدم وجود الحياة الاجتماعية والتأخر فى الزواج ٠

٥ ـ عـــدم وجـــود المسليات البريئـــة كالنوادى الرياضية والاجتمـــاعية ٠

٦ ـ ضعف الوازع الدينى والتربوى ٠

٧ ـ تهاون الحكومات المحلية فى التوعية والعلاج والاكتفاء بالاجراءات البوليسية ٠

التأثير الأخلاقى والصحى للمخدرات :

المخـــدرات تؤدى الى تحطيم شخصـــية المدمن وهو ما يسميه علماء النفس بتفكك الشخصية ٠ ومن مظاهر هذا التفكك الفشل فى العمل والحيـــاة فتجـــد المدمن ينتقل من عمل الى آخـــر ومن وظيفة الى أخرى الى أن يخسر كل فرص العمل والرزق ويستسلم للبطالة ٠

والمدمن متقلب العواطف ٠٠ يكره بسرعة ويحب بسرعة ٠٠ عديم التحـــكم فى غرائزه وعواطفه ٠٠ لا يحتـــرم مشاعر غيره من النـــاس ٠ سيىء المعاملة لأهله ووالديه وقد يضرب أمه وأقـــرب النـــاس اليه ٠

وأكثر المدمنين مصاب بمركب النقص أو مركب العظمة ٠

وكثير منهم يميل الى الشذوذ الجنسى ٠ فمنهم الماسوشى ، أى الذى يتلذذ بأن يضرب ويعذب ويهان ٠٠ وهذا النوع ينقلب عند الكبر الى السادية ، أى يتلذذ بتعذيب غيره واهانته ٠

وهذا النوع الأخير اذا أصبح رئيسا في عمل أو مسئولا عن غيره من الناس يجد السعادة في تنغيص حياتهم وجرح مشاعرهم وانزال أقصى العقاب عليهم ..

وقد يقول قائل ان هـذه الصفات التي يطلق عليهـا تفكك الشخصية قد توجد بدرجات متفاوتة في أناس عاديين لا يتعاطون المخدرات .. ولكن القاعدة العلمية أن كل شخص من هذا النوع يكون لديه استعداد طبيعي للادمان .. وأنه أسـهل من صاحب الشخصية السليمة وقوعا في أسر المخدرات فاذا أدمن برزت هذه الصفات جميعا بصورة ملحوظة وخطيرة .

وأخيرا .. فان مدمن المخـدرات اذا اشتد به الادمان يبدأ في الانحراف فيكذب ويغش ثم يسرق ويقتـل في سبيل الوصول الى بغيته .. والى جانب هذا من الملاحظ أن لكل نوع من المخدر تأثيرا مستقلا على الأخلاق فتعاطي القات يؤدي الى فقدان الارادة والتفكير بحيث يمكن الايحاء الى المدمن بعمل أي شيء ولو كان ضد رغبته فاذا رأى أحـدا يبكي بكى معه واذا رأى أحـدا يضرب نفسه ضرب نفسه مثله .

ومن أهم آثار الكوكايين اضطراب العقـل وشـعور المريض بالحشرات تزحف تحت جلده فتراه يخلع ملابسه في الطريق العام لكي يبحث عن الحشرات فيها !!

الأثر الطبي للمخدرات :

يختلف الأثر الأول للمخدر من نوع الى آخر . فالمخدرات المنبهة كالأفيون تحـدث نشاطا في الجسم وشعورا بزوال التعب . أما المخدرات المسكنة كالحشيش والخمر فانها تزيل الآلام والتعب

عن طريق التسكين ليحل مكانه الانبساط والمرح وانطلاق اللسان ·

ولكن ما أن يتعود الجهاز العصبي للانسان على هذه الجرعة الصغيرة حتى لا تعود تحدث فيه هذا التأثير الأولى · فيضطر الشخص الى تناول جرعة أكبر كل مرة حتى يحصل على الأثر السابق ·· فينتهي به الأمر الى الادمان مع جميع مضاعفاته ·· وتؤثر المخدرات على الجهاز الهضمي فتفقد الشهية للأكل فينحل الجسم وتقل مقاومته للأمراض وتظهر البقع والقروح على الجلد ·· وتحدث المخدرات ارتخاء عضلات الوجه والجفون فيبدو الانسان كالنائم أو التائه وتحمر العيون ويصبح التنفس صعبا وبطيئا ويقل الأوكسجين الواصل الى الدم وأخيرا ينتهي المطاف بالمدمنين الى الجنون أو الموت المبكر أو السجن المؤبد بسبب جريمة يرتكبها وهو في غير وعيه ·

المخدرات والجنس :

من أهم دوافع الناس على تعاطي المخدرات الاعتقاد السائد أنها تقوي الجنس ، كما ذكرنا في حديثنا عن الخمر أن هذه المخدرات قد تفعل ذلك في أول أمرها فقط ·· والتعليل العلمي لذلك يرجع الى أنها تخدر العقل الواعي فتزيل الخوف · ولكن مع تكرار استعمالها تبدأ في التأثير على الجهاز العصبي فتسبب الفتور والضعف الجنسي المزمن وأكثر المدمنين تنهار حياتهم الزوجية والعائلية لأنهم عندما يدخلون في مرحلة الارتخاء والهبوط الجنسي يبدءون بالتنغيص على زوجاتهم والتشكيك في سلوكهن لكي يغطوا عجزهم ·

وأخيرا فانهم ينحرفون جنسيا ·· وأكثر هؤلاء المدمنين يتلذذ

بتعذيب نفسه وبتعذيب زوجته واضطهادها وكثير جدا من حالات الطلاق فى المحاكم يرجع الى المخدرات سواء كانت الخمر أم الحشيش ٠

وقد قامت بعض الهيئات العلمية والطبية بأبحاث حول أسباب انتشار الحشيش فى بعض البلاد العربية فوجدت أن لهذا علاقة بعادة ختان البنات لأن هذه العادة تصيب البنت بالبرود الجنسى مما يضطر الزوج الى اللجوء الى المخدرات أملا فى أن يساعده ذلك على الاطالة الجنسية ٠

الوقاية من المخدرات :

١ ـ خير علاج للمخدرات هو الوقاية أولا ٠٠ فكما أسلفنا أن أخطر مرحلة فى المخدرات هى الخطوة الأولى التى يحاول الانسان فيها تجربة شئ جديد من باب التغيير أو الملل ٠٠ وغالبا يتصور أنه سيجرب مرة واحدة ثم يمتنع ولكنه بعد قليل يعود الى التجربة مرة ثانية وثالثة الى أن يصبح مدمنا ٠٠ وهنا تبرز أهمية التثقيف الصحى والتوعية الدينية مجتمعين ٠٠ ويأتى دور رجل الدين فى التوعية أعظم من دور الطبيب والمشرف الاجتماعى وكافة أجهزة الاعلام لأن الناس فى العالم الاسلامى يتأثرون بأوامر الدين ونواهيه أكثر من تأثرهم بغيره ٠٠ ولهذا نقول ان من واجب رجل الدين أن يعلم ويدرس كل شىء عن هذه المخدرات وأضرارها وأن يكون ملما بطرق الوقاية وطرق علاج المدمن حتى يقدم المساعدة الفعالة الى من يلجأاليه طالبا العون والنصيحة ٠

٢ ـ ويجب الاكثار من مصحات علاج المدمنين وعدم تركهم ينشرون هذه الرذيلة فى الخفاء كما يجب عدم اللجوء الى الطرق البوليسية الا بعد استنفاد كل وسائل الاقناع والعلاج الطبى والنفسى

والتربوى والاجتماعى فهذه الوسائل البوليسية وحدها لاتزيد على أن تنقل الادمان من العلن الى السر •

٣ ــ ويجب ابطال عادة ختان البنات الا فى حدود ما علمنا الاسلام كما أسلفنا وهى سنة من سنن الفطرة ويبقى الآن دور التوعية الدينية لافهام الناس ما فيها من خطأ •

٤ ــ نشــر وسائل الترفيه وخصــوصا فى الأرياف بتشجيع النوادى الرياضية والاجتماعية وحفلات السمر البرىء •• ونشر الهوايات بين الشباب •

علاج المدمن :

ان المدمن لا يستطيع التوقف عن المخدر من نفسه ودون علاج حاسم وصبر طويل لأنه اذا حرم من المخدر فجأة شعر بآلام نفسية وجسدية لا طاقة له بها •• وتبدأ هذه الأعراض بعد الحرمان باثنتى عشرة ساعة فقط •• وقد ينقلب بسبب هذه الآلام الى وحش كاسر أو قاتل أو سارق وبعضهم يضطر الى بيع دمه ليحصــل بثمنه على المخدر •• والعلاج الوحيد أن يدخل مصحا خاصا حيث يعطى جرعات من نفس المخدر تقل بالتدريج حتى يزول الادمان ويعطى فى نفس الوقت مواد مضادة لهذا المخدر الى جانب العناية بصحته العامة •• ويجب أن يلحق بكل من هذه المصحات رجل دين يكون دارسا لعلم النفس وعلم الاجتماع أيضا كما هو حادث فى المصحات الأوروبية•• فقد وجد أن من أهم الوسائل لانجاح العلاج رفع معنويات المريض وتقوية عزيمته على الاقلاع عن الادمان •

رأى الدين في المخدرات :

ذكرنا أن من أهم أسباب انتشار المخدرات فى العالم العربى اعتقاد العوام أن القرآن لم يحرمها كما حرم الخمر .. وهذا خطأ جسيم قد دفع المسلمون ثمنه غاليا .. وعندما نزل فى القرآن أمره القاطع بتحريم الخمر .. جاء الناس من أنحاء الجزيرة العربية يسألون رسول الله عن المقصود بالخمر فمنهم من يسأل عن شيء يصنعونه من (الشعير) وكان رسول الله يسألهم (أمسكر هو ؟) فيقولون : نعم . فيقول الرسول : (كل شيء أسكر فهو حرام) . « رواه البخارى » .

وكان يعرف الخمر بقوله : (الخمر ما خامر العقل) « رواه الشيخان » .. أى أن كل شيء يؤثر على العقل يدخل فى حكم الخمر أى أن كل مخدر خمر وأن المخدرات تشمل الخمور وغيرها .

وقد سبق أن بينا فى التعريف العلمى للمخدرات أنها تشمل الخمر وتنطبق عليه كل أحكامها وعقوباتها ونواهيها .

وهكذا نجد أن حكم الشرع ينطبق مع حكم العلم فى أن كل مخدر يدخل فى حكم الخمر وكل خمر تدخل فى حكم المخدر . ويلخص رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة بقوله : (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام) . « رواه أحمد » .

وفى هذا يقول الامام ابن تيمية عن المخدرات

(وحدوثها بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم والأئمة لايمنع من دخولها فى عموم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسكر فقد حدثت أشربة مسكرة بعد النبى وكلها داخلة فى الكلم الجوامع من الكتاب والسنة) .

ويقول ابن تيمية أيضا فى كتابه : (السياسة الشرعية) :

(ان الحشيشة حرام · يحد متناولها كما يحد شارب الخمر من وجهة أنها تفسد العقل والمزاج وأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والمسكر لفظا ومعنى) ·

وفى مذهب الحنفيـــة ، أن من قال بحـل الحشيشـه زنديق مبتدع) ·

ويقول الامام الحافظ بن حجر :

(ان من قال : ان الحشيشة لا تسكر ــ وانما هى مخدر ــ مكابر فانها تحدث ما تحدثه الخمر) · ويقول الامام ابن القيم :

(ان الخمر يدخل فيها كل مسكر : مائعا كان او جامدا ، عصيرا أو مطبوخا فتدخل فيه لقمة الفسق والفجور ــ أى الحشيشة ــ لأن هذا كله خمر بنص قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر) · « رواه مسلم وغيره » ·

وقد استفتى الامام ابن تيمية فى المخدرات فقال :

(هذه الحشيشة هى وآكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله تعـالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة لعقوبة الله · ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر فهى بالتحريم أولى وقد أجمع المسلمون على أن السكر منها حرام · ومن استحل ذلك وزعم أنه حـلال فانه يستتاب فان تاب والا قتـل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين · وان القليل منها حرام أيضا بالنصوص الدالة على تحريم الخمر) ·

وما ينطبق على تحريم آكل الحشيشة والمخدرات ينطبق أيضا

على تحريم الاتجار بها ونقلها وزرعها وتجارتها لقول الرسول : (ان الله حرم الخمر وثمنها) .. الحديث رواه أبو داود .. وقوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله فى الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنهـــا والمشترى لها والمشترى له) . « رواه ابن ماجة والترمذى » .

أما عن القول بأن المخدرات أكثر تحريما من الخمور فذلك لأن الخمر تذهب العقل فقط ، أما المخدرات فانها تذهب العقل وتذهب المال وتذهب النفس ففيها ثلاثة آثام مجتمعة :

ـ أنها تذهب العقل لانها لا تؤدى فقط الى السكر ولكن أيضا الى الجنون فهى حرام .

ـ وأنها تذهب المال لأنها تؤدى الى البطالة أولا ولأنها أكثر كلفة من الخمر فهى لهذا حرام .

ـ وأنها تذهب النفس لأنها تؤدى بالمدمن الى الوفاة مبكرا فى شبابه فهى لهذا أيضا حرام .

فهذه ثلاثة أسباب تجعل المخدرات أشد تحريما من الخمر .

والله الموفق ..

لحم الخنزير

الأسباب العلمية لتحريمه فى الاسلام

كثيرا جدا ما يتعرض أى فرد مسلم وخصوصا اذا كان يزور بلدا أجنبيا فى أوروبا أو أمريكا أو حتى فى آسيا الى سـؤال هام حول الحكمة في أن الاسلام قد حرم لحم الخنزير ٠

وبعض المسلمين قد يرد بأن هـذا أمر جـاء به الدين ونحن كمسلمين ومؤمنين بديننا علينا بالطاعة دون جدل ولا نقاش ٠

والبعض الآخر يقول ان الخنزير حيوان غير نظيف ٠٠ فهو يحب أكل الرمم والزبالة والبراز ولهذا حرم على المسلم آكله ٠

ولكن حبذا لو كان هذا الرد مدعما بالحقائق العلمية والبحث المعملى بدلا من الاكتفاء بالآراء النظرية فمن المعروف حتى الآن أن هناك خمسة أسباب طبية وعلمية تدعو الى تحريم لحم الخنزير :

السبب الأول : يرجع الى كثرة اصابة الخنزير بأنواع خطيرة من الديدان وأهمها دودة التنيا **Taenea** ودودة التريكينا **Trichinosis**

(أ)الاصابة بدودة الخنزير الشريطية : Pigtape-Worm

وقد يقول قائل ان البقر أيضا قد يتعرض لنوع مختلف من الدودة الشريطية وليس الخنزير وحده ٠ وهنا وبالبحث العلمى تبرز لنا حكمة الله ٠

فهناك فارق كبير من ناحية الخطر على صحة الانسان وحياته بين دودة الخنزير ودودة الحيوانات الأخرى ٠

فدودة الخنزير اسمها العلمي ساليوم **Taenea Solium** وذلك لتمييزها عن دودة البقرة والمسماة ساجيناتا **Taenea Saginata**

وهناك فوارق ميكروسكوبية وعلمية بين الدودتين ولكن الفارق الذي يهمنا هو مدى ضررها بالانسان ٠ فدودة البقرة عندما تصل الى أمعاء المصاب تصيبه بأعراض طفيفة ويمكن القضاء عليها بأدوية بسيطة تعطى بالفم ٠

أما دودة الخنزير فانها لا تكتفي بالحيـــاة في الأمعاء فكثيرا ما تكمل دورة حياتها في جسم نفس الشخص المريض أو في جسم أى انسان آخر اذ تخرج الأجنة (اليرقات) من البيض وتخترق جدار الأمعاء الى الدورة الدموية وتتوزع على الأجهزة الحيوية للجسم حيث تتحوصل اليرقة في غلاف سميك الجدار وقد تصل الى حجم حبة الفول (٢ سم تقريبا) ومما يزيد خطرها أنها تفضل التحوصل في الجهاز العصبي (١) وتسمى الحوصلة **Cysticurcus Cellulosa**

ـ فاذا كانت الحوصلة في المخ أصابت الانسان بالجنون أو الشلل أو التشنجات العصبية ٠

ـ واذا كانت في العين أصابتها بالعمى

ـ واذا كانت في جدار القلب أصابته بالهبـوط أو الذبحة القلبية ٠

ـ وقد أثبتت الفحـــوصات المخبرية أن بين (٢) كل ١٠٠

---

(١) Clinical Parasitology by "Faust and Russel".

(٢) Clinical Parasitology by "Faust and Russel".

(مائة) ورم بالمخ أزيل بالجراحة وفحص ميكروبسكوبيا وجد أن ٢٥ منهم من دودة الخنزير أى بمعدل الربع ٠

ومعروف ان هذه الحوصلة فى مثل هذه الحالات لا تتأثر بالأدوية العادية التى تعطى بالفم لأنها تكون مغطاة بجدار سميك عازل وفى كثير من الأحيان تترسب مادة الكالسيوم فى الجدار ٠

وحتى اليوم لا يعرف العلم أسباب اتخاذ دودة الخنزير دون سائر الديدان لهذا المسار الغريب الذى يتنافى مع مبدأ المحافظة على النوع ٠ وذلك لأن انتقالها من أمعاء الانسان الى التحوصل فى عضلات جسمه سوف يؤدى الى توقف دورة حياتها برغم أن المراجع العلمية تذكر أن اليرقة تعيش فى هذه الحوصلة الى مدة قد تزيد على ٢٣ عاما (٣) ٠

والتعليل الوحيد هو أن الخنزير ربما كان فى العهود السابقة للتاريخ يأكل لحم الانسان الميت وبذلك وحده تنتقل الدودة من الانسان الى الخنزير مرة أخرى وتكمل دورة حياتها ٠

وحتى عصرنا هذا لم يكتشف الطب الحديث أى دواء او علاج لاصابة الانسان بحوصلة دودة الخنزير والعلاج الوحيد حتى يومنا هذا هو ازالتها بالجراحة ٠٠ اذا أمكن الوصول الى مكانها ٠

(ب) الدودة الثانية التى تصيب الانسان عن طريق الخنزير هى التريكينا : : Trichinosis — Trichinella Spiralis

وقد جاء فى احدى الاحصاءات العالمية (٤) أن بين كل ٦ خنازير

(٣) Control of Communicable Diseases in Man by «John Gordan».

(٤) Control of Communicable Diseases in Man by «John Gordan».

فى امريكا يوجد واحـــد مصابا بهـذا المرض • وبديهى أن هذه النسبة تزيد جدا فى البلاد المتخلفة وقد بلغ عدد المصابين من البشر فى العالم بهذا المرض سنة ١٩٠٧ (١) ٣٦ مليون اصابة •

ويذكر الدكتور ج• جوردون أن كل طرق الوقاية عن طريق فحص لحم الخنزير أثبتت (٢) عدم فعاليتها عـــلاوة على تكاليفها الباهظة كما أنها تعطى الانسان شعورا كاذبا بالسلامة من الاصابة بالمـرض •

وأعراض الاصابة بالتريكينا فى الانسان تشمل ارتفاع الحرارة وتورم الوجه وتزلة معوية حادة وقد تؤدى الى هبوط القلب • وفى كثير من الأحيان يصعب تشخيص المرض ويعالج على أنه حمى عادية وخاصة أنه من الصعب اكتشاف الدودة عن طريق تحليل البراز •

ومن المهم أن نعرف أن الطب الحديث لم يكتشف حتى يومنا هذا اى علاج للاصابة بالتريكينا فى الانسان •

ومعنى ذلك أنه لا يوجـــد أى علاج طبى لهذين النوعين من ديدان الخنزير •

طهو اللحم لقتل الديدان :

من المعروف أن الطهو الجيد للحوم فى درجة لا تقل عن ٧٠°م ولمدة كافية قد تصل الى ٣ ساعات يمكنه أن يقتل جميع الديدان فى الغنم والبقر •• ولكن الخنزير يختلف عن لحم البقر فى سرعة

---

(١) Parasitology for Medical Students, Dr. Adham A. Ragab.

(٢) Control of Communicable Diseases in Man, by "John Gordan".

طهوه واستوائه أى أنه يستوى فى درجة حرارة أقل وفى مدة أقصر من غيره من اللحوم وأتذكر أننى عندما كنت أدخل أى مطعم للشوى فى أوروبا Grill كنت أطلب لحم بقر ويطلب زملائى الأوروبيون لحم خنزير ، فكان لحم الخنزير يأتيهم بعد عشر دقائق على النار فى حين أن مثيلتها من لحم البقر وعلى نفس النار كانت لا تأتينى قبل نصف ساعة وربما أكثر ..

ومن هنا تذكر المراجع العلمية (٧) أن لحم الخنزير يستوى على النار ويكون صالحا للأكل قبل أن تموت الديدان فيه وخاصة التى بالداخل .

وجدير بالذكر أن الوقاية الوحيدة المضمونة التى يراها الأطباء الوقائيون من الاصابة بهذه الدودة هى فى عدم (٨) أكل لحم الخنزير فى المناطق الموبوءة بهذا المرض وهذا هو نفس الحل الذى توصل اليه الاسلام منذ ١٤ قرنا من الزمان .

وأخيرا قد يقول قائل : ان العلم الحديث قد جعل الناس فى أوروبا يهتمون بنظافة الخنزير ويضعونه فى حظائر حديثة لا يأكل فيها الا الأعشاب والبطاطس والخضروات ولكن الملاحظ برغم ذلك أن ديدان الخنزير مازالت منتشرة فى أكثر أنحاء العالم وخاصة فى آسيا كلها وشرق أوروبا وجميع بلدان أمريكا اللاتينية واذا كان مجموع المصابين بديدان الخنزير فى العالم حسب آخر احصائية سنة ١٩٤٧ كانوا ٢٩ (٩) مليونا من البشر فلابد أن هذا العدد قد تزايد الآن .

---

(٧) Clinical Parasitology by «Faust and Russel».

(٨) Clinical Parasitology by «Faust and Russel».

(٩) Parasitology for Medical Students, Dr. Adham A. Ragab.

السبب الثاني : أن لحم الخنزير أكثر قابلية لنقل جميع الأمراض الميكروبية المعدية من كل اللحوم الأخرى ·

فقد جاء في نشرة هيئة الصحة العالمية سنة ١٩٥٣ أن مخبراتها في الدانمارك التي تقوم (١٠) بفحص أنواع اللحوم الحيوانية قد وجدت أن لحم الخنزير هو أكثر قابلية للتلوث ونقل الميكروبات · وقد وجد أن ٦٠ ٪ فقط من لحوم الخنازير في الدانمارك خالية من الميكروبات Sterile والباقي ٤٠٪ يحمل أنواعا مختلفة من الميكروبات المعدية وغير المعدية · كما جاء في النشرة أن الميكروبات الشديدة العدوى في لحوم الغنم لا تزيد عن ٣٪ في حين أن هذه النسبة في لحم الخنزير ١٤٪ أي أكثر من أربعة أضعاف · وجاء في تحليل ذلك أن نسبة التعادل القلوى PH في لحم الخنزير PH Above 65 تكون عالية مما يساعد على سرعة نمو الميكروبات في عضلاته وسهولة معيشتها فيها سواء كان حيا أم بعد ذبحه · فاذا كانت هذه النسب في خنازير الدانمارك أنظف بلد في العالم فما بالك بغيرها من البلدان · ومن هذه الحقيقة نرى أن لحم الخنزير هو أسرع اللحوم الى التلوث وخاصة في المناطق الحارة ·

السبب الثالث : آكلات اللحوم محرمة على الانسان :

ولكي نفهم هذا السبب علينا أن نسأل أنفسنا أولا ·· لماذا لا يأكل الانسان القطط والكلاب والذئب والثعلب ؟ · بل لماذا لا يأكل لحم أخيه الانسان وربما كان لحمها ألذ من غيره وأكثر فائدة لجسمه ؟ · وما هو شعور أي فرد منا لو قيل له وهو يهم بأكل لحم أن هذا ليس لحم أرنب ولكنه لحم قط أو كلب أو قيل له ان هذا ليس لحم بقر ولكنه لحم انسان ؟ ·

---

(١٠) Meat Hygiene "W.H. O.», Geneva, 1975.

لا شك أننا نصاب بالغثيان والقيء ..

ويرجع ذلك الى حقيقة علمية هامة ..

فمن المعروف أن الحيـــوانات تنقسم من الناحية العلميــة الى نوعين :

(أ) قسم يسمى آكلات العشب Herbivora مثل الغزال والجمل والبقر والغنم والأرنب .

(ب) وقسم يسمى آكلات اللحوم Carnivora مثــل الأســد والذئب والثعلب والكلب وتعرف آكلات اللحوم علميا بأنها ذات الناب لأن لها أربعة أنياب كبيرة فى الفك العلوى والسفلى . ويعتبر الخنزير حسب هذا التقسيم العلمى من آكلات اللحوم لان له أنيابا كبيرة لا يوجد مثلها فى الغنم والبقر .

وهــذا التقسيم العلمى لا يقتصر على الحيوانات وحــدها بل يشمل الطيــور أيضــا اذ تنقسم الى آكلات عشب ونبــات كالدجاج والحمــام .

والى آكلات لحوم كالصقور والنسور والغراب والحدأة والتمييز العلمى بينهما أن الطائر آكل اللحوم له مخلب حاد يقتل فريسته ويمزقها ولا يوجد مثل هذا المخلب فى الطيور المستأنسة والداجنة .

ومنذ عرف الانسان الحضارة حتى يومنا هذا لم يحاول أكل لحم الحيوانات أو الطيور آكلة اللحوم الا فيما ندر وفى الظروف القاهرة أو فى بعض القبائل المتخلفة جدا .

ومن الحقائق المذهلة أن الاسلام قد حدد هــذا التقسيم العلمى ونبه اليه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان . اذ يقول رسول الله :

« حرم على أمتى كل ذى مخلب من الطير وكل ذى ناب من السباع » ٠

والسؤال الآن هو : لماذا يحرم أكل هذه الحيوانات ؟ ٠ ونقول ردا على ذلك :

١ ـ لأن هذه اللحوم تصيب آكلها بالضراوة والميل الى العنف للأسباب الآتية :

(أ) من المعروف فى علم التغذية أن الاكثار من أكل اللحوم عامة وبصرف النظر عن نوعية هذه اللحوم يؤدى الى ارتفاع الضغط وسرعة الانفعال وهياج الأعصاب (١١) ٠ وقد نبه الاسلام الى هذه الحقيقة قبل أن يقررها علماء التغذية فى عصرنا الحديث ٠ فرغم أن الاسلام قد نهى عن المذاهب النباتية وحث على أكل اللحوم الا أنه قد نهى عن الاكثار منها اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اياكم والاكثار من اللحم فان للحم ضراوة مثل ضراوة الخمر » ويقول أيضا : « لا بارك الله فى أهل بيت لحميين » ولكى تقدر مدى هذه الضراوة عليك أن تقارن بين حيوانين أحدهما كل أكله لحم كالذئب والثعلب وبين آخر كل أكله العشب كالغزال والغنم ٠٠ وحتى بين الحيوانات المستأنسة قارن بين القط فى شقاوته ومكره وبين الأرنب فى مسالمته ووداعته ٠

وقد لاحظت أثناء زيارتى للمكسيك والبلاد التى تهوى المراهنة على قتال الديوك أنهم يلجأون الى اطعام هذه الديوك المقاتلة باللحوم بدلا من الحبوب لكى تزداد ضراوة وحبا فى القتل والقتال مما يجعل هذه الطيور لا تكتفى بانهاء القتال قبل أن يقتل أحدها وهو أمر مخالف لطبيعتها فى الحياة العادية ٠

---

(١١) Nutrition in Health Disease, «Coooer and Banber».

(ب) من المعروف أيضا أن نوعية اللحم الذى تأكله الشعوب المختلفة يؤثر على طبائع هذه الشعوب بسبب احتواء هذه اللحوم على سميات ومفرزات داخلية ناتجة عن عملية (١٢) التمثيل الغذائى التى كانت تجرى فى جسم ذلك الحيوان وهذه المفرزات والهرمونات تحول فى دم الحيوان وفى عضلاته وتنتقل الى معدة البشر فتؤثر فى أخلاقهم وطبائعهم » . ولا يقتصر هذا التأثير على اللحم وحده بل على كل المنتجات الحيوانية وأولها اللبن .. فلبن الحمير مثلا له تأثير على طبيعة الطفل الرضيع يختلف عن لبن الغنم .

والحيوان المفترس عندما يهم باقتناص فريسته تفرز فى جسمه هرمونات ومواد تساعده على غريزة القتال واقتناص الفريسة ويقول الدكتور (س ليبج) المرجع فى علم التغذية أن هذه الافرازات تخرج فى جسم (١٣) الحيوان حتى وهو حبيس فى القفص عندما تقدم له قطعة لحم لكى يأكلها . ويعلل لنظريته هذه بقوله : « ما عليك الا أن تزور حديقة الحيوانات مرة وتلقى نظرة على النمر فى حركاته العصبية أثناء تقطيعه قطعة اللحم ومضغها فترى صورة الغضب والاكفهرار مرسومة على وجهه . ثم أرجع بصرك الى الفيل وراقب حالته الوديعة عندما يأكل العشب والحب وهو يلعب مع الأطفال ويحيى الزائرين » .

من هذه المعلومات نخرج بحقيقتين هامتين يمكن تطبيقهما على الخنزير :

الأولى : أن الخنزير بحكم انتمائه الى عائلة آكلات اللحوم أكثر عنفا وشراسة من الغنم والأبقار آكلات العشب .. ورغم أن

---

(١٢) الموسوعة الغذائية « على محمود عويضة » .

(١٣) نفس المرجع رقم ١٢ .

الخنزير الذى يبـاع فى الأسـواق حاليا هو فصيلة من الخنازير الوحشية تم للانسان استئناسها منـــذ آلاف السنين الا أن هذا الخنزير المستأنس لاتزال فيه ضراوة أجداده · ومن المعروف عن أنثى الخنزير أنها كثيرا ما تصاب بحالات عصبية بعد الولادة كما يحدث للحيوانات المفترسة فتقتل أولادها كلهم أو بعضهم ثم تأكلهم · وقد تهاجم من يقترب منها من البشر بضراوة ·· وعادة يضطر رعاة الخنزير الى خلع أنيابه وهو صغير حتى لا يصبح خطرا عندما يكبر · والملاحظ أن علماء العرب الأقدمين أمثال ابن سينا كانوا يقولون عن الخنزير هـــذه العبارة : « الخنزير منـــه الأليف والوحشى فهـو وحشى » ·

الحقيقة الثانية : أن أكل لحم الخنزير بصفة رئيسية فى طعام الانسان لابد بالتالى وبالبديهة أن يصيب آكله بشىء من الضراوة والعنف ولعل لحم الخنزير هو أحد أسباب ظاهرة العنف المنتشرة فى المجتمع الأوروبى والأمريكى والتى ما زالوا فى حيرة من تعليل أسبابها ·

٢ ـ تأثير هذه اللحوم على ترابط الأسرة والعفة الجنسية :

جـاء فى بعض كتب الفقه (ومنهـا الموسوعة الفقهية باب الأطعمة ص ٤٧) أن لحم الخنزير قد يكون له تأثير سيىء على العفة والغيرة الجنسية · وهذه ظاهرة جديرة بالاهتمام والتحليل العلمى · لقد ذكرنا ان طبائع الانسان وأخلاقه تتأثر بنوع اللحوم التى ياكلها وبطبيعة هذه الحيوانات فى حياتها الخاصة ·· ومن المعروف فى طبيعة الحيوانات آكلة اللحوم انها لا ترتبط بنظام الأسرة الواحدة ·· وغالبا يكون للذكر أكثر من أنثى كما أن الأنثى لا ترتبط بذكر واحد ·· وكثيرا ما يتعدى الذكر على اناث غيره ويقتله ليستولى على اناثه ·· وقد لوحظت هذه الحالة فى معظم القبائل البشرية البدائية

التى تعيش على آكلات اللحوم ، حيث يقل الارتباط الأسرى ويعيشون حياة أقرب الى حيوانات الغابة · وربما كان لحم الخنزير هو أحد أسباب ضعف العفة الجنسية وظهور الكثير من الظواهر الشاذة مثل تبادل الزوجات والزواج الجماعى بين الكثيرين من شعوب العالم الغربى ·

٣ – آكلات اللحوم اذكى من آكلات العشب :

لوحظ أن آكلات اللحوم أكثر وعيا وادراكا بما حولها ·· فالكلب أذكى من الخروف والقط أذكى من الأرنب والأسد أذكى من الحصان وهكذا ·· وهذا الذكاء يجعلها أكثر ادراكا وفهما لمعنى الذبح والقتل من آكلات العشب فأنت لا تستطيع أن تأكل كلبك لأنه يحس ويدرك ويتألم ويخاف مثلك ، وله مشاعر كمشاعرك · وربما كان من باب الانسانية والرحمة عدم ذبح مثل هذا الحيوان الذى يفهم ويخاف · ولهذا السبب تعتبر عملية ذبح الخنزير عملية شاقة وعندما يرى خنزير آخر يذبح فانه يصرخ ويحاول الهرب ·

الخنزير له صفات آكلات اللحوم :

بعض الناس قد يعترض بأن الخنزير قد أصبح مستأنسا فى أوروبا فى حظائر ومزارع نظيفة يعيش فيها على أكل البقول والنباتات فلم تعد تنطبق عليه اليوم صفات آكلات اللحوم ونرد على ذلك بالنقاط الآتية :

١ – حسب التقسيم العلمى فان كل حيوان له ناب كبير لكى يقطع به اللحم يعتبر من آكلات اللحوم والخنزير له أربعة أنياب كبيرة فى فكيه لا يوجد مثلها فى الغنم والبقر ·

٢ – أن العبرة هنا ليست بنوعية الأكل وحدها ولكن بنوعية

الحيوان وطبيعته التي يتوارثها في دمه عن أجداده الأولين ٠٠ ومهما استؤنس الحيوان وحاولنا تغيير طعامه وطباعه فستظل فيه بعض صفاته الأولى المتوارثة وسيظل الثعلب ثعلبا والخنزير خنزيرا ولو تربيا في البيوت أو الأقفاص آلاف السنين ٠

٣ ـ ومعظم المراجع العلمية تضع الخنزير في فصيلة تسمى أومنيفارا **Omnivara** (١٤) وهي التي تأكل اللحوم والنباتات معا ومنها الكلب والقط والانسان والخنزير وهي فصيلة وسط بين آكلات اللحوم وآكلات العشب ٠

٤ ـ وبرغم أن معيشة الخنزير في الحظائر النظيفة في أوروبا فما أن يخرج الى الغـــابة أو الحقل مع الرعاة حتى يقبل على التهام الفئران الميتة والرمم واذا دهست سيارة عابرة أحد الخنازير فان القطيع يتجمع حول جثته ليأكله ويجد في ذلك لذة أكثر من البقول التي تقدم اليه ٠

٥ ـ وتذكر المراجع العلمية أن محاولة اطعـــام الخنزير على النباتات والخضراوات وحدها قد فشلت في أوروبا وأمريكا اذ وجد أنه لا ينمو النمو الكافي كغيره من الخنازير الطليقة وذلك لان أمعاءه ليست طويلة الطول الكافي للحياة النباتية مثل الغنم وقد وجدوا(١٥) ان الطعام المثالي له هو الذي يشمل وجبات من اللحم الى جـانب النبات وغالبا يطعمونه لحم خنزير أو غنم أو خيل فهو لا يختلف في هذه الحالة عن الذئب أو الكلب ٠

من هذه الحقائق نجد أن كل ما ينطبق على آكلات اللحوم ينطبق على الخنزير مهما كان مستأنسا ويعيش على الأعشاب ٠

(١٤ ، ١٥) Encyclopedia Americana, Volume 26, Swine.

السبب الرابع : دهن الخنزير يسبب عسر الهضم ويزيد احتمال الاصابة بالذبحة القلبية وتصلب الشرايين ·

من المعروف طبيا أن اللحـوم المختلفة التى ياكلها الانسـان تتوقف سهولة هضمها فى المعدة على كمية الدهنيات التى تحويها وعلى نوع هذه الدهون ·· فكلما زادت كمية الدهنيات كان اللحم أصعب فى الهضم ومن هذه الناحية يحتوى لحم الخنزير على أكبر كمية من الدهن بين جميع اللحوم ثم يليه الغنم وأقلهم لحم البقر ·

وقد جاء فى الموسوعة (١٦) العلمية الامريكية أن كل ١٠٠ رطل من لحم الخنزير تحتوى على ٥٠ رطلا من الدهن أى بنسبة ٥٠٪ فى حين أن الدهن فى الضأن يمثل ١٧٪ فقط وفى العجول ٥٪ ·

وليست هذه هى المشكلة الوحيـدة · ولكن نوع الدهن أيضا يختلف اذ ثبت بالتحليل أن دهن الخنزير يحتوى على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة (١٧) Complicated Fats منهـا تريجلسريدز Triglycerides وتبلغ نسـبة الكولسترول فى دهن الخنزير الى الضـأن الى العجول ٩ ، ٧ ، ٦ ومعنى ذلك بحسبة بسيطة أن الكوليسترول فى لحم الخنزير ١٥ خمسة عشر ضعفا لما فى البقر · ولهذه الحقيقة أهمية خطيرة ·

لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول فى دم الانسـان Cholesterol وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعى تترسب فى الشرايين وخصـوصا شرايين القلب وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط وهى السبب الرئيسى فى معظم حالات الذبحـة القلبية والتى تسمى : القاتل رقم ١ فى أوروبا ·

---

(١٦) Science Encyclopedia, «McGraw-Hill».

(١٧) Clinical Parasitology by «Faust and Russel».

وقد ظهر من الاحصاءات التى نشرت عن مرض الذبحة القلبية وتصلب الشرايين أن نسبة الاصابة بهذين المرضين فى أوروبا أضعاف النسبة فى العالم العربى ٠

ونحن لا نريد أن ننكر او نتجاهل أن التوتر العصبى الذى تخلقه الحضارة الحديثة فى المجتمعات الصناعية مثل أوروبا وأمريكا من أهم أسباب مرض الذبحة القلبية ٠ وأن هذا التوتر أقل بكثير فى المجتمعات المتخلفة أو الزراعية ولكن العلم لا ينكر أيضا الدور الخطير الذى يلعبه الكوليسترول فى الذبحة وتصلب الشرايين وهكذا يجتمع العاملان معا فى المجتمع الأوروبى ٠

خامسا ـ الأنفلونزا الخنزيرية القاتلة Swine Influenza

لقد اكتشف العلم الحديث أخيرا أن الخنزير يقوم بدور حامل الميكروب أو خزان للميكروب فى حالة وباء الانفلونزا الذى يعتبر فى العصر الحديث أشد الأوبئة فتكا فى العالم ٠

ولهذا السبب سميت الانفلونزا الخنزيرية لأن نوبات الوباء تظهر أولا بين المزارعين المشرفين على الخنازير ٠

هذه فيما أعلم بعض الأمراض والأضرار التى تنجم عن أكل لحم الخنزير وما زال الباب مفتوحا أمام أطباء وعلماء المسلمين الى مزيد من البحث لعلهم يكتشفون لنا أسبابا جديدة تبين حكمة الاسلام فى منع لحم الخنزير ٠

التـــدخين
فى التاريخ والعلم والطب والدين

لقـــد أصبحت السجائر والتدخين من العادات الملازمة لحياة الانسان فى عصرنا الحديث .. وقد أصبح الناس فى وقتنا هذا فى حيرة شديدة بين نوعين من الاعلان كل منهما ضد الآخر ويناقضـــه تمام المناقضة ..

فشركات التبغ والصحافة والسينما تقدم له اعلانات مغرية عن السجائر تقول له : (انها لذيذة ومنعشة ومهدئة للأعصاب) الى غير ذلك من الاعلانات التجارية المنمقة ..

وفى نفس الوقت يجـــد الانسان اعلانات من الهيئات الصحية والأطباء والمجلات العلمية تقول فيه : (ان التدخين عادة قاتلة وضارة بالصحة وتجلب السرطان) .

وقد أصـــبح المواطن العـــادى فى حـــيرة من أمـــره بين هؤلاء وهـــؤلاء ..

فما هى القصة الحقيقية للتدخين فى العالم ؟ .. ما هو رأى الأطباء وعلماء الاجتماع وعلماء النفس فيه ؟ وما هو رأى الدين ؟

لمحـــة تاريخيـــة :

١ ـــ كان أول من اكتشف الدخان (كريستوفر كولمبوس) مع اكتشاف أمريكا . فقد وجد الهنود الحمر يزرعونه ويدخنونه بكثرة .

٢ ـــ وأول مرة عرفت أوروبا التدخين فى سنة ١٥٥٩ عندما

استورد البحار الفرنسي (نيكوت) الدخان الى فرنسا وقد سمي النيكوتين على اسمه ·

٣ ــ وهكذا لم يعرف العرب الدخان سواء في الجاهلية أم في الاسـلام ولكنه انتقل اليهم في العصـور المتأخرة وان كانت عادة التدخين لم تنتشر في البـلاد العربية والاسـلامية الا مع دخول الاستعمار في أوائل القرن العشرين ·

٤ ــ وفي كثير من بلاد العالم وخصـوصا في الشرق الأقصى والصين كان التدخين مرتبطا بالمخدرات كالأفيون ·

٥ ــ وفي بداية ظهور الدخان في أوروبا لم يستعمله أول الأمر الا الرقعاء والنساء الساقطات اذ كان المعتقد أن له علاقة بالجنس ·

٦ ــ ثم انتشرت العادة الى الطبقات الراقية من الرجال أولا ثم تلتهم النسـاء في الاقبال على التـدخين ، واخـيرا بدأ الأطفال والأولاد المراهقون في أوروبا وأمريكا بالتدخين علنـا حتى أصبحت العادة وباء منتشرا ·

٧ ــ وفي سـنة ١٩٤٨ اكتشفت الجمعية الطبيـة لمكافحة السرطان في أمريكا علاقة سرطان الرئة بالتدخين · ولكنها لم تستطع نشر تقريرها الا في سـنة ١٩٥٢ بسبب تدخل شركات الدخان وتهديدها ·

٨ ــ وعند هذا الوقت ابتـدأ الصراع العلني بين الهيئـات الصحية في العالم كله وعلى رأسها جمعيات مكافحة السرطان وبين شركات التبغ الغنية القوية النفوذ ·

وتبلغ حاصلات تلك الشركات في أمريكا وحدها خمسة آلاف مليون دولار في السنة الواحدة وهي ميزانية تكفي لتغـذية القارة

الافريقية كلها ٠٠ كما أن الحكومات تحصل على ضريبة مجزية من انتــاج التبغ واستيراده وقد انضـم الى شركات التبغ ومحصـلى الضرائب المستفيد الثالث وهم أصحاب الصحف فى أمريكا اذ يبلغ دخلهم من اعلانات السجائر سنويا ٧٠ مليون دولار ٠

السيجارة ذات الفلتر والمحسنة :

ومنـذ نشرت هذه التقارير الطبيـة نشطت شركات الدخان لمواجهة الحملة ، فأدخلت فى سنة ١٩٥٣ السـيجارة الكبيرة ذات الفلتر ، كما توصلت الى معالجة بعض أنواع التبغ كيميائيا للاقلال من النيكوتين بحيث أصبح نصف الكمية العادية ٠ وهنا عكفت معامل البحث الطبى على دراسة هذه التغييرات وفوائدها ثم خرجت بالتقرير التالى :

١ ــ ان مادة النيكوتين فى السيجارة هى التى تسبب المتعة و (الكيف) لدى المدخن ٠٠ وان السيجارة تفقد طعمها عند الاقلال من النيكوتين بالفلتر أو بالتفاعل الكيميائى وهذا بدوره يضطر المدخن الى الاكثار من السجائر حتى يأخذ نفس الكمية من النيكوتين٠

٢ ــ ان شركات التدخين لكى تحتفظ بالنكهة والطعم اضطرت الى التعويض باسـتعمال التبغ الخشـن والأقوى مما زاد كميـة النيكوتين ٠

٣ ــ ان المصفاة أو الفلتر تستطيع تنقية أو حجز ذرات القطران والدخان الكبيرة فقط ، أما الصغيرة وهى الأكثر ضررا فانها تنفذ الى الرئة عن طريق الفلتر ٠

وهكذا خرجت التقارير الطبيـة تكذب جميع ادعاءات شركات الدخان بأن التحسينات التى أدخلوها قد قللت أضرار السجائر ٠

المواد الضارة في الدخان :

أثبتت معامل التحليل الطبي أن دخان السجائر يشتمل على اثنتى عشرة مادة ضارة بالصحة فمنها :

١ ـ أول اكسيد الكربون : وهو غاز سام عديم الرائحة واللون ٠

٢ ـ ثاني اكسيد الكربون ٠

وهذان الغازان يحرمان الرئة والدم من كمية الأوكسيجين اللازمة ٠٠ وقد أثبت العالم الأمريكي (دواين ماك قام لاند) الأستاذ بجامعة واشنطن أن التدخين يقلل الأوكسجين الواصل الى المخ بنسبة ١٥٪ وأن هذا يجعل المدخن أبطأ تفكيرا من غيره ٠

٣ ـ غاز كبريتيد الهيدروجين بكمية قليلة ٠

٤ ـ النشادر ٠

٥ ـ السيانيد وهو مادة سامة ٠

٦ ـ حامض الكربوليك ٠

٧ ـ بعض الحوامض الطيارة مثل الخليك والنمليك والنيترويك وهذه كلها يضيفها أصحاب المعامل للاحتفاظ بالدخان رطبا ٠

٨ ـ نتروبيرين وهي مادة مسببة للسرطان ٠

٩ ـ القطران وهو يسبب سرطان الرئة ويعطي دخان السيجارة لونه الأسمر الداكن ٠

١٠ ـ الزرنيخ من المبيدات الحشرية التي يرش بها التبغ ٠٠

١١ ـ رماد ورق السيجارة ٠

١٢ ـ مادة النيكوتين التي تؤثر على الدورة الدموية ٠

وهكذا نجد ان أخطر هذه المواد جميعا هو : النيكوتين لتأثيره على القلب والقطران المسبب للسرطان ٠

النيكوتين :

ويرجع خطر النيكوتين الى وجوده بكمية كبيرة فى التبغ ٠٠ وقد وجد الباحثون أن كل عشرين سيجارة يحتوى دخانها الداخل الى الرئة على ٦٠ مجم من النيكوتين ٠ ومن المعروف طبيا أن هذه الكمية (٦٠ مجم) من النيكوتين اذا حقنت فى العضل مرة واحدة تكفى لقتل الانسان

وهناك نوع من الناس يدخن السيجارة فى فمه فقط للاقلال من أضرارها ٠

والنوع الآخر يدخن السيجارة داخل الرئة فيمتص ٩٠٪ من مادة النيكوتين ٠

آثار النيكوتين الطبية :

١ ــ تؤثر مادة النيكوتين على الأعصاب المحركة للعضلات فتضعف مفعولها مما يضعف الاشارة العصبية وهذا يضعف حركة عضلات الصدر والحجاب الحاجز وعضلات الأطراف ولذلك كان معظم المدخنين يصابون باللهثة من أى مجهود جسمانى ٠

٢ ــ تكبر فتحة العين مما يسبب الزغللة فى النظر وهو المرض المسمى زغللة التوباكو ٠٠ Tobacco Amplyopia

٣ ــ تنقص افرازات اللعاب مما يسبب جفاف الحلق والتهاباته وتقلل افرازات المعدة مما يسبب نقص الشهية وسوء الهضم كما

تقلل حركة المعدة والأمعاء مما يصيب أكثر المدخين بالامســاك المزمن ٠

٤ ـ والنيكوتين يسبب سرعة نبضات القلب وزيادة الضغط ويمكن التأكد من ذلك بقياس نبض شخص حديث العهد بالتدخين فسوف يزيد نبضه بعد أول سيجارة ٢٠ نبضة فى الدقيقة ٠

٥ ـ ويسبب التـدخين انقباض الأوعية الدموية فى الجسم كله ٠

(أ) فانقبـاض اوعيـة الجلد ينقص الحرارة فى الوجـه والأطراف ٠

(ب) وانقباض اوعية المخ يسبب الصداع وبطء التفكير ٠

(جـ) وانقباض أوعية القلب يعرض للذبحة القلبية ٠

(د) وانقباض أوعية الأطراف يسبب الرعشة وعدم الدقة فى اصابة الهدف واذا اشتدت الحالة أدى الى مرض (برجر) الذى تظهر فيه قرح على القدم ثم غرغرينا ٠

التدخين وأمراض القلب :

١ ـ يسبب التدخين : تسرعا فى نبضات القلب ٠

٢ ـ ويزيد احتمال الاضطراب فى النبض ٠

٣ ـ ويؤدى الى انقباض الشريان التاجى مما يعرض للذبحة القلبية ٠

٤ ـ وقد أثبت الدكتور (داوين ماك فارلاند) أن للتدخين علاقة بزيادة نسبة (الكوليسترول) فى الدم وهى مادة تترسب فى

أوعية القلب وتزيد ضيقها .. وقد وجد الباحثون أن الوفيات بالقلب في سن ٤٥ هي ١٥ وفاة لكل ألف شخص غير مدخن و ٢٥ وفاة لكل ألف شخص مدخن .. ولذلك فان أول نصيحة يوجهها الطبيب الى المريض بالذبحة القلبية هي الامتناع كليا عن التدخين والكحول .

التدخين والسرطان :

أثبتت البحوث العلمية على ١٥٠٠ حالة مصابة بسرطان الرئة أن جميعهم (ما عدا ثمانية) من المدخنين .

كما أن سرطان الرئة يكثر بين الرجال ويقل بين النساء .

وقد أجرى أحد الأطباء تجربة طريفة : فأخذ بعض الخلايا الحية من رئة سليمة ووضعت تحت الميكروسكوب . ثم راح يراقب أهداب الخلايا وهي تتحرك في نشاط . ثم أخذ ينفث دخان السجائر على بعض هذه الخلايا فقلت حركة الأهداب وماتت الخلايا بعد عشرين دقيقة .. في حين أن مثيلتها التي لم تتعرض للدخان ظلت أهدابها تتحرك بنشاط لمدة ساعة كاملة .

ولا يقتصر سرطان الدخان على الرئة وحدها ولكنه قد يصيب الشفة واللسان والحنجرة والبلعوم .

ضرر التدخين بالمرأة :

١ ــ يسبب التدخين في البنات اضطرابات العادة الشهرية بحيث تتقدم أو تتأخر عن موعدها وسبب ذلك تأثيره على الغدة الدرقية .

٢ ــ وأثناء الحمل تصل كل منتجات الدخان من دم الأم الى دم الطفل مما يسبب له سرعة النبض واضطرابه ٠

٣ ــ واثنــاء الرضاعة تصــل هذه المواد مع حليب الأم الى الطفل ٠

٤ ــ وقد أثبت البحث احتمال حــدوث عاهات وتشوه فى الأجنة من التدخين ٠

٥ ــ ويحــدث التدخين ضعفا فى عضــلات الأم مما يسبب عسر الولادة ٠

هل تريد برهانا أكثر من ذلك :

اذا أردت التأكد بنفسك من أضرار التدخين فهــذه بعض التجارب العلمية التى تستطيع أن تجريها على نفسك :

١ ــ استنشق دخان سيجارة ودعه يدخل الرئة ثم أخرجه تجده رائقا غير ملون لأن القطران الذى يعطى الدخان لونه الأسمر يترسب فى الرئة ، والآن أعد التجربة مع حفظ الدخان فى الفم فقط ثم أخرجه ثانية تجده أسمر داكنا لأن القطران يخرج كما هو ٠

٢ ــ التجربة الثانية ــ أحضر حلقة متصلة بجرس كهربائى وفى الطرف الآخر سلك بحيث اذا لامس السلك الحلقة دق الجرس ٠ وابدأ التجربة بعد أن تدخن سيجارة واحدة وستجد ان عدد أخطائك قد تضاعف مما يؤكد أن التدخين يسبب رعشــة فى اليد ويقلل القدرة على التحكم فى الأطراف ٠

٣ ــ اذا زرت متحفا طبيا ودققت النظر فى رئة رجل لا يدخن وأخرى لرجل مدمن التدخين لوجــدت أن رئة المدخن سوداء من

الداخل وكأنها مدخنة للفحم فى حين ان الرئة الطبيعية السليمة تكون وردية اللون ٠

هل للتدخين اضرار نفسية واخلاقية :

كثير من الناس يتصور ان التدخين يريح أعصابه وينسيه همومه ويساعده على التركيز الذهنى ٠٠ ويرد علماء النفس على ذلك بأن الانسان عندما يشعل السيجارة ويراقب دخانها فى الهواء انما يتسلى بهذه العادة عن بعض مشاكله ومشاغله ٠ فهو تأثير نفسى لا علاقة له بالتأثير الكيميائى للدخان ومن الممكن الاستعاضة عنه بأى عادة أو هواية غير ضارة بالصحة مثل سماع الموسيقى أو لعب الشطرنج أو حتى استعمال المسبحة ٠

والتدخين من العادات القوية جدا التى تصل فى أغلب الأحيان الى حد الادمان ٠ وما لم يكن المدخن ذا ارادة صلبة وعزيمة قوية فانه يصعب عليه التوقف عن التدخين مهما أصابه من أضرار ٠

وكثير من الناس يؤثر التدخين على أخلاقهم وتصرفاتهم ويغير مجرى حياتهم دون أن يشعروا بذلك ودون أن يعترفوا أو يقروا به ٠ ومثلهم فى ذلك كالسكران الذى يتمايل سكرا فى الهواء ثم يؤكد أنه لم يشرب الا قليلا وأنه مسيطر على نفسه ٠

ـ فالفتى المراهق عندما يبدأ فى التدخين فى سن مبكرة يضطر أن يفعل ذلك خفية عن والديه ويضطر بالتالى الى الكذب اذا سئل فى ذلك وفى كثير من الأحيان يضطر الأولاد الى سرقة الدخان أو سرقة المال لشرائه ٠٠ فتفسد السجائر أخلاقهم بعد أن تفسد صحتهم ٠

ـ وتؤثر عادة التدخين على الكبار أيضا نفسيا وأخلاقيا ..
فكثير من الرجال يصبح قلقا عصبيا سريع الغضب اذا حرم من السجائر لأى سبب أو اذا اضطر الى الامتناع عنها بسبب الصوم أو بسبب أمر الطبيب .

ـ ومن الناس من لا يستطيع التركيز لقراءه كتاب أو أى عمل ذهنى الا والسيجارة فى يده ، ومنهم من لا يستطيع القيام من فراشه لعمل الصباح أو الذهاب الى النوم الا بعد تدخين سيجارة .

ـ وقد برزت أخطار عادة التدخين ومدى سيطرتها على حياة الناس فى ظروف الحرب العالمية الأولى والثانية ، فعندما كانت السجائر تشح أو توزع بالبطاقات كان المدخنون يصابون بحالات عصبية وكانت معنوياتهم بالتالى أقل من غيرهم واذا سمح لهم بالتجول بعد الغارات الجوية الطويلة فانهم يتهافتون أول أمرهم على محلات بيع السجائر ولا يهمهم بعد ذلك أن يحصلوا على طعامهم !!

وقد قام أحد علماء الاجتماع ببحث طريف فى معتقلات الأسرى فى الحرب وفى السجون فوجد أن بعض الضباط الأسرى كانت لا تكفيهم كمية السجائر التى توزع عليهم يوميا وكان بعضهم لا يتورع عن القيام بأى خدمات لزملائه الذين لا يدخنون لكى يحصل على نصيبهم ولو اضطر الى مسح أحذيتهم أو غسيل ملابسهم .

ويروى طبيب أمريكى أن شخصا أصيب بمرض (برجر) وهو حالة تصيب القدم بقرح كبير قد تؤدى الى (الغرغرينا) ويرجع سببه الرئيسى الى تأثير مادة النيكوتين فى الدم .. أخذ الطبيب يشرح لمريضه أن علاجه الوحيد يتوقف على اقلاعه عن التدخين .. وذات يوم دخل الطبيب حجرة المريض فجأة فوجده يدخن فقال له غاضبا : (اما أن تقلع عن التدخين واما أن نضطر

الى قطع رجلك فاختر بينهما) فأخذ المريض يفكر ثم قال : (أتقطعها فوق الركبة أو تحت الركبة) ؟؟!!

ومن الطرائف التى تروى أيضا ان أستاذا فى كلية الطب وقف يحاضر طلبته عن أضرار التدخين ·· وعقب خروجه من المحاضرة أشعل سيجارة ·· فقال له أحد الطلبة : هل الامتناع عن التدخين صعب الى هذا الحد · فقال الأستاذ : كلا يابنى ·· انه أمر سهل جدا · والدليل على ذلك أننى قد امتنعت عنه أكثر من ألف مرة) ·

التدخين فى الدين :

لم يكن التدخين معروفا على عهد الرسول ·· ولم يات ذكره فى أى دين من الأديان ·· كما أنه لم يات ذكره فى القرآن أو أحاديث الرسول ·· ولكن هناك قواعد عامة معروفة ومحددة ·

القاعدة الأولى :

هى قول الرسول (الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام ما حرم الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا لكم) « رواه الترمذى وابن ماجة » · وقوله « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسالوا عنها » (رواه أحمد وغيره) ·

من هذه القاعدة نجد أن كلمة الحرام والحلال هى من حق الله وحده وهى كلمة خطيرة لا يمكن اطلاقها على أى شىء لمجرد الاجتهاد ، ومن الخطأ وضع السجائر فى باب الحرام أو الحلال ·

القاعدة الثانية :

ان الأشياء التى قد تضر بالصحة ولكنها ليست مغيبة للوعى أو مسكرة ولم يأت تحريمها فى الكتاب أو فى السنة تعتبر مكروهة فى الدين .. وقد كان فقهاء الاسلام اذا سئلوا فى أمر كهذا قالوا : (هذا مكروه وهذا لا بأس به . أما أن نقول هذا حلال وهذا حرام فما أعظم هذا) .

وعلى ذلك فان التدخين مكروه شرعا لثلاثة أسباب :

- لضرره بالصحة .
- لاتلافه المال دون فائدة .
- لأنه يربى الادمان مما قد يعوق عن الصوم أو العبادات .

متى يصبح التدخين حراما ؟ :

الاسلام يحرم أى عمل ضار بالانسان وسواء كان هذا الضرر خطرا على حياته وصحته أو كان خطرا على رزقه ورزق أولاده . فهنا يكون الاقدام على هذا العمل محرما لان الله تعالى يقول : « **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة** » والرسول يقول : « لا ضرر ولا ضرار » وعلى هذا فهناك حالات يكون فيها التدخين حراما . ومن يقدم عليه وهو يعلم بضرره يرتكب اثما كمن يقتل نفسه أو يضر بغيره ومن هذه الحالات :

(أ) المرض الذى يصبح معه مواصلة التدخين انتحارا وأوله مرض الذبحة القلبية .

ومرض موت الأطراف (الغرغرينا) الناجمة عن تصلب الشرايين فى القدمين ويسمى (مرض برجر) . مرض سرطان الرئة والتهاب الرئة المزمن .

(ب) كما يحرم التدخين على غير البالغين لأنه يؤدى فى هـذه السن الى الانحراف الخلقى الى جانب أضراره الصحية ٠

(جـ) كما يحرم على من لا يقدر عليه ماديا بحيث يضطر الى حرمان نفسه من الطعام الضرورى أو حرمان أولاده من نعم الحياة ٠

(د) ويحرم على الأم المرضع والحامل ٠

كيف تمتنع عن التدخين ؟ :

ـ ان الوسيلة الأولى لابطال أى عادة سيئة هى المعرفة ٠٠ أى دراسة مدى أضرارها وخطرها على الصحة والاقتناع بعواقب الاستمرار فيها ٠٠ ومن الأشياء التى تزيد اقتناعك أن تزور أحد المتاحف الطبية لترى اللون الفحمى الأسود لرئة المدخنين وترى بنفسك بعض أنواع سرطان الرئة والحلق واللسان ٠

ـ وبعد المعرفة فى التأثير تأتى العزيمة والارادة ٠

ويرى علماء النفس أن مما يقوى عزيمة الانسان وارادته أن يعلن الى جميع أصدقائه وأهله عن موعد محدد لترك التدخين أو أن يقسم قسما أمام الله ٠ ويفضل الأطباء طريقة ترك التدخين فجأة بعكس من يرون الامتناع التدريجى ٠ ونحن نرى أن خير فرصة لابطال عادة التدخين هى شهر رمضان المبارك ٠ ففى أثناء الصيام تقل مادة النيكوتين فى الدم الى حد أدنى ويسهل على الصائم ان يتخلص من عادة الادمان التى تسببها هذه المادة ٠٠ ومن المعروف أن الأسبوع الأول يكون دائما أصعب فترة على المدخن فاذا اجتاز هذه المرحلة سهل عليه الاستمرار والصمود ٠

ـ وهناك عدد من الأدوية والعقاقير التى تساعد على الاقلاع عن التدخين فى الصيدليات ٠ منها أقراص سـكرية تعوض عن

السيجارة ومنهـا مضمضة أو غسول قابض للفم ومنهـا أقراص (لوبيلين) ويباع تحت اسم (لوبيدان) ويؤخذ منه قرص ثلاث مرات في اليوم بعد كل وجبة لمدة أسبوع · وهو يجعل الانسان يكره الدخان (ولا يستعمل الا تحت اشراف طبى) ·

ـ ولا ريب أن المدخن عندما ينتصر على نفسه ويحس بالراحة وزوال السعال الذى كان يلازمه وانفتاح شهيته للأكل واقباله على الرياضة والحركة بنشاط الى جانب زوال الصداع والبلغم فسوف يكون ذلك خير مشجع على الصمود والاستمرار ·

عسل النحل

فى العسل ١٩ مادة مفيدة للجسم

العسل فى التاريخ والأديان :

لم يحـدث أن اهتم الانسان بغـذاء معين قدر اهتمامه بعسل النحل ·· وقد وجد عسل النحل مخزونا فى مقابر الفراعنة منذ أكثر من خمسة آلاف سنة اعتقادا منهم أن الانسان اذا قام يوم البعث سوف يأكل العسل فيسترد بذلك عافيته وقوته والغريب أن هذا العسل قد احتفظ بطعمه وخصائصه فى الآنية التى وضع فيها ولم يتغير فيه سوى لونه الذى أصبح يميل الى السواد ·

وورد ذكر العسـل فى أشعار قدماء الهنـود وفى أناشيدهم المقدسة كغذاء ودواء · ولقد ورد ذكر العسل فى التوراة أيام النبى يعقوب عليه السـلام حين سافر أولاده الى مصر اذ نصحهم بتقديم قدر من العسل الى فرعون مصر كهدية ·

وقد اهتم الاسلام بالعسل ⋅⋅ فقال الله تعالى عنه :

« يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس » ⋅

ويؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكثر من حديث نبوى على أهمية العسل وعلى قيمته الغذائية والعلاجية ⋅⋅ فيقول صلى الله عليه وسلم :

« نعم الشراب العسل ⋅⋅ يرعى القلب ويذهب برد الصدر » ⋅

ويقول : « العسل شفاء من كل داء » ⋅

وعندما أوفد رسول الله رسله الى الملوك يدعوهم الى الاسلام اخذ المقوقس يسال حاطب بن أبى بلعتة حامل رسالة الرسول عن طباع الرسول وعاداته وأحب الطعام اليه ⋅⋅ فلما علم أن الرسول يحب العسل أرسل اليه عسلا من مدينة بنها فقال الرسول عنه : « بارك الله فى بنها العسل » ⋅

كيف تصنع النحلة العسل :

العسل هو الرحيق الذى تمتصه النحلة من مختلف الأزهار ثم تختزنه فى الخلايا السداسية للأقراص الشمعية ⋅⋅ وقد حص الله النحلة بقدرة فائقة على التمييز بين الأزهار النافعة وبين الأزهار الضارة أو السامة أو عديمة النفع ⋅ وقد أجريت هذه التجارب على النحل عدة مرات فى معامل البحث ووضع أمام النحل أزهار بعض النباتات والأعشاب ذات الخصائص الطبية النافعة ⋅⋅ وفى جانبها أزهار نباتات عديمة النفع ثم أخرى ضارة أو سامة ⋅⋅ فكان النحل كله يحط على النوع الأول وحده مهما تغير مكانه أو لونه أو نوعه ⋅

ويعد أن تمتص النحلة (١) الرحيق تخرج لسانها أثناء عودتها لكى تعرضه لأشعة الشمس المفيدة وللمساعدة على تبخر الماء منه وتركيزه .. وعندما تصل النحلة الى الخلية تبدأ عملية تركيب العسل فتفرز عليه خمائر من لعابها تحوله من سكر القصب المسمى (سكاروز) الى سكر الفواكه المسمى (ليفيلوز) والى (دكستروز) وهكذا توفر النحلة على الانسان عملية هضم هذه المواد السكرية . وقد لا تكون لذلك اهمية كبيرة للأصحاء الذين يستطيعون هضم السكر ولكنه هام جدا للمرضى والضعفاء والناقهين اذ أنه أسهل هضما وأسرع امتصاصا فى جسمهم .

والى جانب هذه العملية تقوم النحلة بعملية اخرى أكثر اهمية وهى تثبيت الفيتامينات فى العسل ومنعها من التحلل والفساد .

والنحلة الواحدة تعطى يوميا حوالى (١٠) عشرة جرامات من العسل ويقتضيها ذلك الطيران ستين (٦٠) مرة ذهابا وايابا ويحتاج صنع كيلو جرام واحد من العسل الى (٣٠٠) نحلة تقوم ب (٤٠) رحلة طيران .

تركيب العسل :

يتكون العسل من (١٩) مادة حيوية ومفيدة لجسم الانسان .. منهـا البروتين الذى يعطى الطـاقة الحرارية ويساعد فى نمو العضلات .. والكربوهيدرات على شكل السكر الذى يسهل هضمه وامتصاصه فيغذى المرضى والناقهين وفيتامين ب١ المفيد فى حالات شلل الأعصاب وتنميل الأطراف . وفيتامين ب٢ الذى يدخل فى علاج الأمراض الجلدية وقرحة الفم وتشقق الشفاه والتهابات العين واحمرارها .

---
(١) الموسوعة الغذائية .

وفيتامين ب٦ الذى يستعمل في علاج تشنجات الأطفال وبعض الأمراض الجلدية وحامض النيكوتينيك الذى يؤدى نقصه فى جسم الانسان الى ظهور مرض البلاجرا وفيتامين E الذى يؤدى نقصه الى العقم فى النساء والرجال ٠٠ ويشتمل العسل أيضا على أملاح الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والمنجنيز والحديد والنحاس والفسفور والكبريت والكلورين ٠٠ وبعض هذه المعادن تكون في صورة أملاح تساعد على تهدئة الأعصاب في حالات الاضطراب النفسى والعصبى وبعضها كأملاح الكالسيوم يساعد الأطفال على المشى وظهور الأسنان وبعضها كأملاح الحديد تقوى الدم وخصوصا فى الأطفال والناقهين وتزيد نسبة الهيموجلوبين فى كرات الدم ٠

وحتى عهد قريب جدا لم يكن أخصائيو التغذية والأطباء المعالجون يعلقون أهمية كبيرة على هذه المعادن فى عسل النحل ولكن اتضح أخيرا أن هذه المعادن رغم ضآلة كميتها موجودة فى العسل بنسب متوازنة تجعل الجسم البشرى يستفيد منها بسرعة أعظم وبصورة أكمل من الكميات المركزة ٠

وقد أجرى فريق من الباحثين بكلية كلورادو الزراعية عدة تجارب على عسل النحل برياسة الدكتور (ف٠ ج ساكيت) لكى يعرفوا أثر العسل فى القضاء على الجراثيم فوضعوا فى العسل ميكروبات التيفوس والتيفود والبارتقفود وميكروب الالتهاب الرئوى والبلورى وميكروبات الدمامل اى المكورات العنقودية والعقدية) وميكروب الدوسنتاريا فوجدوا أن العسل يقضى عليها جميعا فى مدد تتراوح بين ١٠ ساعات و ٢٤ ساعة فى حين أن هذه الميكروبات تستطيع أن تعيش على أنواع السكريات الأخرى مدة سنين طويلة وتتكاثر وتنمو وتزداد عددا ٠

عسل النحل فى علاج الأمراض

« فيه شفاء للناس »

لقد عاد العلاج الطبيعى فى عصرنا الحاضر ليحتل مكانته العالية كفرع من أهم فروع الطب الحديث ·· ويقوم هذا النوع من العلاج على مبدأ الاستفادة من جميع الموارد الطبيعية الموجودة حولنا مثل : الغذاء والماء والهواء وأشعة الشمس ومعادن الأرض والرياضة ·

ومن أهم الأغذية التى يعتمد عليها هذا العلم فى علاج الأمراض عسل النحل وقد وجد أن عسل النحل يشكل علاجا ناجحا لعدد كبير من الأمراض فمن ذلك :

١ ـ فقر الدم والكساح عند الأطفال الرضع :

فالطفل الرضيع الحديث الولادة يحتوى دمه على كمية من الحديد والكالسيوم تكيفه ثلاثة أشهر فقط ·· فاذا كان لبن الأم فيه نقص فى الحديد بدأت تظهر على الطفل أعراض فقر الدم واذا كان لبنها فيه نقص كالسيوم تأخر نمو عظامه وأسنانه عن موعدها ·· ولهذا ينصح الأطباء باعطاء الطفل ملعقة عسل نحل يوميا ابتداء من الشهر الرابع ويمكن خلط العسل بالحليب بنسبة ملعقة صغيرة لكل ١٠٠ سم ·

٢ ـ علاج التبول فى الفراش :

فى الظروف الطبيعية يبدأ الطفل السيطرة على مثانته (كيس البول) بعد سن الثانية من عمره بحيث يستطيع قبل سن الثالثة أن يحتفظ بالبول أثناء الليل · فاذا تأخر عن هذه السن فان هذه حالة مرضية تستدعى العلاج · وما لم يكن هناك مرض عضوى فى

جسم الطفل فان السبب غالبا يكون حالة عصبية أو نفسية ٠ والعلاج الأول هو تعويد الطفـــل على التبول قبل النوم مبــاشرة وايقاظه مرة أثناء الليل لكى يتبول وعدم اعطائه سوائل قبل نومه والعلاج الثانى هو اعطاء الطفل ملعقة صغيرة من العسل قبل النوم مباشرة ٠ والعسل له تأثيران فى هذه الحالة :

١ ـ انه يعمل كمسكن ومهـــدىء للجهــاز العصبى للطفل مما يساعد المثانة على الارتخاء والتمدد أثناء نومه ٠

٢ ـ ان كمية السكر المركزة فى العسل تمتص الماء من جسم الطفل ويحتفظ به مدة طويلة وبهذا لا تضطر الكلى الى افرازه فى الليل ٠

٣ ـ علاج الجروح المتقيحة والحروق :

يستعمل الأطباء الروس والصينيون مرهما مركبا من العسل وزيت كبد الحوت بنسبة ٤ : ١ ويضاف اليه بعض المواد المطهرة مثل (زيروفورم) وهذا المرهم له خواص سريعة فى تخفيف آلام الجرح وفى منع التقيح وفى سرعة التئام الجرح وهو مفيد جدا فى الحروق اذ يحول دون ظهور الفقاقيع ويعمل على تلطيف الألم كما أنه مفيد فى حالات الصمات فى الأطفال ٠

٤ ـ العسل فى علاج قرحة المعدة والاثنى عشر :

العسل مادة قلوية وهو بذلك يقلل حموضة المعدة ويزيل آلام القرحة ويقلل حالات القىء والمغص الناجمة عن القرحة ٠ ولكى يكون العلاج ناجحا يؤخذ العسل قبل الأكل بساعة أو ساعتين ويمكن أن تؤخذ الجرعة فى ماء دافىء ٠

٥ ـ العسل كعلاج لحالات البرد والزكام والتهاب الحلق :

يستعمل العسل في هذه الحالة بالاستنشاق بعد عمل محلول مكون من ١٠٪ من العسل في الماء ويرش المحلول برشاش خاص أو يستنشق في الحلق والأنف والرئتين لمدة ٥ دقائق ·· وبذلك يزول الزكام والتهاب الحلق والكحة ومن الأفضل أن يتبع ذلك مضغ قطعة من الشمع الطبيعي لأقراص العسل · ويساعد هذا العلاج أيضا على شفاء الجيوب الأنفية وازالة الحساسية فى الأنف ·

ويوصى الدكتور هيرتويج أخصائى العلاج بالتغذية باستعمال ١٠٠ جسم من العسل ممزوجة مع نصف ليمونة كعلاج للزكام والرشح ·

وهكذا : فما أصدق قول رسول الله عن العسل أنه يزيل برد الصدر ·

٦ ـ والعسل علاج لحالات التهاب الكبد المزمن :

اذ أنه يزيد من مخزون الكبد من مادة الجليكوجين عن طريق زيادة الجلوكوز فى الدم وبذلك يساعد وظيفة الكبد ·

٧ ـ والعسل يشفى التهابات العيون :

وذلك بعمل مرهم منه مع خلطه بنسبة ٣ ٪ سلفا ·

٨ ـ والعسل مهدىء للأعصاب وعلاج للأرق :

وذلك بسبب احتوائه على بعض العناصر المهدئة والمقومة بنسبة مقبولة مثل أملاح البوتاسيوم والصوديوم والاديودين واذا أخذت

من العسل ملعقة كبيرة قبل النوم فسوف تنام نوما هادئا لا تتخلله أحلام مزعجة أو قلق ٠

٩ ـ والعسل علاج للتسمم الكحولي :

وهو من الأغذية الرئيسية في مستشفيات ومصحات مدمني الخمر في أوروبا وذلك لأنه ينقي الكبد من التسمم الكحولي كما أن سكر الفركتوز ومجموعة فيتامين ب في العسل تؤكسد بقايا الكحول الموجودة في الجسم ٠

١٠ ـ العسل علاج للسعال :

ضع ليمونة بقشرتها في ماء مغلي وبعد أن يلين جلدها اعصر نصفها ثم اضف اليه ملعقة كبيرة من الجلسرين ثم أكمل الكوب بعسل النحل ٠ وقلب المزيج جيدا وخذ منه ملعقة كبيرة ٥ مرات في اليوم وسوف تلاحظ أنه أفضل من كل أنواع الأدوية الجاهزة للسعال وخصوصا للأطفال ٠

١١ ـ العسل في مستحضرات تجميل البشرة :

يعتبر المخلوط المكون من العسل والليمون والجلسرين من أفضل الوصفات الطبيـة القديمة في علاج تشقق الجلد وخشونته وجروح الشفة والتهابات وعلاج ضربة الشمس والبقع الجلدية وتوجد الكثير من المراهم والكريمات لعلاج البشرة يدخل العسل كعنصر أساسي في تركيبها ٠

١٢ ـ العسل كعلاج لتشنجات العضلات :

يعالج العسل تشنجات العضلات الناجمة عن أي مجهود رياضي أو التقلصات في عضلات الوجه والجفون وهي تزول مع أكل ملعقة كبيرة من العسل بعد كل وجبة لمدة ٣ أيام ٠

خاتمة

الاسلام أول نظام عرفته الانسانية أمر بمبدأ التعقيم وسماه الطهارة وحارب التلوث وحدد المواد الوسيطة لحمل الميكروب الى الانسان وسماها النجاسة • وهو أول من أشار الى الميكروب وعبر عنه بالخبث أو الخطايا وأول من أشار الى أن غسيل الأعضاء بالماء الطاهر (أى المعقم يزيل الميكروب) •

والاســلام أول نظام عرفته الانسانية يشــير الى أن النزلات المعــوية تنتقل الى الانســان السليم عن طريق الطعــام أو الشراب الملوث بالميــكروب ويأمــر بتغطيــة آنيــة الطعام والشراب واحكام قفلها •

والاسلام أول دين سماوى يحرر العلم والطب من نفوذ رجال الدين وينفى عنهم الحق المقدس فى علاج الأمراض بالطقوس والصلاة وهو أول دين يعترف بالأطباء ويقر مبدأ استعمال العقاقير والجراحة للشفاء •

والاسلام أول دين سماوى ينظم مهنة الطب العلاجى ويحدد مســئولية الطبيب وعدم السماح بمزاولة المهنة الا بعد (اجازة طبيــة) (ومن تطبب ولم يعلم منه طب قبــل ذلك فهو ضامن) « حديث شريف » •

والاسلام أول مبدأ عرفته الدنيا يقرر أن جميع الأمراض لها علاج ولا يأس أبدا من شفاء المرض وما علينا الا البحث والاجتهاد

يجاد الدواء المناســـب « ان الله تعالى لم ينزل داء الا أنزل له دواء فاذا أصاب دواء الداء برىء باذن الله » ٠

والاســلام أول مبــدأ عرفته الانسانية يأمر بالتخصص الدقيق للأطباء فى مهنتهم فكان الرسول اذا رأى أكثر من طبيب يعالجون مريضــا قال لهم « أيكم أطب بهذا » أى أيكم أكثر تخصصا فى هذا المرض ٠

والاسلام أول نظام عرفته الانسانية جاء بالأسلوب العقائدى فى الوقاية من الأمراض وهو أسلوب يربط التعاليم الطبية والصحية بالعقيدة نفسها حتى يجعل الاهتمام بالنظافة والصحة جزءا من طاعة العقيدة ومن أصول العبادة ٠

هذه هى بعض الحقائق التى يكشفها لك هذا الكتاب ويثبت كل واحدة منها بآيات من كتاب الله ٠٠ وأحاديث الرسول وتعاليم الشريعة السمحاء ٠٠ ثم يبين لنا كيف طبقت هذه التعاليم فى عهود الاسلام المزدهرة فجعلت المجتمع الاسلامى الصحى المثالى الذى لم يصل الى مستواه كثير من الدول الراقية فى عصرنا الحاضر ٠

فهو كتاب لا غنى عنه فى كل بيت وأسرة ٠٠ ولكل مهتم بالاسلام من أطباء ورجال دين وعلم وفقه وقد سبق ترجمة بعض فقراته الى عــدد من اللغــات منهــا الانجليزية والفرنسية والأردية التايلاندية بعد نشرها فى مجلة الوعى الاسلامى ومجلة العربى ٠

المراجع

(أ) المراجع الدينيــة :

١ ـ القرآن الكريم ٠

٢ ـ الأحاديث النبوية الشريفة من المصادر المعتمدة :

١ ـ البخــــارى ٠

٢ ـ مسلم ٠

٣ ـ ابو داود ٠

٤ ـ الترمذى ٠

٥ ـ النسائى ٠

٦ ـ ابن ماجة ٠

٧ ـ أحمد بن حنبل ٠

٣ ـ الفقه على المذاهب الأربعــــة ٠ دار الارشاد للتأليف والطبع ٠

٤ ـ فقه السنة للشيخ سيد سابق ٠ مكتبة الآداب ـ مصر ٠

(ب) دراسات عامة :

١ ـ الحلال والحرام في الاسلام ٠ يوسف القرضاوى ٠

٢ ـ قوانين الأسرة ٠ سالم بهنســاوى ـ دار القــلم ـ الكويت ٠

٣ ــ خطبة النساء د٠ عبد الناصر توفيق العطار ــ جامعة الأزهــر ٠
٤ ــ تحرير المــرأة : قاسم أمين ــ المركز العــربى للبحث والنشر ٠
٥ ــ المرأة العربية فى ظــلال الاســلام عبد الله عفيفى دار الكتاب العربى ٠
٦ ــ المرأة بين البيت والمجتمع ٠ البهى الخولى ٠
٧ ــ المرأة فى التصور الاسلامى ٠ عبد العال محمد الجبرى ــ مكتبة وهبة ٠
٨ ــ أخبــار النساء ٠ ابن القيم الجوزية ــ دار مكتبــة الحياة ــ بيروت ٠
٩ ــ الاسلام والمرأة فى رأى الامام محمد عبده ٠ تحقيق محمد عمارة ــ القاهرة ــ الثقافة العربية ٠
١٠ ــ المرأة فى الاسلام ٠ د٠ على عبد الواحد وافى ٠
١١ ــ من هنا نبدأ ٠ خالد محمد خالد ــ مؤسسة الخانجى ــ القــاهرة ٠

(ج) بين الطب والدين :

١ ــ الطب الوقائى فى الاسلام ٠ دكتور أحمد شــوقى الفنجرى ــ الهيئة العامة للكتاب ٠
٢ ــ خلق الانسان بين الطب والقرآن ٠ د٠ محمد على الباز ــ الدار السعودية للنشر والتوزيع ٠
٣ ــ الاسلام والطب ٠ د٠ حامد الغوابى ٠
٤ ــ الاسلام والطب الحديث ٠ د٠ عبد العزيز اسماعيل٠

٥ ــ القرآن والطب . د. محمد وصفى .

٦ ــ صوم رمضان . عبد الرزاق نوفل .

٧ ــ الاجهاض بين الفقه والطب والقانون . د. سيف الدين السباعى .

٨ ــ القرآن والتوراة والانجيل والعلم . د. موريس بوكاى .

٩ ــ لمحات من الطب الاسلامى . د. حسان حتحوت . (بالانجليزية) .

١٠ ــ الطب الاسلامى . مانفريد أولمان

١١ ــ حيرة الأطباء (المقدمة) لبرنارد شو .
The doctors dilemma

١٢ ــ الموسوعة الغذائية

(د) مراجع طبية وعلمية اجنبية :

1. Arabian Medecine.
2. Medecine Digest. «Febr. 1975».
3. Encyclopedia of Islam, «Gibb and Krammens».
4. Encyclopedia of Science and Technology, «The McGraw Hill».
5. Medecine Digest, «China Today».
6. Journey Adolescence, «Doris Adlam».
7. Nutrition in Health andDisease, «Cooper and Barber
8. L'Islam et La Culture Medicale Dr. Amal El-Alami.

(هـ) المراجع الطبية والعلمية الخاصة :

ذكرت المراجع والبحوث الخاصة والجديدة مع كل موضوع .

كتب للمؤلف :

١ ــ اسرائيل كما عرفتها ..

(عن ذكريات المؤلف عنــدما كان أسيرا فى معتقل عتليت باسرائيل ســنة ١٩٥٦) يطلب من المؤلف : الكويت ص ب ٣٦٣٤ .

٢ ــ الحرية السياسية أولا ــ الناشر دار القلم .

٣ ــ الحرية السياسية فى الاسلام ــ الناشر دار القلم .

٤ ــ الاسلام والحياة الجنسية ــ الناشر دار القلم .

٥ ــ العلوم الاسلامية ــ ٣ أجزاء ــ الناشر مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ص.ب ٢٥٢٦٣ ــ الصفاة ــ الكويت .

٦ ــ الاسلام والحياة العصرية .

سلسلة التمثيليات الاسلامية :

دار القلم ــ الكويت ص ب ٢٠١٤٦

الشركة المتحدة للتوزيع ــ بيروت ص ب ٧٤٦٠

١ ــ « خولة بنت الأزور » فارسة الاسلام .

٢ ــ « سراقة بن مالك » الصحابى المتوج .

٣ ــ « رفيدة » المرضة الأولى فى الاسلام .

٤ ــ السابقون الى الاسلام .

٥ ــ شروق الاسلام فى مصر .

٦ ــ عمر بن عبد العزيز .

فهـــرس

مقـــدمة الكتاب ٣

مقـــدمة ٨

ما هو الطب الوقائي ١١

اولا : صحة البيئة في الاسلام ١٧

ثانيا : علم مكافحة الأوبئة ٣٤

ثالثا : علم التغذية فى الاسلام ٤٠

الصوم فى ضوء التكنولوجيا الحديثة ٥٩

رابعا : الاسلام والتربية البدنية ٧١

خامسا : الصحة النفسية فى الاسلام ٧٧

سادسا : الصحة الجنسية فى الاسلام ١٠٧

نجاح الأسرة ١٠٨

العلاقة بين الدين والجنس ١٠٩

أسلوب الثقافة الجنسية في الاسلام ١١٥

القرآن والتزاوج وعلم الأجنة ١٣٣

الزواج فى نظر الاسلام والديانات الأخرى ١٤٣

الاسلام وعاطفة الحب ١٥١

الاختلاط أو فرص التعارف بين الجنسين ١٥٧
الخطوبة واختيار الزوجة فى الاسلام ١٦٣
النكاح الصحى فى الاسلام ١٧٥
البرود الجنسى عند المرأة المسلمة ١٨٧
ختان المرأة عادة خطيرة على المجتمع الأسـلامى والاسـلام
بريء منها ١٩٦
النظافة الجنسية فى الاسلام ١٩٩
الحكمة الطبية فى تشريع الطلاق وتعدد الزوجات . . . ٢٠٧
الاسلام وتحديد النسل ٢١٣
الاجهاض ورأى الشرع فيـه ٢٢١
الاسلام وطفل الأنابيب ٢٢٥
سابعا : الاسلام وتنظيم مهنة الطب العلاجى ٢٣١
ثامنا : الاسلام أول من جاء بالأسلوب العقائدى لخلق المجتمع
الصحى ٢٣٩
تاسعا : حكمة التحريم والاباحة فى الاسلام ٢٥٧
المخدرات .. فى العلم والطب والدين ٢٧٤
لحم الخنزير .. الأسباب العلمية لتحريمه فى الاسلام . ٢٨٨
التدخين فى التاريخ والعلم والطب والدين ٣٠٢
عسل النحل فى علاج الأمراض ٣١٩
خاتمـــة ٣٢٣



د. أحمد شوقي الفنجري

يشهد التاريخ لأمتنا الإسلامية أنها احتضنت حضارة عريقة خلال حقبة من الزمن ، هي عشرة قرون ويزيد ، وغذتها بالكثير من العلوم والنظريات والفلسفات ، فرسمت بذلك للعالم أجمع تخطيطا كبيرا للعلم والمعرفة في شتى المجالات .

ويضم هذا الكتاب كثيرا من المعلومات الجديدة القيمة عن الطب الوقائي في الإسلام ، واستخلاص ما في الإسلام كدين وتشريع ، من تعاليم طبية ووضعها في الأسلوب والتنسيق العلمي الحديث كما يركز الكتاب على أن الإسلام قد جاء بتعاليم عن آداب المهنة الطبية وفي تنظيمها ، وعلاقة الأطباء بالمرضى وعلاقتهم ببعضهم ، وجعل هذه التعاليم جزءا لا يتجزأ من العبادات .

٥٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب